كم طلقة في مسدس
المُوساد الإسرائيلي

تأليف
أسامة العيسة



كـم طلقـة
فـي
مسدس الموساد الإسرائيلي

تأليف
أسامة العيسة

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

هاتف : ٥٦٥٨٣٥٣ - فاكس : ٥٦٥٨٣٥٤ - تلفاكس : ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب. :١٤١٧٨١

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٤/٦/١٤٩٠)

٩٥٦,٠٩٣

العيسة، أسامة

كم طلقة في مسدس الموساد الإسرائيلي / أسامة العيسة،-

عمان : دار أسامة للنشر ٢٠٠٤.

(   ) ص.

ر.إ : (٢٠٠٤/٦/١٤٩٠).

الواصفات : /الصراع العربي الإسرائيلي//فلسطين/

/الموساد/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

المقدمة

الصراع العربي الإسرائيلي صراع طويل الأمد، تعاقبته الأجيال جيل بعد جيل حتى يومنا هـذا، وهو صراع على أرض هي ملك للشعب الفلسطيني ضد جماعة تدعي بأنها أصحاب هذه الأرض ولـيس لغيرهم فيها شيء.

والواقع أن الشعب الفلسطيني هو الشعب الذي دفع عربونا كبيرا من نزف الدماء المتواصـل حتى هذه الساعة، ليحاول أن يثني عدوه عن أن هذه الأسلحة من طائرات ودبابات وصواريخ وأسـلحة متقدمة ومتطورة لن تثنيه عن هدفه وحقه المشروع في أرضه التي ورثها عن أجداده، ولا يستطيع فـرد التفريط في هذا الحق، حـق الانـتماء لـلأرض الانـتماء لفلسـطين، تلـك البقـاع المقدسـة، التـي تعاقبتهـا الغزوات والصراعات من فرس وروم وعرب ويهود، إلى أن وصلت الحال إلى ما هي عليه في هذه الأيام.

هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، هو سجل واقعي للتصور الإسرائيلي في معاداة هذا الشعب، وفيه تسلسل لأعمال التصفية الجسدية التي قام بها الموساد الإسرائيلي ضد رموز هذه الشعب وكوادره فلم يتركوا بقعة في هذه الأرض ووجدوا فيها من يؤثر عليهم وعلى سياستهم ومستقبل دولتهم إلا أعلنوا في وجهه السلاح سرا وجهرا، هذا الكتاب يروي قصص هؤلاء الرجال الذين سقطوا على أيدي رجال الموساد الإسرائيلي، وقد تتبع تواريخ الاغتيالات المذكورة وطرائق تصفيتهم الجسدية.

ونحاول في هذا الكتاب أن نوضح أمرا هاما، وهو أن الذين يتحكمون في مصير دولـة إسرائيـل ومستقبلها هم العسكر، فهي دولة مبنية على العنف المسلح، وهكذا نشأت، وسـتبقى إلى الأبـد تحمـل هذا الفكر ولن تتراجع أمام انتقادات الآخرين، فالغاية لديهم تبرر الوسيلة.

نسأل الـلـه أن نكون قد وفقنا في رسم صورة الموساد الإسرائيلي من خلال ما قدمنا من أدلة على الدماء التي سالت على أيدي هذه الفئة.

و الـلـه من وراء القصد

المؤلف



الفصل الأول
الأصل والصورة

الرجل الظل

انتظرت دولة الكيان الصهيوني (٣٨) عاما لتعلن مسئوليتها عن اغتيال مصطفى حافظ الذي حمل ملفه في الموساد اسم (الرجل الظل)، وذلك في كتاب أعده يوسي أرجمان حمل عنوان (سري جدا) وصدر في الكيان عام ١٩٩٣ .وكتب الأستاذ توحيد مجدي عن حادث الاغتيال مستندا للكتاب في مجلة روز اليوسف القاهرية (٣٤٢٢) بتاريخ ١٠ يناير ١٩٩٤ .

والعقيد مصطفى حافظ، من الأسماء التي حفرت لنفسها مكانا بارزا، في العمل الفدائي والوطني ضد الكيان الصهيوني، وقاد عمل مجموعات فدائية، عرفت لوقت طويل بعد ذلك، باسم فدائيي مصطفى حافظ، أوكلت إليهم مهام بتنفيذ عمليات داخل الكيان، وكان يعتمد على أي إمكانية متاحة لتجنيد الفدائيين، وفضلا عن اعتماده على المتطوعين،فإنه عمد لتجنيد سجناء مدنيين للعمل الفدائي، لاقتناعه بأن هناك جوانب إيجابية في أي إنسان يجب استثمارها وتطويرها، وأنه بإمكان توجيه أي سلوك عدواني، أو يبدو كذلك لدى السجناء المدنين نحو العدو الأكبر، (إسرائيل)، ولم يكن يدري حينها أن ذلك سيكون إحدى نقاط الضعف التي ستتمكن فيها (إسرائيل) من اغتياله .

ومصطفى حافظ معروف للكثير من الفلسطينيين الذين خلدوا ذكراه بإطلاق اسمه على مدارس وشوارع في قطاع غزة، وتحولت الأعمال التي قام بها (فدائيو مصطفى حافظ) إلى حكايات أسطورية بالنسبة للسكان المحليين، كان مجالا لفخر بعض الأبناء، فيما بعد بأن آباءهم كانوا من أولئك الفدائيين، في حين أن من بقي من فدائيي حافظ على قيد الحياة التزموا صمتا مطبقا على ما كانوا يقومون به من أعمال بعد الاحتلال الصهيوني لباقي الأراضي الفلسطينية وأجزاء من الأراضي العربية عام ١٩٦٧، ولاحقت دولة الاحتلال بعض من كانوا من رفاق حافظ واغتالت بعضهم بأساليب مختلفة، مثل تصفيتهم بعد اعتقالهم .

وعندما استشهد حافظ (١٩٥٦/٧/١١) كتبت صحيفة الأهرام القاهرية بعد يومين (١٣ يوليو ١٩٥٦) خبرا عن ذلك جاء فيه (قتل البكباشي مصطفى حافظ نتيجة ارتطام سيارته بلغم في قطاع غزة وقد نقل الجثمان للعريش ومنها

جوا للقاهرة،وقد كان حافظ من أبطال فلسطين،ناضل من أجـل اسـتقلالها وتحريرهـا، ولقـد سجل التاريخ له أعمالا جعلت اسمه يزرع الرعب بداخل قلوب "الإسرائيليين") .

ولم يكن ذلك، بالطبع صحيحا، ولكن على الأغلب قصد منه التمويه على سقوط ذلك الفـدائي المقدام، أو إخفاء حقيقة ما حدث لأية أسباب أخرى .ولكـن هـذا لا يكفـي لمعرفـة أهميتـه، فمـن هـو (الرجل الظل) الذي كان محط اهتمام قادة (إسرائيل)؟

في ربيع عـام ١٩٥٥، وفي اجـتماع سري عقـد في القـاهرة برئاسـة الـزعيم الراحـل جـمال عبـد الناصر،تقرر إنشاء كتيبة تنفذ أعمالا فدائية ضد (الإسرائيليـين) .واختـير لهـذه المهمـة العقيـد مصـطفى حافظ، الذي عرف بذكائه وكفاءته حتى أصبح عقيدا ولم يتجاوز عمره (٣٤) عاما .

وطوال عامي ١٩٥٥ – ١٩٥٦،أرعبت عمليات حافظ (الإسرائيليين) خصوصا تلـك التـي نفـذت في العمق الصهيوني كاللد وتـل أبيـب وغـيرهما مـن المـدن الكـبرى .وبعـض هـذه العمليـات نفـذت في مستوطنات في شمال (إسرائيل) مثل مستوطنة (ريشون لتسيون) بالقرب مـن تـل أبيـب والمقامـة عـلى أراضي قرية (عيون قارة الفلسطينية)، وكان يقوم بتلك الأعمال العشرات من رجال حافظ .

وعندما عرف الموساد أن (رجل الظل) هو مصطفى حافظ، بدأ بالتخطيط لاغتياله بأوامر مـن القيـادة السياسـية في (إسرائيـل) آنذاك،ويبـدو أن المصريـين كـانوا يعرفـون بمخططـات (إسرائيـل) أو يتوجسون منها، ففي إحدى زياراته لغزة همس الرئيس عبد الناصر في أذن مصطفى حافظ (خلي بالـك يا مصطفى من الخونة فأنا ومصر نريدك بشدة) .

وفي أوائل عام ١٩٥٦ دخل أفراد من الوحدة (١٠١) التي كان يقودها مجرم الحرب الصـهيوني الذي أصبح فيما بعد رئيسا للحكومة الصهيونية أريل شارون، التي أوكل إليها تصفية (الرجل الظـل) إلى بيته ونسفوا باب البيت، ولكنهم لم يجدوا أحدا لأن مصطفى حافظ أيضا بدا هو الآخر يلعب لعبته مع

الموساد، فجعلهم يراقبون طيلة الوقت شخصا آخر ومنزلا آخر هو الذي تم اقتحامه .

وبعد فشل مهمة الوحدة (١٠١)، صدرت الأوامر لسبعة ضباط كبار كما يذكر صاحب كتاب (سري جدا) لتنفيذ عملية ضد الرجل الظل، وهم ضابط يعمل مزارعا الآن، وآخر يعمل مستورد سيارات في حيفا و(أبو سنان) الذي كان يقود مجوعة استخبارية وقتذاك، وضابط يطلق عليه (أبو سليم) وآخر اسمه (صادق) ويعمل أيضا في مجال الزراعة الآن،وسابعهم يدعى (أبو هارون) وصفه المؤلف بأنه عالم اجتماع شهير في جامعات (إسرائيل) .

وشارك الضباط السبعة في وضع خطط وتنفيذها ضد (الرجل الظل) ولكنها باءت بالفشل، ومن هذه الخطط عملية إنزال بحري على شواطئ غزة، ولكن الرجل الظل استطاع تضليل فرقة الاغتيال ونجا بأعجوبة .

وأخيرا وجد ضباط الموساد الحل، وهو إرسال طرد ملغوم للرجل الظل، وهو الأسلوب الذي اتبعته العصابات الصهيونية مع ضباط بريطانيين قبل قيام الدولة الصهيونية ومع قادة فلسطينيين فيما بعد .

وأعد الطرد من قبل خبير كان يعمل في منظمة إتسل الصهيونية الإرهابية، قبل تأسيس (إسرائيل)، وشارك في إعداد طرود ملغومة أرسلت لضباط بريطانيين، وتغلب ضباط الموساد على مشكلة واجهتهم وهي أن الرجل الظل لا يفتح الطرود بنفسه، وذلك بإيجاد سبب مقنع يجعله يفعل ذلك بنفسه .

وتم إرسال الطرد مع عميل مزدوج اسمه (سليمان طلالقة) الذي لا يعرف ما بداخل الطرد، على أنه مرسل بواسطته إلى قائد شرطة غزة وقتذاك لطفي العكاوي من الموساد، فتوجه طلالقة بالطرد إلى مصطفى حافظ قائلا له إن قائد شرطة غزة عميل للموساد، وما إن فتح حافظ الطرد حتى انفجر، فأصيب بإصابات بالغة أدت لوفاته في المستشفى،وأصيب معه أحد مساعديه بعاهة مستديمة، وأصيب طلالقة بالعمى.

وطلالقة، كما ذكرت بعض المصادر الفلسطينية لي، هو واحد من الذين أطلق مصطفى حافظ سراحهم من السجون ليعمل مع مجموعاته، واعتبروا ذلك

إحدى نقاط الضعف الأمنية لدى حافظ التي أودت بحياته في انفجار الطرد الـذي هـز سرايـا غزة يومها.ومصادر أخرى تفيد بأن (إسرائيل) كانت اعتقلته، وساومته على إطلاق سراحه مقابل العمـل كعميل مزدوج.

وجاء في تقرير التحقيقات النهائي عـن حـادث الاغتيـال الـذي رفـع للـرئيس عبـد النـاصر،كما أورده الأستاذ توحيد مجدي في روز اليوسف (لقد استغل الموساد غباء طلالقـة الشـديد ونفـذوا العمـل الشيطاني، وإن طلالقة لم يدرك أبدا ولو للحظة خطورة ما كان يحمله وما كان لينقل الطـرد بنفسـه لـو علم ما فيه لأنه جبان جدا) .

جذور إرهابية

في مؤتمر مدريد الشهير لسلام الشرق الأوسـط (تشرـين أول ١٩٩١ م)، وقـف وزيـر خارجيـة سوريا فاروق الشرع لإلقاء كلمة وفد بلاده في المؤتمر أسوة بباقي الوفود .

وقدم الشرع كلمته ارتجالا وقال كلاما بليغا، دفاعا عن بلاده التي هاجمها سابقا رئـيس وزراء (إسرائيل) ورئيس وفدها إلى المؤتمر إسحاق شامير في كلمته في افتتاح المؤتمر،وفجأة استل الشرـع ورقـة من جيبه وعرضها على الموجودين في القاعة وعلى الملايين الذي يتابعون ذلك الحدث الاستثنائي وقتها في قضية الشرق الأوسط،ولم تكن تلك الورقة إلا صورة عن ملصق وزعته الشرطة البريطانية لإسحاق شـامير رئيس وزراء (إسرائيل) عليها صورته كمطلوب للعدالة بسبب نشاطه الإرهـابي في المـنظمات الصـهيونية الإرهابية .

كان شامير الذي ألقى كلمة الكيان الصهيوني في المؤتمر في وقت سابق اعتذر عن الاسـتمرار في المؤتمر وغادر إلى (إسرائيل) متذرعا بأسباب اعتبرت واهية مثل دخـول عطلـة (السـبت اليهـودي) أثنـاء أعمال المؤتمر وفي حينه قدرت مصادر في الوفد الفلسطيني بأن شامير أحس على ما يبدو بمـا يخفيـه لـه الوزير السوري ففضل المغادرة .

وبلغ من حماس البعض لما عرضه الوزير السوري لصورة (الإرهابي) شامير أن أرسلها بالفاكس لجهات في فلسطين وتم توزيعها يدويا على المهتمين والمعنيين والفضوليين .

وسواء صحت التقديرات بشأن مغادرة شامير لذلك المؤتمر الذي كان يؤسس لحقبة جديدة بين العالم العربي و(إسرائيل) أم لم تصح،فإن شامير، وغيره من قادة (إسرائيل)، لا يعتقدون بأن هناك ما يجب إخفاؤه مما يعتبره العرب عمليات إرهابية، بل هي مصدر فخر لهم .

لهذا فإن الاعتقاد قوي بأن ما مارسته (إسرائيل) من أعمال الاغتيال بعد قيامها كان،في الواقع استمرارا لنشاط العصابات الصهيونية قبل قيام دولة (إسرائيل)، بل إن كثيرا من أعضاء تلك المنظمات، وشامير واحد منهم عملوا في أجهزة الأمن الصهيونية وأبرزها جهاز الموساد، وأصبح الناشطون في تلك العصابات الإرهابية هم قادة دولة (إسرائيل) والمتنفذين فيها .

ومارست تلك العصابات الصهيونية الكثير من الأعمال الإرهابية ليس فقط ضد السكان الأصليين، بل شمل نشاطها أيضا رجال الانتداب البريطاني، رغم أن هناك تقديرات لا يمكن إغفالها بأن الهدف الأساسي لذلك الانتداب، يكاد يكون تمكين اليهود من إنشاء وطني قومي لهم على أرض فلسطين .

وكما أشرنا فإن الزعماء الصهاينة لا ينكرون تورطهم في أعمال الإرهاب تلك، بل كثير منهم تحدثوا عن تفاصيلها في مذكراتهم وأوراقهم وفي مقابلات صحافية عديدة ويمكن على سبيل المثال.

ولتوضيح الصورة نذكر بعض تلك الأعمال والتي شارك فيها من أصبح بعد ذلك من رموز دولة (إسرائيل)،من خلال تصفح كتاب (قبل الشتات) المصور للمؤرخ الفلسطيني المدقق وصاحب المصداقية البرفسور وليد الخالدي :

١٦.نيسان ١٩٣٦ : العصابات الصهيونية تقتل فلسطينيين يعيشان قرب مستوطنة (بتاح تكفا) .

٥.أيلول ١٩٣٧ : أفراد من منظمة (أيرغون تسفائي ليئومي) يقتلون فلسطينيا ويصيبون آخرين بجروح في حادث إلقاء قنبلة على حافلة بالقدس .

١١.شرين الثاني ١٩٣٧ : أفراد من (الآرغـون) يلقـون قنبلـة عـلى مـواطنين بالقـدس فيقتلـون واحدا منهم ويصيبون آخرين .

١٧.نيسان١٩٣٨ : أفراد من (الآرغون) يلقون قنبلتين عـلى مقهـى في حيفـا، فيقتلـون مواطنـا ويصيبون ستة آخرين .

حزيران/١٩٣٨ : بدأ الضابط البريطاني (أورد وينغيت) بتنظيم (الوحدات الليلية الخاصة) مـن بريطانيين ومنظمة (الهاغناة)، وهدفها تنفيذ عمليات إرهابية ضد القرى الفلسطينية .

٤. تموز/١٩٣٨ : أفراد من (الآرغون) يلقون قنبلة على حافلة بالقدس، تسفر عـن قتـل أربعـة مواطنين وإصابة ستة بجروح .

٦.تموز/١٩٣٨ : أفراد من (الآرغون) يفجرون لغما في سوق البطيخ في حيفـا، يـؤدي إلى مقتـل ١٢ مواطنا .وفي نفس اليوم أدى انفجار لغم آخر زرعته أيضا (الآرغون) إلى مصرع ١٨ مواطنا فلسطينيا واثنين من اليهود في سوق حيفا .

٧.تموز/١٩٣٨ : استشهاد مواطن وإصابة خمسة آخرين في حـادث لغـم فجرتـه (الآرغـون) في سوق الخضراوات بالقدس .

٨.تموز/١٩٣٨ : أدى انفجار لغم زرعته (الآرغون) في محطـة الباصـات بالقـدس إلى استشـهاد أربعة مواطنين وإصابة ٢٧ آخرين .

١٥.تموز/١٩٣٨ : حادث انفجار لغـم زرعتـه (الآرغـون) في سـوق الخضـار في البلـدة القديمـة بالقدس يسفر عن مقتل ١١ مواطنا وإصابة ٢٨ آخرين بجروح .

١٧.تموز/١٩٣٨ : مقتل ثلاثة من المواطنين في تل أبيب على أيدي مجموعة صهيونية .

٢٥.تموز/١٩٣٨ : مصرع ٤٥ مواطنا وإصـابة ٤٥ آخـرين في انفجـار لغـم زرعتـه (الآرغـون) في سوق الخضراوات في حيفا .

٢٦.آب/١٩٣٨ : انفجار لغم زرعته (الآرغـون) في سـوق الخضراوات بيافـا يـؤدي إلى قتـل ٣٣ مواطنا وإصابة ٣٠ آخرين .

٢٦.شباط/١٩٣٩ : مصرع ٢٤ مواطنا وإصابة ٣٧ آخرين بجروح جراء انفجار لغم زرعته (الآرغون) في سوق حيفا .وفي نفس اليوم قتل أربعة مواطنين وأصيب خمسة آخرون نتيجة انفجار لغم زرعته (الآرغون) في سوق الخضراوات بالقدس .

٢.حزيران/١٩٣٩ : أدى انفجار لغم زرعته (الآرغون) في إحدى محطات الباصات بالقدس إلى مقتل خمسة مواطنين وإصابة ١٩ آخرين .

٣.حزيران/١٩٣٩ : مقتل تسعة مواطنين وإصابة أربعين آخرين، في انفجار لغم زرعته (الآرغون) بالقدس .

١٩.حزيران/١٩٣٩ : مقتل تسعة مواطنين وإصابة ٢٤ آخرين في انفجار لغم زرعته (الآرغون) في سوق حيفا .

٢٩.حزيران/١٩٣٩ : أفراد من (الآرغون) يشنون ٦ هجمات على حافلات بالقرب من تل أبيب تؤدي إلى مقتل ١١ مواطنا .

٣.تموز/١٩٣٩ : مقتل مواطن واحد وإصابة ٣٥ آخرين بعد ٠ تقل مهاجرين (غير شرعيين) من اليهود، في أثناء قيام السلطات البريطانية بنقلهم إلى أماكن أخرى خارج فلسطين، وتسفر العملية عن مقتل ٢٥٢ شخصا من اليهود ومن الشرطة البريطانية .

١٤.شباط/١٩٤٣ : مقتل شرطيين بريطانيين في حيفا على يد إرهابيين صهاينة .

٢٣.آذار/١٩٤٣ : مصرع ثمانية من رجال الشرطة البريطانية على يد الإرهابيين الصهاينة في حيفا ويافا وتل أبيب والقدس .

٨. آب/١٩٤٣ : محاولة لاغتيال المندوب السامي البريطاني، السير هارولد مكمايكل وزوجته بالقدس، قام بها إرهابيون صهاينة .

٦.تشرين الثاني/ ١٩٤٣ : إرهابيون من منظمة (شتيرن) الصهيونية يغتالون اللورد والتر موين، وزير الدولة وممثل الحكومة البريطانية المقيم في القاهرة. وكان إسحاق شامير أحد قادة عصابة شتيرن الثلاثة الذين أصدروا أمر الاغتيال .وفي نيسان عام ٢٠٠٠، لم يبد شامير أي ندم على ذلك وقال لصحيفة

يديعوت أحرنوت عن اللورد موين (كان يعتبر عدوا للشعب اليهودي،لم يكن هناك أدنى شك بذلك) .

ويمكن لإضافة مزيد من حزم الضوء على الأعمال الإرهابية الصهيونية في تلك الفترة، أن نقف قليلا عند اغتيال اللورد موين، ففي كتابه الأول عن (المفاوضات السرية بين العرب واليهود)، يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل، أن اتحاد المنظمات الصهيونية في مصر تقدم بطلب في تلك الفترة إلى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر للاعتراف بالاتحاد (كممثل للشعب اليهودي في مصر)، ولكن النحاس لم يكتف برفض الطلب، بل قرر أيضا وقف نشاط الاتحاد.

وحسب هيكل فإن النحاس كان مشغولا في عملية إنشاء جامعة الدول العربية،وكان دعا إلى عقد مؤتمر لرؤساء الحكومات العربية في قصر (أنطونيادس) في مدينة الإسكندرية الساحلية،للانتهاء من إقرار نص ميثاق الجامعة العربية .

ويقول هيكل : (من الغريب أن رد الاتحاد الصهيوني على رفض النحاس باشا له بالعمل رسميا، كان الترتيب مع جماعة شترن في فلسطين لنسف قصر أنطونيادس يوم الاحتفال بالتوقيع) .

ولأن محاولة نسف ذلك القصر بمن فيه لم تنجح، ولكي لا يعود إرهابيو شترن خالي الوفاض، على ما يبدو، نفذوا عملية اغتيال اللورد (موين) الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط، وكان السبب في قتله، كما يذكر هيكل (معارضته لمشروع هجرة مائة ألف يهودي من أوروبا إلى فلسطين) .

وفيما بعد ... بعد سنوات طويلة وفي نيسان ٢٠٠٠م،قال شامير لصحيفة يديعوت أحرنوت العبرية التي وصفته بأنه المسؤول عن اتخاذ قرار تصفية اللورد موين، بأن هذا اللورد (كان يعتبر عدوا للشعب اليهودي، ولم يكن هناك أدنى شك في ذلك) .

٢٨.أيلول/ ١٩٤٥ : إرهابيون صهاينة يقتلون شرطيا بريطانيا في تل أبيب .

٣١.تشرين الأول/١٩٤٥ : أفراد من العصابات الصهيونية الثلاث : الهاغناة، الآرغون، شتيرن، يعطلون خطوط سكة الحديد في فلسطين في ٢٤٢ موقعا مختلفا في البلاد .

٢٧.كانون الأول/ ١٩٤٥ : أفراد من (الآرغون) يقتلون خمسة من رجال الجيش والشرطة البريطانية في القدس ويافا وتل أبيب .

١٩.كانون الثاني /١٩٤٦ : عصابة (الآرغون) تشن هجوما على السجن المركزي بالقدس مما يؤدي إلى مقتل ضابطين بريطانيين .

٢٥.نيسان/ ١٩٤٦ : هجوم للآرغون على مرأب عسكري في تل أبيب يؤدي إلى مقتل سبعة من الجنود البريطانيين .

١٧.حزيران/١٩٤٦ : وقوع اعتداءات متزامنة من قبل (الهاغاناة) على ثماني سكك حديد رئيسية وجسور على طرق عامة .

١٨.حزيران/ ١٩٤٦ : خطف ستة ضباط بريطانيين في تل أبيب والقدس على أيدي أفراد من عصابة الأرغون .

٢٢.تموز/١٩٤٦ : أفراد من الآرغون ينسفون جناحا كان مقرا للإدارة المدنية البريطانية في فندق الملك داود بالقدس، ويؤدي ذلك إلى مقتل ٩١ مدنيا .وبعد يومين أصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيضا عن الإرهاب في فلسطين وفيه اتهام للوكالة اليهودية بالقيام بأعمال إرهابية بالاشتراك مع عصابتي الآرغون وشتيرن .

٩.أيلول/ ١٩٤٦ : إرهابيون صهاينة ينسفون بيت أحد ضباط الأمن البريطانيين، مما أدى إلى مقتله وزوجته .

٣٠.تشرين الأول/ ١٩٤٦ : أفراد من الآرغون يهاجمون بالقنابل محطة سكة الحديد بالقدس، ويقتلون جنديين بريطانيين وشرطيا واحدا ويجرحون ١١ جنديا .

٩.تشرين الثاني/ ١٩٤٦ : مقتل أربعة من الشرطة البريطانية في حادث نسف منزل نفذته عصابة الآرغون .

١٣.تشرين الثاني/ ١٩٤٦ : مقتل ستة من رجـال الشرـطة البريطانيـة وجـرح عشرـة آخـرين في هجوم شنته عصابة الآرغون على قطار على خط سكة الحديد بين اللد والقدس .

١٧.تشرين الثاني/ ١٩٤٦ : مقتل ثلاثة من أفراد الشرطة البريطانية بالقرب من تـل أبيـب إثـر انفجار لغم بسيارتهم زرعته عصابة الآرغون .

٢ .كانون الأول/ ١٩٤٦ : مصرع أربعة جنود بريطـانيين جـراء انفجـار لغـم بسـيارتهم زرعتـه عصابة الأرغون .(.. وبعد يومين تناشد الوكالة اليهودية اليهود في فلسطين بالكف عـن أعـمال الإرهـاب ..!) .

١٢.كانون الثاني/ ١٩٤٧ : مقتل اثنين من الشرطة البريطانية واثنين من الفلسطينيين إثر تفجـير سيارة ملغومة من قبل الآرغون في مقر الإدارة البريطانية في حيفا .

٢٦.كانون الثـاني/١٩٤٧ : الآرغـون تخطـف رجـل أعـمال بريطانيـا بالقـدس، وفي اليـوم التـالي تخطف أحد كبار القضاة البريطانيين في تل أبيب.

٢٨.شباط/١٩٤٧ : إرهابيون صهاينة يقتلون ٢٠ شخصا من المدنيين ومن أفراد الجيش والشرطة البريطانية، ويدمرون نادي الضباط البريطاني بالقدس .

٢٦.نيسان /١٩٤٧ : الآرغون تفجر سيارة ملغومة في معسكر (سـارونا) البريطـاني بـالقرب مـن تل أبيب، مما أسفر عن مقتل ٦ من رجال الأمن البريطانيين .

٢١.أيار/ ١٩٤٧ : عصابة الهاغاناة تنفذ عمليتين إرهابيتين بالقرب من تل أبيـب تسـفران عـن مقتل مواطنين وجرح سبعة آخرين .

٥.حزيران/ ١٩٤٧ : عصابة شتيرن تعلن مسئوليتها عن الرسائل الملغومة التي أرسلت إلى كبـار المسؤولين البريطانيين .

٣٠. تموز/١٩٤٧: الآرغون تعلن قيامها بتنفيذ (الإعـدام) بحـق رقيبـين مـن الجـيش البريطـاني خطفا قبل ذلك التاريخ.

١٥.آب/١٩٤٧ : مقتـل ١٢مواطنـا بيـنهم أم وسـتة أطفـال،في هجـوم للهاغانـاة عـلى إحـدى البيارات العربية.

١٩.كانون الأول/ ١٩٤٧ : مقتل ٣٥ من المواطنين المدنيين، في سلسلة غارات هجومية تشنها الآرغون على مناطق سكنية فلسطينية في القدس ويافا وقرية الطيرة بالقرب من حيفا .

٢٩.كانون الأول/١٩٤٧ : مقتل عشرة مواطنين في هجوم نفذته الهاغاناة على قرية خصاص بالقرب من صفد .

٢٩. كانون الأول/١٩٤٧ : مقتل ١٧ مواطنا إثر مهاجمة أفراد من الآرغون لحشد من المدنين الفلسطينيين في باب العمود بالقدس .

٣٠.كانون الأول/١٩٤٧ : مقتل ستة مواطنين بعد أن ألقى أفراد من الآرغون قنبلة على العمال في مصفاة النفط في حيفا، وعصابة الهاغاناة قتلت ١٧ مواطنا وجرحت ٣٣ في هجوم على قرية بلد الشيخ بالقرب من حيفا .

٤.كانون الثاني / ١٩٤٨ : الآرغون تفجر سيارة مفخخة في مركز الحكومة في يافا، ويسفر ذلك عن مقتل ٢٦ من الفلسطينيين المدنيين .

٥.كانون الثاني/ ١٩٤٨ : الهاغاناة تنسف فندق سميراميس بالقدس فتقتل ٢٠ مواطنا .

٧. كانون الثاني / ١٩٤٨ : مقتل ٢٥ مواطنا وجرح العشرات بسبب متفجرات زرعتهـا الآرغـون في باب الخليل بالقدس .

١٤. شباط/ ١٩٤٨ : مقتل ١١ مواطنا ونسف ١٤ بيتا في هجوم للهاغاناة لقرية سعسـع قضـاء صفد .

٣.آذار / ١٩٤٨ : عصابة شتيرن تدمر مبنى في حيفا بسيارة مفخخة ويسفر ذلك عن مقتل ١١ مواطنا وجرح ٢٧ آخرين .

٣١.آذار/ ١٩٤٨ : مقتل ٢٤ مواطنا وجرح ٦١ آخرين، في حادث نسف قطار نفذته الآرغون .

٩.نيسان/ ١٩٤٨ : رجال الآرغون يذبحون ٢٤٥ من سكان دير ياسين.

وعودة إلى شامير، فقد ارتبط بأشهر عملية إرهابية حدثت أثناء حرب فلسطين، وهي اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت، ابن عم ملك السويد، الذي حضر إلى فلسطين، وأبرم هدنة بين الطرفين العربي والصهيوني، وأعد تقريرا اقترح فيه أن تكون منطقة النقب ضمن حدود الدولة العربية المقترحة، وكان ذلك سببا كافيا بالنسبة لشامير ورفاقه في حركة ليحي وهي جزء من منظمة الآرغون الإرهابية لقتله بالرصاص في القدس .

وعمل شامير، حسب مصادر صهيونية لمدة عشرة أعوام في جهاز الموساد الصهيوني، الذي يتولى الأعمال الاستخبارية في الخارج .وفي أواخر نيسان عام ٢٠٠٠م،كتب الصحافي الصهيوني شلومو نكديمون تقريرا في صحيفة يديعوت أحرانوت، عن تلك السنوات التي عمل فيها شامير في الموساد، ويتبين من المعلومات القليلة التي قدمها شامير نفسه،أنه تورط في التخطيط لما يسميه كاتب التقرير (التصفيات الجسدية)، وأنه قام بمهمات في الدول العربية .

ويشير التقرير إلى أن شامير التحق بالموساد وعمره ٤٠ عاما، بعد فترة إعداد استمرت ستة أشهر تعرف خلالها على وحدات الموساد المختلفة، وعمل في قسم يتولى مهمات في الدول العربية، ثم أسس وحدة أطلق عليها اسم (مفراس) هدفها زرع عملاء صهاينة في الدول العربية .

وتدرج شامير في سلم الرتب في الموساد وجال عدة دول في العالم للقيام بالمهام الموكلة له. وخلال التقرير أعرب شامير عن تأييده لأسلوب الاغتيالات، ولم ينف أقوالا لزملاء له من وحدة (مفراس) عن تأييده لاغتيال زعيم عربي، يعتقد أنه جمال عبد الناصر، ولم تنفذ بسبب قرار من القيادات السياسية، ولو نفذت تلك العملية (لكانت العنوان الرئيسي حتى اليوم) .

تاريخ شامير حافل بالأعمال الإرهابية،سواء وهو مسئول في العصابات الصهيونية، أو بعد تأسيس دولة (إسرائيل)، وكذلك الآخرين،من بن غوريون إلى بيغن، إلى غولدا مائير، إسحاق رابين، وموشي ديان، وشمعون بيرس، وعيزر وايزمن، وحتى الرموز اليسارية مثل أوري أفنيري،وذلك هو منطق الأمور في دولة، بنيت على أساس عمل من أشد الأعمال إرهابية وهو سرقة الأرض،حتى

لو اختارت في حياتها الداخلية، أساليب متطورة في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

.

جملة معترضة : إرهابي سابق

في عام ١٩٤٨ كان أوري أفنيري، الشخصية المعروفة والمركزية ضمن معسكر اليسار الصهيوني ورئيس كتلة السلام، من ضمن العصابات الصهيونية التي حاصرت وشردت سكان عدة قرى فلسطينية وبعد خمسين عاما من ذلك التاريخ، الذي حفر في ذاكرة الفلسطينيين والعرب باسم النكبة، أمضى أفنيري، عطلة عيد الميلاد في مخيم الدهيشة، مع أصدقاء فلسطينيين وجدوا في المخيم نتيجة سياسة الإرهاب التي اتبعتها العصابات الصهيونية ضدهم .

التقيت أفنيري الذي قدم مع زوجته وطرحت عليه عدة أسئلة، ربما وهي تشكل جملة معترضة في موضوعنا عن الاغتيالات أن توضح ولو نسبيا الخلفية التي يستند إليها القادة الصهاينة في سياستهم الإرهابية ضد الشعب الفلسطيني، التي يمكن وصفها بكثير من الاطمئنان بأنه : القتل من أجل القتل .. !

-سألت أفنيري : ماذا كنت تفعل عام ١٩٤٨ ؟

-كنت جنديا في الجيش (الإسرائيلي) ...

-لم يكن هناك جيشا إسرائيليا بعد ؟

-الجيش بدأ، عندما بدأت الحرب عام ١٩٤٨، لم يكن جيشا رسميا وكان اسمه الهاجناة، وعندما أعلنت دولة (إسرائيل) عام ١٩٤٨ أصبحت هذه الكتائب جيش الدفاع (الإسرائيلي) ..، وكنت أنا في كتيبة (جفعاتي)، عملنا على طريق القدس في قرى مثل (خلدة) و(دير محيسن)، وفي وقت من الأوقات كنت قريبا من قرية (زكريا) ولكنني لم أدخل (زكريا) محاربا .

يعتقد أفنيري بأن الحديث عن الحرب عام ١٩٤٨، وما حدث فيها يستلزم ليس العودة خمسين عاما للوراء، بل إن الواقع يستلزم العودة ١٢٠ عاما إلى الوراء، حيث وصول أول دفعة من المستوطنين اليهود إلى فلسطين .ويضيف : (منذ ذلك التاريخ بدأ صراع تاريخي بين شعبين، يعتقد كل واحد منهما بأن الأرض ملكية لكل منهما، وهذا يختلف عن أية حرب أخرى أعرف عنها، لأنه

في العادة تقع الحرب بين دولتين حول قطعة أرض، بينما الحال هنا فإن كلا من الشعبين يدعي بأن الأرض له، وأنا كنت أعتقد بأن على الشعبين كان عليهما أن يناضلا معا ضد الاستعمار الخارجي) !! .

و يشير أفنيري إلى أنه عمل من أجل ذلك حركة عام (١٩٤٦) أي قبل الحرب، ومن أجل ذلك أصدر أيضا كتابا في نهاية عام ١٩٤٧ بعنوان (الحرب والسلام في المنطقة السامية) واستخدم عبارة (السامية) لأنها في رأيه هي العبارة الوحيدة التي توحد سكان هذه الأرض، ولم يستخدم كلمة شرق .. لأنها غير مناسبة وليس لها معنى فالشرق بالنسبة لمن ... ؟

ويقول، إنه أصدر، بعد تلك الحرب، كتابين أحدهما كان شعبيا جدا، وكان لسنوات أحد الكتب الأكثر مبيعا في (إسرائيل)، أما الكتاب الثاني فهو بعنوان (الوجه الآخر للعملة) والذي قوطع من قبل السلطة (الإسرائيلية)، وتحدث فيه عن الجرائم والمجازر التي وقعت خلال حرب عام ١٩٤٨ .

وردا على سؤال قال أفنيري إن تلك الحرب كان لا بد منها في الصراع، ويقول إن المهم تجاوز نتائج ذلك التاريخ وإيجاد حلا للصراع .. ! ويعتقد أفنيري بصحة موقفه في المشاركة في تلك الحرب : (كنا متأكدون في ذلك الوقت بأننا ندافع عن حياتنا، وإذا خسرنا الحرب كنا على قناعة تامة، بأننا إذا خسرنا سنرمى خارج البلاد، لذلك كان شعارنا ليس هنالك خيار آخر) .

ويقول ردا على سؤال (كان هنالك تأثير للقوى الأجنبية لكن الصراع كان بين شعبين، حتى لو لم يكن هناك فرنسيون أو إنجليز أو روس، الجانب اليهودي كان لديه هدف واضح وهو إقامة دولة يهودية مستقلة، وبعد الحرب العالمية الثانية التي قتل فيها (٦) ملايين يهودي، كان علينا أن نحصل على دولة يهودية مستقلة هنا) .

ويضيف أفنيري : (قبل مائة عام كان اليهود أقلية،في نهاية القرن الماضي كان هنالك (٥٠) ألف يهودي ونصف مليون فلسطيني، نحن لا نختلف على الوقائع، لكننا نختلف في تفسيرها) .

وردا على سؤال كيف يبرر الإرهاب الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني في تلك الحرب قال أفنيري : (الأعمال التي حدثت اعتبرت إرهابية من الجانبين، لسبب بسيط لأن كل طرف لم يكن يعترف بالآخر) .

وأضاف : (من الخطأ اتهام الجانب اليهودي بارتكاب مجازر، فهناك أعمال فظيعة حدثت من الجانب الآخر، فمثلا هنالك (٣٥) من جنودنا قتلوا في الطريق إلى غوش عتصيون وقطعت رؤوسهم وعلقت وساروا بها معلقة في القدس،ونحن رأينا صورهم على تلك الحال، في بداية الحرب كان كل جانب مقتنع أنه إذا سيطر فيجب قتل الجميع، ما كان يحدث شبيها بما حدث فيما بعد، وفي هذه السنوات في البوسنة، في النهاية الذين عانوا هم الفلسطينيون لأننا كسبنا الحرب، ويجب أن لا ننسى أنه في المناطق التي كان يسيطر عليها العرب لم يبق أي يهودي فيها وفي البلدة القديمة في القدس، تم إما قتل اليهود أو أسرهم، لقد كانت حرب قاسية بين الطرفين، عندما دخلنا الحرب كان هنالك ٦٣٥ ألف يهودي في فلسطين قتل منهم ستة آلاف يهودي، كل أصدقائي قتلوا، كانت حربا قاسية جدا عنيفة من الطرفين) .

وأخذ أفنيري، الذي غالط في سرد الحقائق مثل إشارته لما حدث في مستوطنات كفار عتصيون، طرف الحديث إلى جانب آخر لترسيخ ما طرحه من أفكار: (في الأول من أبريل عام ١٩٤٨، بدأنا الهجوم لفتح الطريق إلى القدس، وكانت فرقتان من الجيش تنتظر في ميناء تل أبيب، قدوم سفينة من الاتحاد السوفيتي محملة بالأسلحة، جميع أسلحتنا جاءت من الاتحاد السوفيتي ومصنوعة في تشيكوسلوفاكيا وخلال الحرب كان الاتحاد السوفيتي يعطينا دعما دائما، ويمدنا بالبنادق والمدافع، لأنهم اعتقدوا أن وجود دولة يهودية هنا أفضل من مستعمرة بريطانية، وحتى عام ١٩٥١ كان السوفيت يعطوننا دعما سياسيا كاملا، ولكن بعد وفاة ستالين بدأت السياسة السوفيتية تتغير لصالح العرب).

-ولكننا نعرف أن الاتحاد السوفيتي كان يحارب النشاط الصهيوني، واعتقلت القوات السوفيتية، مثلا، مناحيم بيغن ورحلته لسيبيريا بسبب نشاطه الصهيوني كما رواها في مذكراته .

-صحيح ... ولكنهم كانوا يحاربون النشاط الصهيوني في بلادهم وليس هنا.
-سالت أفنيري : هل ارتكبت جرائم في تلك الحرب ؟
-القتل محتمل جدا، كل حرب يحدث فيها ذلك، خصوصا وأننا كنا نحارب في الليل...
-أين حاربت.. ؟

-قاتلت في عدة قرى من (دير محيسن) حتى (عسقلان)، وكان لوحدتي دور في معارك كثيرة حدثت معظمها في الليل، وأنا أصبت في تلك الحرب في منطقة (عراق المنشية) والتي اسمها اليوم (كريات غات) وكان في الجانب الآخر الرئيس عبد الناصر، وفي كتابي (إسرائيل بدون صهيونية) كتبت فصلا عن هذا الموضوع وطلبت من صديق مشترك، هو (أريك رولو) أن يعطيه لعبد الناصر بعد أن أصبح رئيسا، وقال عبد الناصر إن وصفي للأحداث كان صحيحا.

-ما هو شعورك الآن وأنت شاركت في ذلك الإرهاب ضد الشعب الفلسطيني؟

-دعنا لا نسميها إرهابا، نسميها حربا، حرب ١٩٤٨ كانت مأساة ومحزنة جدا ونتيجتها مازلنا نعيشها حتى الآن، ولا توجد فائدة لأي جانب أن يفكر بنفس الاعتقاد لدى الطرف الآخر، والحديث عن الطرف اليهودي كعصابات من القتلة، والآن هنالك كتاب يهود يحكون عن العصابات العربية، يجب أن نبتعد عن هذه الكلمات، كلا الطرفين حاربا من أجل هدف ...

-هل تشعر بندم على مشاركتك في تلك الحرب ؟

-لا ...، ولكنه من المؤسف، وبعد خمسين عاما من الحرب، لم نضع نهاية للمأساة، مأساة اللاجئين، ويجب أن نبدأ الآن في التفكير بوضع حد لمأساة اللاجئين، ومن مضمون السلام أن نجد حلا عادلا وعمليا لمأساة اللاجئين !! .... ودائما عندما ألتقي أصدقاء من الفلسطينيين، أسألهم من أية قرى لجأوا أو لجأت عائلاتهم، وكثير منهم يذكرون أسماء قرى قاتلت فيها، وبالأمس سألت (ساجي سلامة - المسؤول السابق في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) وروى لي

كيف خرجوا من عسقلان، وقلت له إنني شاهدت خروجهم من على تلة قريبة، وكنت وقتها (حزينا) لخروجهم، وأعتقد أن تهجير الناس كان خطأ، وأعتقد وبعد كل هذه السنوات لم نغير الماضي ولكننا نستطيع التأثير في الحاضر والمستقبل ويجب أن يكون حل في هذا السلام للاجئين فلا يعقل أن نعمل سلاما مع نصف المجتمع الفلسطيني ونترك الآخرين، الذين في الخارج بدون سلام .

أضاف أفنيري : (كان لي صديق هو عصام السرطاوي، الذي ولد في عكا، وأرسله عرفات عام ١٩٧٥ لفتح اتصالات مع (الإسرائيليين)، وكنا نجتمع في اجتماعات عامة في أوروبا، وكان عصام يقول دائما : أنا وأفنيري مخربون قدماء، نريد أن نعمل معا سلاما، .. في الصراع التاريخي بين الفلسطينيين و(الإسرائيليين)، هناك صراع آخر بين معسكر السلام من الطرفين وأعداء السلام، وأنا في هذه الحرب من المعسكر الأول) ..

-وسألت أفنيري : هل صداقتك مع الفلسطينيين وزياراتك لهم هي نوع من طلب المغفرة ؟

-أفنيري : أعتقد أنه قبل أن نصل للسلام الحقيقي، فعلى دولة (إسرائيل) أن تعتذر للشعب الفلسطيني، فبينما كنا نقاتل، قمنا بعمل غير عادي ضد الفلسطينيين، فالاعتذار مهم جدا ... وشخصيا أشعر بامتنان شديد لأن يتم استقبالي في مخيم اللاجئين ولا أنسى بأنني كنت جزءا من هذه الحرب ولدي مشاعر عميقة اتجاه أصدقائي الفلسطينيين (!!) .

ولكن ما حدث للشعب الفلسطيني لا يمكن معالجته، بأي شكل من أشكال المشاعر .. ! حتى لو كانت من إرهابي (سابق) كان مقتنعا أنه يقوم بواجبه تجاه شعبه و(وطنه) .. !



الفصل الثاني

حروب غولدا مئير المستمرة

من يقتل إسرائيليا .. !

في الذكرى الحادية والعشرين لقيام مجموعـة فلسـطينية، هـي المنظمـة التـي عرفـت باسـم أيلول الأسود، قامت بعملية احتجاز البعثة الرياضية الصـهيونية في دورة الألعـاب الأولمبيـة فـي ميـونخ الألمانية عام ١٩٧٢، والتي انتهت بقتل الرياضـيين ونصـف خـاطفيهم، أدلى أهـرون يـاريف مـدير مركـز الأبحاث الإستراتيجية في جامعة تل أبيب، والذي شغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية الصـهيونية في تلك الفترة (فترة ميونخ) بحديث مدوي لشبكة التلفزيون البريطانية (بي.بي.سي) في أيلـول ١٩٩٣ روى فيه قصة الاغتيالات التي نفذتها (إسرائيل) وطالـت عـددا مـن القـادة الفلسـطينيين في عواصـم عالميـة مختلفة بطلب وموافقة غولدا مئير رئيسة وزراء (إسرائيل) في تلك الفترة،والتي استمرت لسـنوات تاليـة ..

ورغم أن الجميع كان يدرك مسؤولية (إسرائيل) عن تلك الاغتيالات، إلا أن اعترافات يـاريف، أثارت ضجة كبيرة حتى في (إسرائيل) نفسها .قـال يـاريف : (كـان هـدفنا توصـيل رسـالة للفلسـطينيين ولغيرهم، بأن من يقتل (إسرائيليا) سيظل مطاردا حتى في فراشه) .

والقصة، كما رواهـا رئـيس الاسـتخبارات الأسـبق، ونقلتهـا في حينـه وكـالات الأنبـاء وشـغلت عناوين الصحف لفترة وكانت مدار تعليقات عديدة صهيونية وفلسطينية وعربية وعالمية، هي أن غولدا مائير رئيسة الوزراء الصهيونية الشهيرة، شكلت فرقة اغتيالات، بعد عملية ميونخ، وبدأت الفرقـة عملهـا بإشراف رئيس الموساد وقتذاك (تسفي زامير)، وكان على رأس الفرقة (مايـك هـراري) المرتـزق الصـهيني المعروف فيما بعد والذي كان مقربا من رئيس بنما السابق المعتقل في أمريكا الآن (نورييغا) .

وحسب ذكر ياريف لأسماء الذين تم اغتيالهم بحجة ميونخ، يتضح بأن العديد منهم لم يكـن له علاقة بالعمل العسكري بشكل عام، وبميونخ على وجه الخصوص، وربما لم يحمل بعضـهم مسدسـا في حياته، وهو ما كانت تفسره

المصادر الفلسطينية، بأن عجز الموساد وفشله، في أحيان كثيرة، ولأسباب مختلفة عن الوصـول للعسكريين، كان يعوض باغتيال الدبلوماسيين والكتاب .

وجاء ياريف بعد سنوات من الصمت ليبرر تلك الموجة الطويلة من الاغتيالات التي اسـتمرت سنوات، بحادث مقتل الرياضيين في ميونخ، وهو أمـر مـن الصـعب إخضـاعه لأي منطـق، إلا أن سياسـة الاغتيالات هي استراتيجية ثابتة لدى قادة (إسرائيل) يمارسونها، في كل الظـروف وكـل الأوقـات، وبـدون حاجة لأي مبرر .

ومن الفلسطينيين الذين تم اغتيالهم حسب رواية ياريف،ومن الذين تجاهل ذكر أسـمائهم، ومن الذين اغتيلوا بعد اعترافاته :

-بعـد ميـونخ سـجلت محـاولات اغتيـالات عديـدة بـالطرود الملغومـة ومـن بـين الـذين تـم استهدافهم بتلك الطرود، ممثل منظمـة التحريـر في الجزائـر : أبـو خليـل الـذي أصـيب بجـراح، ممثـل المنظمة في طرابلس مصطفى عوض وأصيب بالشلل والعمى، فاروق القدومي رئـيس الـدائرة السياسـية في المنظمة، هايل عبد الحميد من قادة فتح (والذي سيستشهد فيما بعد) تسلما طردين مفخخين أثنـاء وجودهما في القاهرة، عمر صوفن مدير الصليب الأحمر في استكهولم وفقد أصـابع يديـه، عـدنان أحمـد من قادة اتحاد الطلبة الفلسطينيين أصيب بجراح في بون، أحمد عبـد اللــه وهـو مـن نشـطاء الحركـة الطلابية : فقد ذراعه في كوبنهاجن .

-وائل زعيتر (١٩٣٤ - ١٩٧٢)، وهو سياسي وأديب ودبلوماسي، وابن مؤرخ فلسطيني معـروف هو عادل زعيتر عمل في العمل الإعلامي والدبلوماسي التابع لمنظمة التحرير،وخلال عمله ممثلا لمنظمـة التحرير الفلسطينية في روما،سجل له نجاحه في إقامة علاقات واسـعة مـع النخـب السياسـية والأدبيـة والثقافية الإيطالية، واستطاع أن يقدم القضية الفلسطينية بنجاح ملحوظ للرأي العـام الإيطـالي، وأسـس مع قوى إيطالية مختلفة لجنة للتضامن مع القضية الفلسطينية، وربطته علاقات مع الحـزبين الاشـتراكي والشيوعي الإيطاليين، وترجم (ألف ليلة وليلة) للغة الإيطالية، وكان صديقا لأديب إيطاليا الكبـير ألبرتـو مورافيا، وصله مايك هراري، في ١٩٧٢/١٠/١٧ بعد فترة وجيزة من عملية

ميونخ، واغتاله في روما، وشارك رئيس الموساد نفسه (زامير) باغتياله بإطلاق ١٢ رصاصة عليـه من مسدسات كاتمة للصوت .

-الدكتور محمود الهمشري (١٩٣٨ - ١٩٧٢) ممثل منظمة التحرير في فرنسا، ومـن المناضـلين الأوائـل في حركـة فـتح، دخـل في عـام ١٩٦٨م إلى الأرض المحتلـة لتنظـيم خلايـا للمقاومـة، اغتيـل يـوم ١٩٧٢/١٢/٨م، بواسطة شحنة ناسفة وضعت بجانب هاتف منزلـه، ومثـل زميلـه وائـل زعيـتر، نجـح في إقامة علاقات واسعة مع ممثلي الرأي العام الفرنسي، وكان هدفا سهلا للموساد الصـهيوني بحكـم عملـه السياسي والدبلوماسي، ولم يحمـه وجـوده الـدبلوماسي في فرنسـا مـن قبضـة الموسـاد. وحسـب مصـادر فلسطينية، فإن الموساد استخدم حيلة غير معقدة للإيقاع بـه،فقبل الاغتيـال اتصـل بـه شـخص منـتحلا صفة صحافي إيطالي، طالبا إجراء مقابلة معه، وتم تحديد مكان اللقاء في مكتب المنظمة في بـاريس، وفي هذه الأثناء، التي ضمن فيها الموساد غياب الهمشري عـن المنـزل، تسـلل عمـلاؤه إليـه، ووضـعوا عبـوة ناسفة في الهاتف،وعندما رفع الدكتور الهمشري سـماعة الهـاتف ليجيـب عـن مكالمـة،ورد عـلى سـؤال الطالب على الطرف الآخر، بأن الدكتور الهمشري يتحدث، ضغط عملاء الموساد على الزر القاتل، فتفجـر الهاتف بالدكتور الهمشري،وتسربت معلومات عن مسؤولية مايكل هراري عن اغتياله .

-باسل الكبيسي (١٩٣٤ - ١٩٧٣)، العراقي أحد نشطاء حركة القوميين العرب وأحد كوادر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فيما بعد والذي اغتيل، بسهولة،في باريس أيضا (١٩٧٣/٤/٦) بإطلاق عدة طلقات عليه،من قبل إرهابيين، من مسدس بريتا كاتم للصوت، وبعد استشهاده نشر رفاقه في الجبهة الشعبية رسالته التي نال عنها درجة الدكتورة في العلوم السياسية، وهي دراسة هامة عن (حركة القوميين العرب) .

-اغتيال ثلاثة من القادة البارزين، كمال ناصر : الناطق باسم منظمة التحرير، كمال عـدوان، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، محمد يوسف النجار:

عضو اللجنـة المركزيـة لحركـة فتح،وذلـك في العمليـة التـي عرفـت باسـم ربيـع فـردان يـوم ١٩٧٣/٤/١٠ .

- زياد وشاحي، اغتيل في قبرص (١٩٧٣/٤/٩)، وذلك بتفخيخ سيارته.

- عبد الهادي نفاع وعبد الحميد الشيبي، اغتيلا في روما ١٩٧/٦/١٠، بتفخيخ سيارة .

-حسين علي أبو الخير : اغتيل في نيقوسـيا (١٩٧٣/١١/٢٥)، وكـان ممـثلا لمنظمـة التحريـر في قبرص، واستطاع عملاء الموساد اغتياله بواسطة شحنة ناسفة وضعت تحت سريره في الفندق الذي ينزل فيه،وكان يعتبر قناة الاتصال بين المنظمة والمخابرات السوفيتية .

-موسى أبو زياد : اغتيل في نيسان ١٩٧٣م في أثينا بشحنة ناسفة وضعت في غرفة فندقه .

-محمود أبو ضياء : وهو مواطن جزائري يعمل في صفوف منظمة التحرير اغتيـل في بـاريس (١٩٧٣/٦/٢٨) بواسطة سيارة مفخخة .وحكاية أبو ضياء الذي عمل في فترة من حياته مخرجا مفجعـة، فهو كان في بيروت عام ١٩٧٣ عندما وقعت عملية (ربيع فردان) التي قتـل فيهـا ثلاثـة مـن كبـار قـادة منظمة التحرير الفلسطينية التي طلبت منه، وهو الذي يتقن اللغـة الفرنسـية، أن يسـاعد في التحقيـق مع مواطن فرنسي اسمه: إيف دي توريس كان يملك مطعما في بيروت، واتضح للمحققـين الفلسـطينيين في قضية (ربيع فردان) أن له علاقة بالموضوع .

وقيل إن الفرنسي كاد يعترف، ولكن ضغوطا من الدولة اللبنانية على جهاز الرصد الفلسطيني واتهامه بأنه يمارس سلطات الدولة اللبنانية، جعلته يسلم المـواطن الفرنسي ـ المـتهم للحكومـة اللبنانيـة التي أفرجت عنه بعد ٢٤ ساعة وسمحت له بمغادرة لبنان وبعد شهر أرسل أبو ضياء رسالة من بـاريس التي وصل إليها لأصدقائه الفلسطينيين في بيروت قال فيها : "ليس من قبيل الصدفة

أن أصطدم بالفرنسي دي توريس الذي حققت معه في بيروت في كل مكان أذهب إليه في باريس" .وبعد يومين من تسلم الرسالة اغتيل أبو ضياء .. !

- محمود ولد صالح، وهو أحد كوادر منظمة التحرير اغتيل في باريس (١٩٧٧/٢/٢) .

- لدكتور عز الدين القلق، اغتيل في باريس ١٩٧٨/٨/٢، التي كان ممثلا لمنظمة التحرير فيها، ولينضم لكوكبة المثقفين والدبلوماسيين الذين طالتهم يد الموساد الطويلة، وهو، من جانب آخر أحد ضحايا القصور الفلسطيني في حماية الكوادر .

- إبراهيم عبد العزيز : اغتيل بتاريخ ١٩٧٨/١٢/١٥ في قبرص، وكانت له مسؤوليات تتعلق بالعمل العسكري في الأراضي المحتلة .

- حسن علي سلامة، القائد الأمني البارز في منظمة التحرير، اغتيل في بيروت (١٩٧٩/١/٢٢)، والمسؤول عن عدة عمليات استهدفت المصالح الصهيونية والغربية، وارتبط اسمه خطأ بمنظمة أيلول الأسود وبعملية ميونخ أيضا .

- زهير محسن، زعيم منظمة الصاعقة ذات الصلة الوثيقة بحزب البعث السوري، وممثلها في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، اغتيل في مدينة كان الفرنسية السياحية (١٩٧٩/٧/٢٥).

- يوسف مبارك، وهو أحد المثقفين المناضلين، اغتيل في باريس (١٩٨٠/٢/١٨).

- الدكتور نعيم خضر، ممثل منظمة التحرير في بروكسل، وهو مناضل ومثقف معروف، اغتيل في بروكسل (١٩٨١/٦/١) .

- محمد طه، وهو أحد ضباط الأمن في حركة فتح، اغتيل في روما (١٩٨٠/٦/١٦).

- طارق سليم: من كوادر حركة فتح وتم اغتياله في بيروت بتفجير قنبلة (١٩٨١/١١/١٠).

- إلياس عطية: من كوادر حركة فتح اغتيل وزوجته (١٩٨٢/٤/١٠).

- نزيه درويش اغتيل خارج مكتب منظمة التحرير في روما (١٩٨٢/٦/١٦).

- عزيز مطر، وهو طالب فلسطيني في جامعة روما، اغتيل بإطلاق النار عليه أمام منزله في روما (١٩٨٢/٦/١٧).

- كمال حسن أبو دلو، نائب مدير مكتب منظمة التحرير في روما، اغتيل في روما (١٩٨٢/٦/١٧).

- فضل سعيد الضاني، نائب مدير مكتب منظمة التحرير في باريس التي اغتيل فيها (١٩٨٢/٧/٢٣) .

- مأمون شكري مريش، أحد مساعدي الشهيد خليل الوزير (أبو جهاد) ومكلف بالعمليات الخارجية، تم اغتياله في أثينا (١٩٨٣/٨/٣٠) .

- جميل عبد القادر أبو الرب، مدير شركة ملاحة تجارية في اليونان، اغتيل في أثينا (١٩٨٣/٢/١٣/٢٢) .

- إسماعيل عيسى درويش، من كوادر حركة فتح العاملين في القطاع الغربي المسؤول عن الأرض المحتلة، اغتيل في روما (١٩٨٤/١٢/١٤) .

- خالد نزال، عضو اللجنة المركزية في الجبهة الديمقراطية، اغتيل في روما (١٩٨٦/٦/٩م)، عندما أطلق النار عليه مسلحان على دراجة نارية على بوابة أحد الفنادق.

واتهمت عميلة أمريكية للموساد تدعى (ألن بكلي) بالتورط في حادث الاغتيال، وحسب المصادر الفلسطينية فإن بكلي، أصبحت عضوة في الجبهة الديمقراطية ذات التوجه اليساري والأممي، وتعرفت على خالد نزال، أحد المسؤولين العسكريين في الجبهة الديمقراطية، وله علاقة بالعمل العسكري في الأرض المحتلة، وعرفت ألن بكلي، بموعد لقاء بين نزال وأعضاء من الجبهة في الأرض المحتلة سافروا للقاء نزال في العاصمة الإيطالية، وكان من المفترض أن تحضر بكلي، ولكن حضر بدلا منها عميلان للموساد انتظرا نزال على باب الفندق، فأطلقا النار عليه وفرا على دراجتهم النارية، ليسقط نزال شهيدا وضحية للإرهاب الصهيوني، وقصور الاحتياطات الأمنية الواجب اتخاذها .

- منذر جودة أبو غزالة، قائد البحرية الفلسطينية وعضو المجلسين الثوري لحركة فتح والعسكري لمنظمة التحرير، اغتيل في أثينا١٩٨٦/١٠/٢١.

- واغتال الموساد أيضا ثلاثة من كوادر فتح، عرفوا بميولهم الدينية، واتهموا بتخطيطهم لعمليتين ضد الصهاينة بالقدس في حائط المبكى وفي الكنيست،واعتبروا مؤسسين للجناح العسكري لما سيعرف بحركة الجهاد الإسلامي، وهم حمدي سلطان، مروان الكيالي، ومحمد حسن الذين تم اغتيالهم في قبرص يوم ١٤/٢/ ١٩٨٨م، عندما استقل الأصدقاء الثلاثة سيارة مروان الكيالي، فتم تفجير السيارة عن بعد، بينما كانت زوجة مروان ترقب المشهد من شرفة منزلها، وكان ذلك أثناء التحضير لما عرف باسم سفينة العودة التي تمكن عملاء الموساد من تفجيرها هي الأخرى في اليوم التالي .وكان المسؤول المباشر عن عملية الاغتيال رئيس الموساد وقتذاك ناحوم أدموني الذي أرسل فريقا من القتلة إلى ميناء ليماسول القبرصي قاموا بتفخيخ السيارة التي أودت بحياة الرفاق الثلاثة وكانت من نوع فولكسفاجن (غولف) .

- خليل الوزير (أبو جهاد)، الرجل الثاني في حركة فتح، ومن مؤسسي الحركة مع ياسر عرفات وآخرين، وأرفع شخصية تغتالها (إسرائيل)، وتم ذلك بعملية (غزو) في مقر إقامته في تونس العاصمة (١٩٨٨/٤/١٦م) .

-وبتاريخ ١٩٩١/١/١٤م تم اغتيال القائد الفلسطيني الأبرز صلاح خلف (أبو أياد) مع اثنين من مساعديه فخري العمري (أبو محمد)، هايل عبد الحميد (أبو الهول) وهو مؤسس منظمة أيلول الأسود التي نفذ رجالها عملية ميونخ، ورجل الأمن الأول في فتح ومنظمة التحرير، وكانت منظمة التحرير فتحت تحقيقا في الموضوع، وحكم على منفذي الاغتيال بالإعدام .

-عاطف بسيسو : أحد الذين خلفوا أبو أياد في قيادة جهاز الأمن الفلسطيني، اغتيل في باريس (١٩٩٢/٦/٨) .

وكان التبرير لمعظم عمليات الاغتيال هذه هو عملية قتل البعثة الصهيونية في ميونخ، وهو ما يستوجب وقفة، وإشارة إلى أن عمليات الاغتيال التي استهدفت كوادر وقادة منظمة التحرير، سبقت العملية ومثال ذلك : محاولة

اغتيال بسام أبو شريف رئيس تحرير مجلة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بطرد ملغوم، أدى إلى إصابة أبو شريف بتشوهات في وجهه، ومحاولة اغتيال أنيس صايغ مدير مركز الأبحاث الفلسطيني والتي أحدثت تشوها في جسد الرجل أيضا، والمحاولة الناجحة لاغتيال أحد الكوادر التي لم تعرف أبدا بنشاطها العسكري، وهو غسان كنفاني الأديب المعروف، الذي زرع الموساد عبوة متفجرة كبيرة تحت كرسي السائق في سيارته وعندما أدار المحرك صباح يوم ١٩٧٢/٧/٨م استشهد مع ابنة أخته لميس، التي كان مصطحبها معه لتسجيلها في الجامعة، وغسان هو من معسكر سياسي مغاير لفتح، كونه عضوا بارزا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ويمكن اعتبار عملية ميونخ في أحد وجوهها رد فعل على عملية الموساد ضد كنفاني في بيروت، عندما أيقن أبو إياد ورجاله أن بيروت لم تعد آمنة لرجال منظمة التحرير، وأنه لا بد من عمل ورد يفهم (الإسرائيليين)، بأن الفلسطينيين يستطيعون الرد.

أما الوقفة فتتعلق بما جرى فعلا في ميونخ، وبعد أن استمع العالم مطولا، لاتهامات (إسرائيل) حول العملية، تحدث القائد الفلسطيني محمد داود عودة (أبو داود)، الذي فشلت (إسرائيل) في محاولات لاغتياله، للصحافي الفرنسي جيل دو جونشية وأصدر كتابا روى فيه تفاصيل عملية ميونخ بعنوان (فلسطين : من القدس إلى ميونخ) وأثار ذلك زوابع في صيف ١٩٩٩م أي بعد ٢٧ عاما من ميونخ، محملا القيادة (الإسرائيلية) وغولدا مئير المسؤولية عن مقتل الرياضيين (الإسرائيليين) في ميونخ، ومؤكدا أن معظم من تم اغتيالهم بحجة ميونخ ليسوا لهم علاقة بذلك، وأن (إسرائيل) لا بد وأنها كانت تدرك ذلك .

ميونخ أولا

اكتسبت عملية ميونخ التي تبنتها منظمة أيلول الأسود،والتي أخذت اسمها من الأحداث الدامية في الأردن بين قوات منظمة التحرير والجيش الأردني والتي انتهت بخروج الفدائيين الفلسطينيين من الأردن إلى لبنان، التي كان قائدها الأبرز

صلاح خلف (أبو أياد)، أهمية كبيرة وأحدثت دويا وصدى تردد صداه في العمليات المخابراتية الكثيرة خلال أكثر من عقد في عواصم العالم المختلفة والتي كان من نتائجها المأساوية تلك الاغتيالات التي طالت مثقفين وسياسيين ودبلوماسيين فلسطينيين وعرب بذريعة مسئوليتهم عن تلك العملية وهو أمر غير صحيح .

وفي صيف ١٩٩٩م، فجر القائد العسكري الفلسطيني السابق محمد داود عودة (أبو داود) قنبلة غير عسكرية هذه المرة، وهو المسؤول عن تفجيرات عسكرية كثيرة، حين نشر كتابه (فلسطين من القدس إلى ميونخ) الذي يتحدث فيه للصحافي الفرنسي جيل دو جونشية، عن رحلته من مسقط رأسه في سلوان بالقرب من القدس إلى تخطيطه لعملية ميونخ، واعترافه بمسئوليته المباشرة عن تلك العملية، التي أودت بحياة ١١ رياضيا صهيونيا ورجل شرطة وطيارا ألمانيين، ونافيا أي علاقة لآخرين ارتبطت أسماؤهم بمنظمة أيلول الأسود أو ميونخ بتلك المنظمة أو العملية أمثال أبو حسن سلامة الذي اغتيل في بيروت عام ١٩٧٨م رغم أنه أصدر بيانا بمسؤولية المنظمة عن إحدى العمليات التي قام بها، وكذلك أبو يوسف النجار الذي اغتيل في عملية ربيع فردان في بيروت ١٩٧٢م والذي أصدر بيانا أعلن مسؤولية منظمة أيلول الأسود عن اغتيال وصفي التل رئيس وزراء الأردن، وحتى خليل الوزير الرجل الثاني في فتح الذي اغتالته المخابرات الصهيونية عام ١٩٨٨ في تونس لم يكن له علاقة بمنظمة أيلول الأسود أو عملية ميونخ،رغم أنه أصدر في إحدى المرات بيانا أعلن فيه مسؤولية أيلول الأسود عن عملية نفذها رجال أبو جهاد في بانكوك،وهذا كله على مسؤولية أبو داود، بعد سنوات طويلة من الصمت .

ولدى الإعلان عن نشر الكتاب بالفرنسية،وإعطاء أبو داود أحاديث عديدة للصحافة عن حقيقة ما حدث في ميونخ بالأسماء والمعلومات، أعلنت (إسرائيل) عن عدم سماحها لأبي داود بالعودة إلى فلسطين، والتي كان دخلها في ظروف سمحت فيها (إسرائيل) لأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني بالدخول إلى غزة لعقد اجتماع حضر جلسته الافتتاحية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وقرر

المجلس إلغاء بنود في الميثاق الوطني الفلسطيني كانت (إسرائيل) تشترط إلغاءها.

ولم تكن (إسرائيل) وحدها التي أثارها ما قاله أبـو داود مـن معلومـات جديـدة عـن عمليـة ميونخ، فالأرجح أنها كانت تعرف الكثير من الحقائق عن تلك العملية وعن مسؤولية صلاح خلـف (أبـو أياد) وأبو داود عنها، بل أعلنت فرنسا مثلا بأن أبو داود شخص غـير مرغـوب فيـه ومنعتـه مـن دخـول البلاد عندما دعته دار النشر (أن كـاري يـر) التـي أصـدرت كتابـه (فلسـطين : مـن القـدس إلى ميـونخ) للحضور إلى فرنسا احتفالا بصدور الكتاب .

وأصدرت ألمانيا مذكرة توقيف بحق أبـو داود لاعترافـه بمسـئوليته عـن العمليـة التـي جـرت فصولها الرئيسية على أرضها.والمذكرة أصدرها المدعي العام في جمهورية بافاريـا ألفريـد فيـك، ولم تكـن تلك المرة الأولى التي يحدث فيها هـذا، ففـي عـام ١٩٧٧م أوقـف أبـو داود في بـاريس، بموجـب طلـب تسليم من محكمة بافاريا، ولكن السلطات الألمانيـة الفدراليـة أبطلـت ذلـك الطلـب في حينـه وأبلغـت فرنسا بذلك .

وكلا الموقفين (الإسرائيلي) والألماني، بعد نشر الكتاب والزوابع التي خلقها، لهما أسبابهما، التـي سنتوقف عندها بعد أن نعرف ما حدث في ميونخ حسب رواية أبو داود .

واستهجنت بعض الأوساط الفلسطينية ما ذكره أبو داود في مقابلاته الكثيرة، عن رفاق السلاح السابقين ومعظمهم رموز وطنية بارزة مثل أبو يوسف النجار عضو اللجنـة المركزيـة لحركـة فـتح الـذي اغتالته (إسرائيل) في نيسان ١٩٧٢م.

حـدث تنابـذ إعلامـي، إن صـح التعبـير، مـن مناضـلين سـابقين، بحـق أبـو داود، معتـبرين أن (التاريخ لا يكتبه شخص واحد)، ومتهمينه بأنه يحاول التقليل من أدوار الآخرين .

وحظـي أبـو داود بتكـريم بعـض الجهـات، فمـنح جـائزة (فلسـطين - محمـود الهمشريـ) والهمشري كما أشرنا ممثل منظمة التحرير الفلسطينية الذي اغتيل في

فرنسا علم ١٩٧٣م، لسنة ١٩٩٩م، تكريما له بعد نشر كتابه، وأنشأت الجائزة جمعية التضامن العربية - الفرنسية ومجلة فرنسا - البلاد العربية، بعد اغتيال الهمشري .

يقول أبو داود إنه كان موجودا في ١٩٧٢/٨/١٨م في العاصمة التونسية، مع (أبو عمار وأبو يوسف النجار وأبو إياد)،في دارة وزير الخارجية التونسي محمد المصمودي الفخمة التي أعارها لهؤلاء، حين كان هو في إجازة .

وسبب وجود أبو داود مع قادة الصف الأول أولئك هو أن العادة جرت أن يرافق أي وفد من اللجنة المركزية لحركة فتح حين يكون في زيارة لبلد آخر لإجراء محادثات سياسية أن يرافق الوفد واحد أو اثنان من المجلس الثوري لحركة فتح، وأبو داود عضو في هذا المجلس الذي ينتخب من بين أعضائه، قيادة حركة فتح .

وذهب مع هؤلاء القادة إلى تونس تلبية لطلب صلاح خلف (أبو أياد) الذي قال له ستمضي ـ معنا يومين أو ثلاثة ثم تتجه إلى ميونخ ..!، تلك المدينة الألمانية كان سيتم فيها افتتاح الألعاب الأولمبية في ٢٦ آب.

وكان أبو داود وأبو أياد ومحمود عباس (أبو مازن)، فكروا بالقيام بعملية مدوية للفت انتباه العالم للقضية الفلسطينية، وكان التفكير بدأ بعملية خطف الرياضيين (الإسرائيليين) المشاركين في تلك الألعاب.

في البداية كان هناك تفكير للعمل ضد الموساد وأذرعه، ولكن جاءت عملية قتل غسان كنفاني في ١٩٧٢/٧/٨م،لتحمل رسالة فهمها المسؤولون الفلسطينيون بأن الصهاينة يقتلون من يستطيعون الوصول إليه من القيادات الفلسطينية بغض النظر عن مهامه : عسكرية أم سياسية كما كانت مهمات غسان، لتجعلهم يفكرون بعمل كبير يقول للصهاينة إن الفلسطينيين يستطيعون الوصول إليهم في الخارج حيث يسرح ويمرح رجال الموساد وليرضوا شعبهم الذي كان ينتظر منهم عملية ذات طابع ثأري على عمليات الاغتيال وعلى القصف الصهيوني المتزايد لقواعد الفدائيين في لبنان، وكان هناك تقدير بأنه إذا

لم يكن هناك مبادرة لعمل ثأري، فستخسر فتح، كبرى الفصائل الفلسطينية، كثيرا جدا من رصيدها .

وكان هناك عدة اقتراحات، مثل استهداف سفارات وقنصليات صهيونية، ولكنها رفضت،لتجنب الإحراجات مع الدول المضيفة لتلك السفارات والقنصليات، وبرزت فكرة ميونخ، عندما رفضت اللجنة الأولمبية إشراك فريق فلسطيني في الأولمبياد العشرين في ميونخ، فاقترح فخري العمري (أبو محمد) مساعد أبو إياد والذي اغتيل معه لاحقا، بالدخول إلى القرية الأولمبية بدون إذن .

وعندما سأله أبو إياد :

-ماذا نفعل هناك ؟

أجابه فخري العمري :

-نحتجز الرياضيين (الإسرائيليين) .

فرد عليه أبو إياد :

-أنت مجنون.

وتدخل أبو داود مؤيدا لفكرة فخري العمري، على اعتبار أن الصهاينة لا يولون أية أهمية أو اعتبارا لأي شيء، ولأن رياضييهم أصلا عسكريون .

ولتعزيز فكرته قال أبو داود إن (المدربين والمعالجين والرياضيين يأتون عمليا من مؤسسة أورد وينغايت التي تحمل اسم ذلك الضابط البريطاني سيئ السمعة الذي نظم بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٣٩ في فلسطين وبمساعدة الهجاناة قوات المغاوير التي خاض ضمنها أمثال ديان وألون أولى معاركهم ضد جيل آبائنا، وتحوي المؤسسة تجهيزات هائلة قرب البحر شمال تل أبيب، وبحسب ما يوحيه اسمها، يقوم بالمهمات الإدارية والتنظيمية فيها قدامى ضباط الاستخبارات أو ضباط فرق المغاوير الخاصة الذين ينتمون إلى كوادر الاحتياط في الجيش الصهيوني، وتدرب فيها كل الرياضات، ويجري فيها بشكل خاص إعداد المصارعين وأبطال الرماية) .

ويبدو أن أبو أياد اقتنع، فطلب من أبي داود، خلال جولته في مهام في أوروبا، لشراء أسلحة، أن يمر إلى ميونخ ويستطلع الأمر .. !، على أن يكلم أبو

أياد أبا مازن، المسؤول المالي في ذلك الحين، كي يتم توفير ميزانية للعمل إذا تم الاتفاق عليه .

لدى وصوله إلى ميونخ، بدأ أبو داود مهمتـه، حصـل عـلى خريطـة للمدينـة وكتيبـات خاصـة بالأولمبياد وقائمة بأسماء الفنادق وخطط سير المترو وكتيبات أخرى بهذا الشـأن، واسـتقل المـترو وذهـب إلى القرية الأولمبية شمال المدينة واستطلع الأمر ولكن كان العمل لا زال جاريا في القرية، وبعـدها بأيـام قابل أبا أياد في أثينا، فأخبره بموافقة أبي مازن مبدئيا على العملية وطلب منه دراسة الوضع من جديد .

وفي هذه الأثناء، جرت محاولة لاغتيال بسام أبو شريف رئيس تحريـر مجلـة الهـدف، المجلـة المركزية للجبهة الشعبية بواسطة طرد مفخخ، وكذلك جرت محاولـة لاغتيـال أنـيس صـايغ مـدير مركـز الأبحاث الفلسطيني، وأسفرت المحاولتان عـن إحـداث تشـوهات في الـرجلين اللـذين لم يكونـا لهـما أي علاقة بالعمل العسكري.

ومضت الخطة بالتبلور أكثر فأكثر، والتقى أبو داود مع أبـو أيـاد وفخـري العمـري في صـوفيا عاصمة بلغاريا وناقشوا من جديد أمـورا تتعلـق بالعمليـة المـراد تنفيـذها في ميونخ،مثـل الـبلاغ الـذي سيسلمه الفدائيون الذين سيحتجزون الرياضـيين الصـهاينة، للسـلطات الألمانيـة، والقائمـة التـي ستضـم أسماء معتقلين فلسطينيين في سجون (إسرائيل) للطلب بإطلاق سراحهم مقابل إطلاق سراح الرياضـيين، وتذليل العقبات بشأن جوازات السـفر للـذين سـينفذون العمليـة وتأشـيرات الـدخول والإقامـة وتـأمين وصول السلاح.

وتم الاتفاق مبدئيا على أن يكون يوسف نزال الملقب بـ (تشي)، قائدا لفرقة الفـدائيين الـذين سينفذون العملية،يقول أبو داود عنه إنه (أحـد ضـباط العاصـفة الشـبان، كنـت التقيتـه مـرة في نهايـة ١٩٧١، عندما كنت قائد الشعبة ٤٨، كانت قاعدته قرب النبطية في جنوب لبنان، وكان من أولئك الـذين يقومون بعمليات خلف الحدود مع (إسرائيل)، وهو أصغر مني بعشر سنوات تقريبا، وقـد تـدرب عـلى يد صديقي الراحل وليد أحمد نمر (أبو علي أياد) وكان يتبعه في الربيع

السابق في تلال جرش وعجلون في الأردن، وقد نجا من الكارثة النهائية، مثله مثل عدد من الآخرين، وأخيرا كان في عداد قادة الفدائيين الذين رأيتهم في بيروت، بعد غارات الطيران الصهيوني القاتلة في شباط ١٩٧٢ على جنوب لبنان، وهم يتوسلون أبو أياد القيام بتنظيم شيء ما، في مكان ما، فيردون بذلك الصاع صاعين، والتحق منذ ذلك الوقت بمخيمنا الصغير شمال صيدا).

ولكن كان هناك شيء سلبي لدى (تشي) كما رأى أبو داود، وهو قصر قامته، لأن الفدائيين الذين سينفذون العملية عليهم تسلق سياج بطول مترين للدخول إلى القرية الأولمبية، واحتجاز الرياضيين الصهاينة وبدء عملية المقايضة بأسرى في سجون الاحتلال .

وتبلورت خطوط تفصيلية للعملية : يدخل الفدائيون وهم يلبسون الملابس الرياضية عن طريق السياج، كأنهم فرقة رياضية عائدة بعد سهرة، ويقتحمون مقر البعثة الصهيونية والرياضيون نيام، وتم الاتفاق مبدئيا على أنه إذا كان عدد الرياضيين الصهاينة مع طاقم التدريب والإدارة يصل إلى ثلاثين، فإن عشرة رجال يكفون لتنفيذ المهمة التي لن تطول إلا عدة ساعات .

وكل ذلك تم بين أبو داود وفخري العمري ويوسف نزال (تشي) الذين التقوا في ميونخ وبدأوا بدراسة الوضع ميدانيا على الأرض .وبعد ذلك حدث لقاء بين أبو داود وأبو إياد في بيروت، تم فيها وضع أبو إياد في صورة ما حدث، وتم تجهيز جوازات سفر أردنية مزورة لدخول الفدائيين بها إلى ألمانيا، وتم دراسة تفاصيل عملية التبادل المفترضة وتجهيز لائحة تضم مائتي أسير كان سيتم إضافة أسماء أسيرتين مغربيتي وفرنسيتين اعتقلن أثناء تهريبهن سلاحا لصالح الجبهة الشعبية وكذلك كوزو أوكاموتو من الجيش الأحمر الياباني والذي نفذ مع رفاق له عملية في مطار اللد، وستة من الضباط السوريين واللبنانيين أسروا من جانب الكيان الصهيوني .

وباقتراح من أبي داود،أضيفت للقائمة اسمي (أولركه ماينهوف) و(أندرياس بادر)، من مجموعة (بادر ماينهوف) الراديكالية الألمانية، المتعاطفة

مع قضية الشعب الفلسطيني، المحتجزان في السجون الألمانية. باعتقاد أن ذلك قد يشكل ضغطا على الحكومة الألمانية .

وأخبره أبو أياد بأنه سيوافيه في ألمانيا، لوضع اللمسات الأخيرة على العملية وتوصيل السلاح، وبعد أيام ذهب الإثنان مع وفد فتح المركزي إلى تونس حيث مكثوا في منزل وزير الخارجية المصمودي، كما أشرنا، ومن تونس غادر أبو داود إلى ميونخ.

وبدأ عمله في رصد وجمع المعلومات عن ما يجري في القرية الأولمبية وما يتعلق بالبعثة الصهيونية، وتحديد المبنى الذي ستنزل فيه البعثة .ولحقه أبو أياد في ٨/٢٤، والتقيا في فرانكفورت، كان أبو أياد قد أدخل معه الأسلحة في حقيبتين مع امرأة اسمها جوليت، ورجل فلسطيني اسمه علي أبو لبن، مرت الأمور بسلام في المطار وبدون إثارة أية شبهة .

وكانت الأسلحة عبارة عن ستة كلاشينكوف ورشاشين من نوع كارل – غوستاف، وتم الاتفاق على أنه بعد أن يعود أبو أياد وعلي في اليوم التالي إلى بيروت، سيعود علي على أول طيارة ومعه قنابل يدوية.

وعاد أبو داود إلى ميونخ، وأودع الأسلحة في الحقيبتين في خزائن الودائع في المحطة، وكان يحرص على تغيير مكانهما كل ٢٤ ساعة، ووصلت حقيبة القنابل اليدوية، وافتتحت الألعاب الأولمبية في ٨/٢٦، بينما كان أبو داود مستمرا في عمله وتمكن، بمساعدة امرأة فلسطينية تتقن الألمانية من الدخول إلى القرية الأولمبية ورصد مكان البعثة الأولمبية عن كثب، ثم تمكن أيضا من الدخول مع يوسف نزال ومحمد مصالحة الذين سيقودان مجموعة الفدائيين،والأكثر من هذا خدمته الصدفة والجرأة فدخلوا إلى مقر البعثة الصهيونية، واكتملت تفاصيل خطة احتجاز الرياضيين على أرض الواقع .

كان مع أبي داود في ميونخ يوسف نزال (تشي-) ومحمد مصالحة، اتصل أبو داود بعاطف بسيسو أحد مساعدي أبو إياد، في بيروت طالبا منه إبلاغ فخري العمري بأن كل شيء جاهز، وبأن يرسل الرجال الستة الآخرين، منفردين إلى ميونخ .

عقد أبـو داود اجتماعـا مـع يوسـف نـزال ومحمـد مصـالحة اللـذان لم يكونـا يعرفـان سـوى الخطوط العريضة للمهمة،وشدد عليهما بعدم القيام بأي عمـل انتقـامي ضـد الرياضـيين الـذين سـيتم احتجازهم مثل القتل أو الجرح، وبأن العملية هي سياسية وليست عسكرية،والظهور أمام الـرأي العـام كمقاتلين متمالكين لأعصابهم،ومعاملة المحتجزين بشكل جيد والتخفيف عنهم إذا لـزم الأمر،والتوضـيح لهم بأن الفدائيين مجبرون على توثيق أيديهم بالحبال لأسباب أمنية، وأن الهدف هو مبـادلتهما بأسـماء ٢٣٦ أسيرا تضمنتهم اللائحة النهائية .

وتم مناقشة أية أمور قد تطرأ، فمن بين المحتجزين المفترضين، هناك مصارعون ورجال أقوياء وآخرون تدربوا في الجيش، وإن ذلك قد يستدعي استخدام العنف لضبطهم .وتم الاتفاق على عدم فـتح النار إلا إذا كان خيارا أخيرا ووحيدا .

وناقشوا تفاصيل المطالب وطلب الطائرة لنقلهم والأسرى إلى بلـد آخـر، وحـدود التنـازل عـن المطالب وتم تعيين يوسف نزال مسؤولا عسكريا عن المجموعة، أما محمد مصالحة فتم تعيينه مسؤولا سياسيا عنها، بعد أن لمس أبو داود لديه، ما يسميه نضجا سياسيا .

ويوم ٩/٤ وصل الستة الآخرون ونزلوا في فنادق متفرقـة، كـان اتصـالهم مـع نـزال ومصـالحة فقط، ولم يكونوا يعرفون عن أبي داود شـيئا، كـما اعتقـد أبـو داود، الـذي أكمـل الاسـتعدادات فاشـترى ملابس رياضية وجهز آلات حادة وحبالا ومؤونة طعـام تكفـي لثلاثـة أيـام وغـير ذلـك مـن مسـتلزمات العملية .

وتم توزيع الأسلحة التي جلبت من المحطة على الحقائب وكذلك المؤونة وغير ذلـك، والتقـى أبو داود مع الجميع، وقدمه نزال ومصـالحة عـلى أنـه رجـل تشـيلي يـدعم القضـية الفلسـطينية، وتـم وضعهم في صورة المهمة المنتظرة ومناقشة مزيد من التفاصيل.

واستمر اللقاء يوم ٩/٥ حتى الثانية والنصف فجرا، وتوجه الجميع إلى القرية الأولمبية، ولـدى وصولهم، وأبواب القرية مغلقة، وصل أفراد من البعثة الأمريكية وهم ثملـين، وبـدأوا في محاولـة تسـلق السياج،واختلط الفدائيون

بالأمريكيين وساعدوا بعضهم بعضا على تسلق السياج، بينما الجميع يضحك ويغني .

ويذكر أبو داود هنا مفاجأة أخرى،غير مفاجأة مساعدة الأمريكان لهم بدون أن يدروا، فبعد أن تسلق الرجال السياج لم يبق من المجموعة غير فدائي واحد، كان كبير الحجم مثل أبو داود، وكان الإثنان يساعدان الآخرين كنقطتي ارتكاز لرفعهم، والآن جاء دور هذا الفدائي لكي يستخدم أبو داود كنقطة ارتكاز لتسلقه السياج، وبعد أن نجح في ذلك وأصبح فوق السياج شكر أبو داود ذاكرا اسمه، ومعنى ذلك أنه كان يعرف طوال الوقت هوية أبو داود، الذي قدم للفدائيين بأنه رجل تشيلي مؤمن بالقضية الفلسطينية .

وفيما بعد قال أبو داود واصفا ذلك المشهد (كان المنظر خياليا أن ترى هؤلاء الأمريكيين، الذين لا يشكون بالطبع أنهم يساعدون مجموعة من فدائيي أيلول الأسود الفلسطينيين في الدخول إلى القرية الأولمبية، يمدون أياديهم هكذا يأخذون حقائبنا المليئة بالأسلحة ويضعونها على الجهة الأخرى من السياج) .

وفي الساعة الرابعة فجرا، غادر أبو داود مستقلا سيارة إلى فندقه، وأخذ يستمع إلى الراديو ويقلب المحطات، وفي الساعة الثامنة صباحا أعلن عن نجاح خمسة مسلحين من التسلل إلى جناح البعثة الصهيونية وقتل واحدا واحتجز ١٣ آخرين .

ذهب أبو داود إلى القرية الرياضية ليكون على قرب من الأحداث، وكان الجميع يستمعون إلى أجهزة الراديو والألعاب مستمرة، وتم نقل الخاطفين مع المخطوفين إلى المطار، حيث كان بانتظار الجميع مذبحة شاركت فيها غولدا مئير رئيسة وزراء (إسرائيل) بتعنتها، حيث تم مهاجمة الجميع من الكوماندوز الألماني وتم قتل كل الرهائن وخمسة من الفدائيين وشرطي وطيار مروحية ألمانيين .

وهكذا انتهى أحد فصول عملية ميونخ التي أسماها الفلسطينيون عملية (أقرت وكفر برعم) على اسم القريتين المهجرتين في الجليل الفلسطيني، الذي يعتبره كثير من الفلسطينيين، بجماله الأخاذ، قطعة من الجنة .. !.

ميونخ أخيرا

وبـدأ العـالم يـردد كيـف أن الفلسـطينيين ارتكبـوا المذبحـة التـي ذهـب ضـحيتها الصـهاينة والألمانيين وخمسة منهم، حتى أن صناعة السينما استغلت الحدث وتم إنتاج فيلم بعنوان (٢١ ساعة في ميونخ) عرض الحقائق من وجهة نظر الإعلام الصهيوني والغربي، وكان لـدى الفلسـطينيين كـما قـال أبـو داود (مصلحة) في بقاء الصورة على ما عليها، ويذكر أنه عندما تـرك ميـونخ في ٩/٦ متوجهـا إلى تـونس والتقى هناك أبو إياد، أخبره الأخير بأنه إذا تم الفشل في إطلاق سراح الأسرى فإنه تم تحقيـق الأهـداف الأخرى، وأهمها تحقيق نجاح لدى الفلسطينيين الذين فرحوا في أرض الوطن وفي مناطق الشـتات وهـم يرون رجالهم يقومون بعمل ثأري بطولي ضد الصهاينة .

ولكن ما حدث حقيقة،هو أن السلطات الألمانية وافقت على نقل الخاطفين والمحتجزين إلى مطار فروشتفنلد، حيث يجب أن تنتظرهم طائرة كان من المفترض أن يستقلها الخاطفون والرهائن والتوجه بها إلى بلد آمن، بالنسبة للفلسطينيين كان هذا البلد هو مصر،حيث أن المتوقع من الحكومة المصرية أن لا تقوم بإطلاق سراح الصهاينة وهم من دولة معادية دون ثمن والثمن هو إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين .

ولكن ما خطط له بالخفاء لم يكن كذلك، فغولدا مئير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني رفضت من حيث المبدأ الاستجابة لمطالب الخاطفين، وأوفدت رئيس الاستخبارات العسكرية إلى ألمانيا لوضع كمين، لإنهاء عملية الاختطاف .

وعندما حطت المروحيتان على أرض المطار حتى ذهب يوسف نزال (تشي) ومحمد مصالحة لتفقد الطائرة الجاثمة في المطار التي ستقل الجميع، وعندما أنهيا الفحص وعادا أدراجهما، فتحت القوات الألمانية النيران باتجاههما فاستشهدا فورا إضافة إلى واحد أو اثنين من الفدائيين الذين نزلوا من المروحيتين.

وكان الخطأ بالنسبة للإثنين أنهما ذهبا لوحدهما لتفحص الطائرة وكان يجب أن يذهب الجميع معا، وبعد أن سقط ثلاثة أو أربعة من الفدائيين، كان الآخرون تحت المروحيتين أو في داخلهما ولم يستسلموا، وردوا على مصادر النيران الألمانية، وحدث ما حدث .. !

وكانت القصة التي تم ترويجها بأن الفدائيين، وقد وجدوا أنفسهم في هذا المأزق أخذوا في قتل الرهائن الصهاينة، وكان لدى الفلسطينيين (مصلحة) في تلك الرواية (حول الفدائيين الذين رأوا غدر الألمان فقاموا بالانتقام الفوري لرفاقهم الذين سقطوا) .

وذهب القائمون على العملية إلى أبعد مدى لتثبيت هذه الرواية، ففي السابع من أيلول أصدرت الحكومة المصرية بيانا قالت فيه إن الوحدات الألمانية هي التي قتلت الخاطفين والمخطوفين، فما كان من المسؤولين الفلسطينيين إلا (تكذيب) هذا البيان.

وفي مساء ذلك اليوم سلم إلى وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) خبر يعرض تفاصيل جديدة عن ما حدث مستندا إلى (مصادر خاصة) يقول الخبر إن (رجالنا فجروا قنابلهم داخل طائرتي الهليكوبتر مما أدى إلى استشهادهم، وإلى موت الرهائن وبعض الطيارين الألمان) ونسي واضعو الخبر، أن مروحية هليكوبتر واحدة فقط هي التي احترقت في أرض المطار .. !

وبعد ثلاثة أشهر عندما أفرج عن الفدائيين الثلاثة الذين نجوا من المجزرة من السجون الألمانية، في عملية مثيرة، سنشير إليها لاحقا، وقال أحدهم إنه كان منبطحا تحت إحدى مروحيات الهليكوبتر وأن الرهائن الذين كانوا فيها قتلوا برصاص الألمان، لم يعلن الفلسطينيون ذلك، وعندما نشر أبو إياد كتابه (فلسطيني بلا هوية) بمساعدة الصحافي الفرنسي الشهير : أريك رولو، تمسك بالرواية التي تزعم أن الفدائيين الفلسطينيين هم الذين قتلوا الرياضيين الألمان .

ولم يكن الأمر فقط هو التمسك برواية مغلوطة، فحسب أبو داود فإنه كان لديه ولدى القيادة اعتقاد بأن أحد الفدائيين هو الذي ألقى القنبلة اليدوية على إحدى

المروحيات فاحترقت، ولم يكن هناك ترجيح بأن تكون طلقات الرشاشات الألمانية هي التي أصابت خزان الوقود وأشعلت النيران فيها .

وبدأت فصول أخرى جديدة من عملية ميونخ وتداعياتها، التي سيقدر لها أن تستمر ربما حتى عام ١٩٩٢م، عندما قتل عاطف بسيسو في باريس وهو أحد الذين وردت أسمائهم في خضم العملية .

بعد ٤٨ ساعة من المجزرة (في ٩/٨)، قصفت الطائرات الصهيونية قواعد الفدائيين والمخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان، وسقط نحو ٢٠٠ شهيد أغلبيتهم من المدنين الفلسطينيين واللبنانيين .

وفي تلك الأيام جرى ما تحدث عنه أهارون ياريف من قرار غولدا مائير بتصفية كل من له علاقة بحادث ميونخ، والذي أدى إلى سلسلة التصفيات التي ذهب ضحيتها، كما أسلفنا الكثيرين ممن ليس لهم علاقة بتلك العملية .

وبعد يومين من الغارات المدمية على جنوب لبنان، نفذ الفلسطينيون عملية اغتيال لم تنجح في ٩/١٠ ضد زادوك أوفير وهو ضابط للموساد في بروكسل، كان أبو إياد وضع خطة لاستدراج أوفير الذي كانت مهمته تجنيد مخبرين عرب، وأرسل أحد رجاله واسمه محمد أحمد إلى بروكسل ليتسكع في العاصمة البلجيكية ويلفت نظر أوفير ليستخدمه، وهو ما حصل، وبعد يومين من بدء العمليات الانتقامية لضحايا ميونخ، طلب محمد أحمد من أوفير أن يقابله لأمر ضروري، والتقيا في أحد المقاهي في المدينة، وفور جلوسهما استل محمد أحمد مسدسه وأطلق النار على أوفير، وتمكن من الخروج مستغلا الفوضى التي عمت المكان، ورغم إصابته الحرجة فإن أوفير لم يمت .

ويوما ١٦ و٩/١٧، اجتاحت القوات الصهيونية جنوب لبنان ومسحت مخيم النبطية بالأرض وارتكبت جرائم عدة، وسحقت دبابة صهيونية سيارة فلسطينية فيها سبعة أفراد أوقفها جنود الاحتلال على حاجز أقاموه خلال اجتياحهم .

وبعد يومين من ذلك (٩/١٩) تمكن رجال خليل الوزير (أبو جهاد) من اغتيال المستشار الاقتصادي في السفارة الصهيونية في لندن بواسطة رسالة مفخخة وصلته من أمستردام .

وفي ١٦/ تشرين الأول، نفذ فريق التصفية الذي شكلته غولدا مئير بقيادة مايك هراري، أول عملية اغتيال ضد وائل زعيتر، والذي لم تكن علاقته بميونخ سوى تصريح أدلى به في روما، حيث كان ممثلا لمنظمة التحرير قال فيه : إن (الإسرائيليين) هم الذين خططوا لقتل الرهائن لتحقيق مكاسب سياسية.

والهدف الثاني كان محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير في باريس الذي اغتيل في ٨/كانون الأول، وتوالت الأهداف لتطال دبلوماسيين في قبرص والجزائر وليبيا .والحجة دائما هي ميونخ ..! .

ولم تكن ميونخ هي هاجسا للصهاينة فقط، بل للألمان أيضا، وحسب رواية أبو داود، فإن الألمان عرضوا، بشكل سري، القيام بعملية مدبرة يتم فيها تحرير الفدائيين الثلاثة المحتجزين لديها والذين ستبدأ محاكمتهم والتي من المتوقع أن تسلط أضواء جديدة على ما جرى بالفعل يكون في غير صالح ألمانيا .

والعرض الألماني كما تلقاه كمال عدوان عضو اللجنة المركزية في حركة فتح الذي اغتيل فيما بعد، هو استعداد الألمان دفع ٩ ملايين دولار، إضافة إلى مبلغ سنوي، مقابل تنفيذ عملية خطف مدبرة لطائرة ألمانية يجري بعدها إطلاق سراح الفدائيين الثلاثة المحتجزين في السجون الألمانية .ورفض أبو داود العرض الألماني، لاعتقاده أن صورة حركته ستهتز من عمليات خطف الطائرات التي لا يؤمن بها .

ولكن هناك من وافق على العرض الألماني، كما يؤكد أبو داود، ولم يكن ذلك الطرف سوى وديع حداد ورجاله، ففي ٢٩/تشرين الأول، خطف اثنان طائرة بوينغ تابعة للخطوط الجوية الألمانية أثناء رحلة لها بين دمشق وفرانكفورت، في أثناء توقف الطائرة في بيروت ولم يكن على متنها سوى ١٣

راكبا من بينهم الخاطفان، اللذان أعلنا مطلبهما بإطلاق سراح الفدائيين الثلاثة المحتجزين في السجون الألمانية وهو ما تم فعلا بعد ساعات .

و حملت وسائل الإعلام الصهيونية مسؤولية العملية لأبي حسن سلامة، وقالت إنه المسؤول عن عملية ميونخ، ويقول أبو داود عن ذلك إن أبا حسن يتحمل المسؤولية زاعما أن الأخير كان كلما التقاه في بيروت كان يقول له : (لقد صنعت التاريخ في ميونخ، وسيتذكرون ذلك في كل أولمبياد) .

و لكن أبو داود يؤكد بأن وديع حداد هو المسؤول عن العملية وهو من قبض المال، وينقل بأن أبا عصام المسؤول في الجبهة الشعبية اخبر أبو داود فيما بعد، بأن الألمان اتفقوا مع وديع حداد على تنفيذ العملية المدبرة .

و استمرت تداعيات ميونخ، ففي عام ١٩٧٧م تم توقيف أبو داود في باريس بموجب مذكرة توقيف بموجب طلب تسليم من محكمة بافاريا للحكومة الفرنسية، وتدخلت السلطات الألمانية الفدرالية وأبطلت ذلك الطلب، وأبلغت السلطات الفرنسية عدم موافقتها عليه .

و يقول أبو داود إن ضغوطا مورست على الحكومة الفرنسية لإطلاق سراحه من قبل ملك السعودية فيصل والرئيس الجزائري هواري بومدين والرئيس العراقي أحمد حسن البكر، وساعد على إطلاق سراحه موقف الحكومة الفدرالية الألمانية التي اتضح أنها لا تريد أي فتح تحقيق جدي في ما حدث في مجزرة ميونخ لعدم افتضاح موقفها المتواطئ مع الصهاينة المتعنتين الذي دبروا الكمين لقتل الخاطفين والمخطوفين.

و جاءت توابع عواصف ميونخ، أيضا، من مكان غير متوقع من الكيان الصهيوني نفسه، فصحيفة جيروسلم بوست الصادرة بالإنجليزية بالقدس، نشرت يوم ١٩٩٢/٧/١٦م، تقريرا بقلم نيتي .س. غروس تساءلت فيه عن إمكانية أن لا يكون الرياضيون الصهاينة سقطوا على أيدي الفدائيين الفلسطينيين فقط .

و أعلنت استغرابها عن امتناع الألمان عن نشر تقارير الطب الشرعي بعد تشريح الجثث، وتساءلت عن موقف الحكومة الصهيونية التي لم تطلب إطلاعها على نتائج التشريح، بالرغم من مطالب عائلات الضحايا بذلك .

و في ٢٣ /١٩٩٢/٧/، نشرت جريدة يديعوت أحرنوت، مؤكدة بأن ثمانية من الرياضيين قتلوا برصاص الألمان، مستندة إلى نسخة من تقرير الأطباء الشرعيين الألمان الذي حرر بتاريخ (١٩٧٢/٩/٦)، ويبدو أن محامي أهالي الضحايا هم الذين حصلوا عليه .

وعندما كتب أبو داود كتابه وقال روايته، مصححا ما كان شائعا، والذي غذته (إسرائيل)، رغم معرفتها بالحقيقة، وساهم الفلسطينيون بذلك لأسبابهم الخاصة، كانت المحاكم الألمانية ما زالت تنظر بدعوى رفعها أهالي الضحايا ضد السلطات الألمانية، وسارعت السلطات الألمانية، بناء على اعترافات أبو داود الجديدة، إلى إصدار مذكرة توقيف بحقه، وأعلنت (إسرائيل) فورا أنها لن تسمح له بالعودة إلى الأراضي الفلسطينية.

و إذا كان موقف الحكومة الألمانية طبيعيا،ويمكن أن يساعدها في الدعوى المقامة ضدها في إحدى المحاكم في ميونخ من قبل أهالي الضحايا الذين يطالبون بتعويضات مالية فإن موقف (إسرائيل) بدا مستغربا لأول وهلة، فهذا هو الرجل الذي يقر ويعترف بمسئوليته عن عملية ميونخ التي طاردت بسببها رجال منظمة التحرير على مدى سنوات،تحت قبضتها لأنه مقيم في الأراضي الفلسطينية ويدخل إليها من المعابر التي تحت سيطرتها ويمكن على الأقل أن تعتقله أو تصفيه، ولكنها تسارع بشكل علني للقول إنها لن تسمح له بالعودة .

و فسر هذا الموقف الصهيوني، بأنه في حالة السماح بعودة أبو داود إلى فلسطين، فإن ألمانيا ستسارع فورا للطلب بتسليمه بموجب مذكرة التوقيف، وسترفض (إسرائيل) بالطبع تسليمه لها، وبالتالي ستدافع عن نفسها في قضية التعويضات المنظورة في ميونخ، بأن الإرهابي المسؤول عن العملية لدى (الإسرائيليين)، وهي ترفض حتى تسليمه لها .

لقد بلغ مستوى الابتزاز الصهيوني للألمان،بهذا الموقف مداه،فبعد توريطهم بقتل المخطوفين والخاطفين،ها هي تتركهم وحدهم ليدفعوا أيضا الأموال لأهالي الضحايا الصهاينة .

و بعد فترة من انشغال الصحافة والإعلام في القضية ساد صمت ثقيل حول الموضوع، وبدا كأنه زوبعة في فنجان، فيبدو أن الجميع كانوا معنيين أن يطوي القضية النسيان، وعاد أبو داود إلى الظلام الذي خرج منه، ولكن يحسب له أنه قال روايته حول قضية بالغة الحساسية مثل ميونخ .

X وأخواتها ..!

قبل أن يدلي ياريف بحديثه الشهير للبي بي سي في أيلول عام ١٩٩٣ وكان يشغل منصب مدير مركز الأبحاث الاستراتيجية في جامعة تل أبيب ويعرف بأنه مستشار سابق لرئيس الحكومة لشؤون الإرهاب، فإن آلية اتخاذ قرارات الإعدام في (إسرائيل) وتنفيذها أصبحت معروفة منذ زمن، أو على الأقل ما تسرب من ذلك وعرف منها إعلاميا .

و يمكن القول إن فشل محاولة اغتيال ضابط الاستخبارات الفلسطيني علي حسن سلامة الشهير بالأمير الأحمر في مدينة ليلهامر النرويجية، ساهم في الكشف عن آلية عمليات الاغتيال الإرهابية التي قامت وتقوم بها (إسرائيل) وهزت العالم بعد أن أعطت غولدا مئير تعليماتها بملاحقة قادة فلسطينيين بعد عملية ميونخ.

في ذلك اليوم ١٩٧٣/٧/٢١ وفي الساعة ٢٢:٤٠ أطلق رجلان ١٤ طلقة أصابت مواطنا مغربيا يعمل نادلا اسمه أحمد بوشكي، فأردته قتيلا أمام زوجته النرويجية، وسنتطرق إلى تفاصيل هذه القصة في جزء قادم، ولكن كانت هذه العملية التي استهدف فيها علي حسن سلامة، سببا في الكشف عن كيفية عمل وحدات الموت في الموساد.

اعتقلت الشرطة النرويجية عددا من المتورطين في عملية الاغتيال، وحسب ما نشرته المصادر الصهيونية فيما بعد فإن اثنين من المعتقلين على الأقل أدلوا باعترافات كاملة وجدت طريقها إلى صفحات كتاب صدر في النرويج واحتل قائمة أكثر الكتب مبيعا وهو كتاب (طاقم التصفية) .

الصحافي الصهيوني جاد شومرون كتب في صحيفة (معاريف) بعد اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي في مالطا بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٥، مذكرا بتلك القصة البعيدة في مدينة الاستجمام النرويجية والاعترافات التي أدلى بها رجال الموساد. فماذا قال رجال الموساد ؟

كتب شومرون (وحدة التصفية في الموساد تابعة إلى وحدة تنفيذية سرية باسم متسادا، وقرارات الإعدام تقررها لجنة خاصة هي لجنة(×) وعلى رأسها يقف رئيس الحكومة وتضم رؤساء الاستخبارات، الموساد، الشاباك).

و تتبع (إسرائيل) سياسة عبر عنها ياريف بدقة حين قال (نحن ملزمون بإثارة المخاوف وقلق زعماء "المخربين" على حياتهم، لأن يعيشوا في خوف دائم، وأن يخصصوا جهدا وقوة كبيرة من أجل الحفاظ على أمنهم، وبهذا يكون لهم وقت أقل لتخطيط العمليات ضد "إسرائيل") .

و هنا لا بد من الإشارة إلى أن ياريف كان رئيسا لجهاز الاستخبارات العسكرية ومستشار غولدا مائير لشؤون الإرهاب وعضو لجنةx .

وحسب إرشادات لجنة x تقوم أجهزة المخابرات بجمع المعلومات حول الشخص المطلوب، ابتداء من مظهره الخارجي وبجلب صور له ودراستها وعناوين سكنه وعمله وأية تفاصيل من شأنها المساعدة والكشف عن أسلوب حياته وبرامجه اليومية، وعادة ما يتم تتبع الشخص المراد اغتياله في دولة أوروبية أو دول حوض المتوسط .ويتولى عمليات التعقب أفراد متخصصون في ذلك الأمر وهم قلة، على الأقل هذا ما اتضح من أقوال أفراد الموساد الذين اعتقلوا في النرويج.

ينقل شومرون عن شهادات رجال الموساد أولئك للشرطة النرويجية أن رجال التتبع والتعقب يعدون ستة رجال ونساء وجميعهم لهم قدرة على التنكر بأنهم مواطنون أجانب، ولهم خبرة عالية في أساليب التعقب السرية، وفي التصوير والمشاهدة السرية .

و بالإضافة إلى طاقم التعقب هناك آخرون يشاركون لإنجاح عمليات التصفية، مثل طاقم (ح) وغالبا ما يتكون من رجل وامرأة يمثلان دور زوجين،

يكونان مسئولين عن استئجار المنازل، أو غرف الفنادق وترتيب أمور أخرى تحتاجها عملية التصفية .

و هناك طاقم (ك) وهو المسئول عن الاتصال بين المنفذين الميدانين والقيادة في تل أبيب، يقول شومرون: (بعد القيام بالتشخيص المؤكد للشخص المطلوب، وبعد أن يتم إعطاء التصريح النهائي من المسئولين للتنفيذ، ينضم للعملية طاقمان جديدان)، وهما أولا طاقم (ب) والذي يضم حراسا وسائقين للهرب، ووظيفة رجال (ب) وهم متنكرون أيضا تحت غطاء أجنبي، التأكد من أن المطلوب لا يوجد حوله أو معه حراسة ومساعدة طاقم التصفية بترك المنطقة .والهرب عاملين بالمثل العربي الشهير (الهرب : ثلثا البطولة) .

و يمكن أن يكون أهم طاقم في العملية كلها هو الطاقم (أ) ومهمته هي تنفيذ حكم الإعدام الصادر من لجنة x الرهيبة، أي الذين يضغطون على الزناد وما هي إلا لحظات يكون المطلوب في عداد الأموات، إلا في حالات قليلة .

يقول شومرون واستنادا لبروتوكولات ليلهامر فإن أعضاء لجنة (أ) الذين ينفذون الإعدام هم من رجال الموساد أو (ضباط جيش من صفوف هيئة الأركان تخصصوا في هذا النوع من الإعدام، وهو طاقم يصل إلى المنطقة بهدف التنفيذ فقط ومباشرة بعد إنهاء العملية يترك المنطقة بسرعة) .وفي مرات كثيرة لا ينجحون مثلما حدث في تلك (الليلة المرة في ليلهامر) .

و عموما فانه يمكن الاستنتاج من خلال العمليات التي نفذتها الأجهزة الأمنية الصهيونية، الناجحة منها وغير الناجحة، أن هناك عدة أساليب تستخدم في مطاردة المطلوبين للجنة(×) ومنها مثلا : قيام وحدات الموساد بالتخطيط والتنفيذ مباشرة، وبالاستعانة بعملاء في بعض الأحيان ومثالا على ذلك سلسلة الاغتيالات التي ذهب ضحيتها قادة قتلوا بكواتم صوت .

و هناك استخدام السيارات المفخخة مثلما حدث مع علي حسن سلامة وهاني عابد، والقيام بعمليات كوماندوز تنفذها وحدات مختارة من الجيش الصهيوني مثلما حدث في اغتيال ثلاثة من قادة منظمة التحرير في شارع فردان في بيروت عام ١٩٧٣ أو مثلما حدث في اغتيال القائد خليل الوزير عام ١٩٨٨

في تونس العاصمة، وهناك أسلوب القصف بالمروحيات مثلما حدث مع الشيخ عباس موسوي في جنوب لبنان عام ١٩٩٢ ومع حسين عبيات رجل فتح العسكري في بيت ساحور عام ٢٠٠٠ .

و هناك عمليات يتم فيها الاستعانة بشكل مباشر بعملاء عرب أو أجانب مثلما حدث مع علي حسن سلامة ويحيي عياش وإبراهيم بني عودة. ويحاول الصحافي الصهيوني زئيف شيف التقليل من اتهام لجنة x التي يتخذ فيها قرارات الإعدام بأنها صماء وعمياء، وهو اتهام يوجهه المتابعون لسياسة الاغتيالات الصهيونية .

يشير شيف في مقال كتبه في صحيفة هارتس أواخر شهر ١٩٩٥/١٠ بعد نجاح (إسرائيل) في اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي إلى (أن عمليات المس بسيد القتلة تحتاج إلى تصريح صارم، توجد حالات يتم فيها عرض الأمر في لجنة الوزراء الأمنية، مثلا قرار اغتيال أبو جهاد في فترة قمة الانتفاضة، والذي اعتبر وزير الحرب، قائد القوات المسلحة في م.ت.ف، ومسؤولا عن العديد من العمليات "الإرهابية"، كانت تدور أحيانا نقاشات حادة، حتى عندما يكون الأمر متعلقا بتصفية قتلة أياديهم ملطخة بدماء "الإسرائيليين"، لم تقبل الأمور بموافقة الجميع، ليس لأن الأمر يتعلق بالمحافظة على حياة القتلة، بل لأنهم لم يتفقوا فيما إذا كان الأمر يلائم حقا مصلحة "إسرائيلية" حيوية) .

و يعطي شيف مثلا على ما يسميه الجدل قبل تنفيذ الاغتيال وبعده على حالة القائد الفلسطيني البارز أبو جهاد والشيخ عباس موسوي زعيم حزب اللـه الذي قتل مع زوجته وابنه بقصف من الطائرة في شباط ١٩٩٢ .يقول شيف: (كان هناك جدل وغالبية المستشارين كانوا ضد تنفيذ ذلك).

و السؤال إذا كانت الحالة هكذا بالنسبة لغالبية المستشارين، لماذا إذا نفذت (إسرائيل) الإعدام في أبو جهاد والشيخ موسوي ؟ .. والإجابة ببساطة أن الأجهزة الأمنية والعسكرية هي صاحبة القرار الأول والأخير في الاغتيالات سواء وافق على ذلك المستشارون والسياسيون أم لم يوافقوا، وهنا يتحول القتل، كما قلنا، إلى قتل من أجل القتل .. !

و رغم أن شيف يعلن موافقته، مثلا على عملية اغتيال الشقاقي لأن (ذنبه على جنبه) يتساءل (هل هذه الطريقة في محاربة "الإرهابيين" هي طريقة حكيمة ؟ وهل توجد بها فائدة تنفيذية وسياسية ؟) .

و يسارع شيف للقول ردا على التساؤلات التي يطرحها : (لا توجد إجابة شاملة لذلك، الحالات تختلف فيما بينها، هنا وهناك توجد حالات من الممكن أن تكون زائدة، ولكن توجد حالات أخرى أيضا فيها يعيش "إرهابي" فلسطيني قام بقتل "إسرائيلي"، بأمان وراحة في دولة مجاورة، ولا نكلف أنفسنا مشقة تصفية الحساب معه، والذي من المهم تصفيته) ..

و واضح تماما، أن شيف، وهو خبير استراتيجي مميز ورغم محاولته الإيحاء بأن عمليات الإعدام الصهيونية، ليست صماء، إلا أنه لم ينجح في ذلك بل إنه يحرض على قتل (الإرهابي) الذي يعيش بأمان في دولة مجاورة .

و لعل شي وآخرين من رجال الإعلام في (إسرائيل) وجدوا أنفسهم أمام حقائق الإعدامات التي تتم خارج نطاق أي قانون، أن يقولوا كلمتهم، فشيف نفسه في بداية مقاله يبدو (حزينا) لأن أخبار الإعدامات تخرج إلى العلن و(إلى الحقيقة) – حسب تعبيره، وأن (إسرائيل) قامت بتنفيذها بسبب ما يسميه (مرض الثرثرة والنشر الذاتي) .

و يعطي مثلا النشر عن قصة إسقاط (إسرائيل) طائرة عشية حرب سيناء عام ١٩٥٦ فوق البحر وتضم (الكثير من الضباط المصريين) .ويكتب شيف بكثير من استغفال العقول بأن (الرئيس مبارك استغرب أيضا لماذا ينشر هذا الأمر)...!

ربيع فردان

و لعل أشهر عملية اغتيال تمت في بداية حملة غولدا مئير تلك التي نفذت يوم ١٠/٤/ ١٩٧٣ والتي عرفت باسم ربيع فردان او ربيع الشباب وطالت القادة كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار، حيث وصلهم آمنون شاحاك (القائد العسكري وزير السياحة الصهيوني فيما بعد) وإيهود باراك (القائد

العسكري ورئيس وزراء (إسرائيل) فيما بعد) وتمت تصفيتهم في منازلهم في شارع فردان في بيروت.

و كمال ناصر (١٩٢٤ - ١٩٧٣) أحد رموز النضال والأدب في فلسطين، ابن إحدى العائلات المسيحية الفلسطينية من بلدة بير زيت، تتشابه سيرة حياته مع كثير من أبناء جيله من نشطاء الحركة الوطنية الفلسطينية، فهو خريج الجامعة الأمريكية في بيروت، التي تخرج منها أيضا العديد من الذين أصبحوا رموزا في الحركة الوطنية الفلسطينية وحركة القومية العربية، كان عضوا في حزب البعث الاشتراكي، وأصدر صحيفة البعث في رام الله، وصحفا أخرى، وانتخب عضوا في مجلس النواب الأردني،وتعرض للاعتقال بعد الاحتلال عام ١٩٦٧ وأبعدته سلطات الاحتلال للخارج، وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسؤول الإعلام فيها، وناطقا رسميا باسمها، ومشرفا على مجلة فلسطين الثورة التي أصدرها باسم منظمة التحرير الفلسطينية .

و في نفس العمارة التي كان يسكنها كمال ناصر في شارع فردان في بيروت، كان يسكن أيضا محمد يوسف النجار (١٩٣٠ - ١٩٧٣) عضو اللجنة المركزية في فتح، وينحدر من قرية يبنا قضاء الرملة، شرد مع عائلته في عام النكبة، وكان له نشاط في صفوف الإخوان المسلمين مثل كثيرين من الذين أسسوا فيما بعد حركة فتح .

أما كمال عدوان (١٩٣٥ - ١٩٧٣) فهو، مثل أبو يوسف النجار عضو في اللجنة المركزية لحركة فتح التي شارك في تأسيسها، وتولى مسؤوليات في الإعلام الفلسطيني وأخرى فيما يخص المقاومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وقبل ذلك درس في مصر ـ وعمل في السعودية وقطر، وشارك في مقاومة العدوان على قطاع غزة عام ١٩٥٦ وأدى ذلك إلى اعتقاله وقتذاك .

و بعد وصول إيهود باراك إلى موقع الرجل الأول في (إسرائيل) ومعه أمنون شاحاك وزيرا للسياحة، تذكرت الصحافة من جديد دوره في عملية فردان، ونشرت وكالة الصحافة الفرنسية تقريرا لها من بيروت بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٩٩ ضمنته مقابلة مع المواطن اللبناني منعم عبد المنى وكان عمره وقت تحرير

التقرير ستين عاما، والذي ما يزال يقيم في المبنى الذي حدث فيه الاغتيال في شارع فردان في بيروت .

تذكر عبد المنى بعد ٢٦ عاما من قيادة إيهود باراك للعملية متنكرا بزي امرأة شقراء، ما حدث في ليلة التاسع من نيسان ١٩٧٣، وفي تلك الليلة كان منعم وزوجته وولداه الصغيران نائمون في غرفة صغيرة في طابق أرضي في البناية التي استهدفها باراك ورفاقه .واستيقظ منعم وذهب إلى النافذة ليرى امرأة شقراء تضع رشاشا على خاصرتها وتطلق النار على الغرفة .

عاد منعم إلى ابنه الصغير وخبأه تحت السرير ورمت زوجته نفسها على ابنهما الثاني، وفيما بعد وجدا أكثر من ٤٠ من فوارغ الرصاص في الموقع .

و بسبب الأزياء التي تنكر فيها باراك ورفاقه أطلق على العملية اسم (عملية هيبي) .وأعطت العملية باراك سمعة كبيرة، وأدت إلى استقالة رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام احتجاجا على عجز الجيش اللبناني عن تحقيق الأمن وإيقاف فرقة الكوماندوز التي قادها باراك متنكرا بثياب امرأة شقراء، التي نزل أفرادها على أحد شواطئ بيروت واستقلوا سيارات أعدها عملاء لـ (إسرائيل) .

و انطلقت الفرقة إلى أحد المباني في فردان وتم تصفية أبو يوسف النجار أحد قادة فتح البارزين وقتذاك وزوجته التي حاولت حمايته، وكمال عدوان المسؤول العسكري لفتح في الأراضي المحتلة وكمال ناصر المتحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وقتل في العملية شرطيان لبنانيان وحارس وعجوز إيطالية تبلغ من العمر (٧٠) عاما .

و في أثناء اندلاع انتفاضة الأقصى وقيام (إسرائيل) باغتيالات طالت مقاتلين فلسطينيين، كتب المستشرق الصهيوني غي باخور عن سياسية الاغتيالات متذكرا عملية فردان التي يطلق عليها في (إسرائيل) اسم (ربيع الصبا) أيضا، في نيسان ١٩٧٣ بمشاركة باراك الذي كان رئيسا للوزراء عندما كتبت المقالة .

قال ياخور إن تلك العملية (كانت إحدى العوامل التاريخية لاندلاع الحرب الأهلية في لبنان بعد عامين من ذلك). وإذا كانت عملية (ربيع فردان) أصبحت مصدر (فخر) لا ينتهي لدى الصهاينة، فإنها تحولت إلى ألم متجدد لدى الجانب الآخر الخاسر: الفلسطينيون، ويبدو أن كلا الطرفين، كل بطريقته وأدواته وظروفه ولخدمة أهدافه راح يستخلص العبر من تلك العملية، وإذا كان الصهاينة تحدثوا كثيرا عن تلك العملية وما أعقبها من تطورات سياسية، فإن الاستماع لما يقوله شاهد على تلك العملية من الطرف الآخر الفلسطيني، أمر مهم، خصوصا بعد أعوام طويلة على وقوعها مما يوفر للشاهد فرصة ليس فقط للندب بل أيضا للتقييم بعيدا عن ضغط اللحظة وقوة الصدمة .

و كان هذا الشاهد ممدوح نوفل، القائد العسكري السابق في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والذي تحدثت معه في منتصف الشهر الأخير من عام ٢٠٠٠، عن سياسة الاغتيالات التي تنتهجها (إسرائيل)، وكانت في تلك الفترة بلغت ذروة لا يمكن إغفالها بالقيام بسلسلة اغتيالات طالت نشطاء انتفاضة الأقصى، واتفقت مع نوفل على الاستعانة بشهادته مكتوبة عن عملية فردان بعد أكثر من ٢٧ عاما على وقوعها، وهي شهادة حافلة ليس فقط بالوقائع كما رآها شاهد عيان، بل أيضا بما يمكن استخلاصه منها من دروس من خلال ما ذكره نوفل من أحداث على هامش الحدث ميزت تلك الفترة في بيروت .

في البداية يرسم نوفل مشهدا مهما عشية وقوع الحدث (في النصف الأول من العام ١٩٧٣ صعدت قوات الثورة نشاطها العسكري من جنوب لبنان، ومس بعضه سكان القرى والمستعمرات الصهيونية الواقعة على الحدود الشمالية .وخشيت القيادة الصهيونية من تمركز قوات م.ت.ف على حدودها الشمالية، ومن تطور قدراتها العسكرية وتحولها إلى قوة جدية مزعجة .ووجهت الحكومة الصهيونية أكثر من رسالة رسمية تحذيرية للسلطات اللبنانية، طالبتها بالسيطرة على نشاط (المخربين) الفلسطينيين، وضبط وجودهم على أراضيها، ومنعهم من القيام بعمليات (تخريبية) من أراضيها .ولم تتوان في الرد على العمليات القتالية

الناجحة التي نفذها مقاتلو فصائل الثورة .وزادت من غاراتها الجوية وقصفها المدفعي ضد مواقع الفلسطينيين في الجنوب والبقاع والعرقوب) .

و يضيف نوفل : (في العاشر من نسيان ١٩٧٣، وبعد تحضيرات استخبارية استمرت شهرين، نفذت القوات الصهيونية الخاصة من سرية الأركان عملية خاصة جريئة محكمة التخطيط، في قلب العاصمة اللبنانية .دخلت القوات الصهيونية بيروت عن طريق البحر، وكان رجال وعملاء الموساد قد سبقوهم بجوازات سفر أوروبية وأمريكية، وأقاموا في فنادقها واستأجروا ٧سيارات مدنية في حينه، وهاجمت القوة الصهيونية في وقت واحد، المقر المركزي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في الفاكهاني، إحدى ضواحي بيروت الغربية، ومنازل قادة م.ت.ف كمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وأبو يوسف النجار عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وكمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وكانت معلوماتها تشير إلى أن الأول قائد جماعة أيلول الأسود، والثاني مسؤول عمليات فتح في (إسرائيل)، والثالث ناطق رسمي باسم عرفات وم.ت.ف.) ..

و يشير نوفل إلى أنه (نجحت المجموعة الأولى بقيادة (إيهود باراك) في الوصول إلى هدفها، واغتالت القادة الثلاث في منازلهم، ونسفت الثانية بقيادة (آمنون شاحاك) بصورة جزئية مقر الجبهة الديمقراطية في منطقة الفاكهاني قرب المدينة الرياضية .في حينه اشتبكت معهم مجموعة حراسة مقر الجبهة، وقتل من القوة المهاجمة جنديان من قوات المظلات (أبيدع شور وحجاي معيان) وفقدت القوة المهاجمة عنصر المفاجأة، ولم تتمكن من العمل بحرية تامة، ولم تحقق هدفها كاملا .فبعد اغتيال المجموعة الصهيونية الحارس المركزي أمام مدخل البناية بواسطة مسدس كاتم الصوت، أطلقت عليها نيران غزيرة، من قبل كمين جانبي نصب في حينه، للدفاع عن مقر الجبهة الديمقراطية من هجوم كان متوقعا أن ينفذه تنظيم القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل) .

و يمكن أن يشكل ما ذكره نوفل، وقبل ذلك القائد الفلسطيني صلاح خلف (أبو إياد) في حديثه، في مكان آخر، عن عملية فردان، صدمة للقارئ، حتى لو

كان متابعا لتلك المشاحنات التي سادت لفترة طويلة بين فصائل العمل الوطني الفلسطيني .

و لكن لماذا كانت الجبهة الديمقراطية مستعدة لهجوم أحمد جبريل المتوقع، وما هو السبب الذي يجعل أحمد جبريل مصدرا متوقعا لهجوم على الديمقراطية ؟! ..

يجيب نوفل : (كانت المشاحنات السياسية بين الجبهة الديمقراطية (و تنظيم جبريل) حول البرنامج السياسي المرحلي على أشدها، وتطورت إلى صدامات مسلحة في مخيم تل الزعتر، واستشهد دفاعا عن البرنامج، قائد قوات الجبهة في مخيم عين الحلوة، النقيب المناضل (فايز خلدون) ابن التعامرة المجاورة لمدينة بيت لحم) ..

و على أرض الواقع وأثناء إدلاء نوفل بشهادته فإن الذي (تحقق) للفلسطينيين على أرض الواقع كان أقل مما لا يذكر عن مشروع البرنامج المرحلي الذي قدمت الجبهة الديمقراطية شهداء (دفاعا عنه) وكذلك أيضا بالنسبة لبرنامج أحمد جبريل الذي أصبح تنظيمه فاعلا ضعيفا في العمل الفلسطيني .

و بعد أن سمع نوفل صوت الرصاص الكثيف والانفجارات غادر منزله القريب من مقر الجبهة المستهدف (و توجهت راجلا لاستطلاع ما يجري، وكنت واثقا من أن حرس المقر اشتبك مع مجموعات القيادة العامة .وكم كانت مفاجأتي كبيرة عندما منعني أفراد مجموعة الحراسة (الكمين) من الاقتراب من مبنى المقر قائلين : موقعنا تعرض لهجوم (إسرائيلي) وحاولت المجموعة (الإسرائيلية) نسف المقر بمن فيه، اشتبكنا معهم وأوقعنا خسائر في صفوفهم، وهناك احتمال وجود متفجرات موقوتة وألغام لم تنفجر) ...

يقول نوفل : (في حينه لم أصدق أقوال الرفاق، إلا بعد أن سلمني أحدهم مسدسا "إسرائيليا" عيار ٦ ملم كاتم للصوت، يحمل شعار نجمة داود .وتبين لي كما قال الحرس، أن القوات الصهيونية هاجمت المقر في سيارتين مدنيتين تحرسهما من بعيد سيارة جيب عسكرية، تشبه تماما سيارات قوات الدرك اللبناني .خلال عمليات مسح وتفتيش المقر وتنظيفه من المتفجرات، تم العثور على مزيد

من المسدسات والقنابل والمتفجرات، تحمل علامات جيش الدفاع (الإسرائيلي) .وظهرت بقع دماء على الأرض) .

و يضيف نوفل : (خلال وجودي حضر إلى المكان أحد أفراد حرس (أبو إياد) صلاح خلف، وهمس قائلا "الأخ أبو إياد موجود في المبنى المقابل ويريد أن يراك"، تحركت مباشرة إلى حيث يوجد أبو إياد، واستغربت وجوده في ذلك المكتب الفرعي التابع لأمن فتح، وعلمت أن المصادفة قادته إلى المكان وقبل السلام بادرني بالقول : (هل هذا وقت الاشتباك مع القيادة العامة، فأنت تعرف أن المشكلة ليست مع أحمد جبريل بل مع من يقف خلفه)، وكان يقصد المخابرات السورية .ولم يصدق أن الاشتباك كان مع مجموعات الكوماندوز "الإسرائيلية"، إلا بعد أن أبرزت له مخلفات المجموعة المهاجمة، عندها قال : (ضاعت علينا فرصة اصطيادهم فقد كانوا تحت مرمى نيران حراستي) .وفورا أصدر أوامره للأجهزة الأمنية الفتحاوية بالتحرك فورا باتجاه شواطئ بيروت والجنوب، على أمل اللحاق بالقوة "الإسرائيلية" قبل صعودها البحر .وكان تقديرنا أنهم قدموا من البحر بمساعدة عملائهم في السلطة اللبنانية، وسينسحبون بواسطة زوارق تنتظرهم في نقطة ما على الشاطئ. لاحقا، بينت مخلفاتهم بأنهم قدموا من البحر وغادروا بيروت بسلام، كما وصلوا دون أن تقع بهم إصابات باستثناء تلك التي لحقت بهم أثناء هجومهم على مقر الجبهة الديمقراطية) ..

و يعتقد نوفل بأن (العملية اعتمدت على عمل استخباري دقيق وأن مجموعاتها دخلت قلب بيروت بعدما هيأ لها عملاء الموساد المحليون ما يلزم من سيارات ومرشدين .وفعلا عثرت مجموعات فتح على عدد من السيارات المدنية متروكة على الشاطئ الأوزاعي، جنوب بيروت أحدها يحمل آثار دماء) ..

بعد مقابلة نوفل لأبي إياد ومعرفة الأخير بما حدث ذلك طلب أبو إياد من مرافقيه البحث عن أبي عمار وأبي جهاد (و بعد دقائق معدودة اتصل أبو عمار وقال : سأرسل لكم سيارة للحضور لطرفي بسرعة، وفهمنا منه أنه موجود في مكتب أبو شاكر (إبراهيم قليلات) قائد قوات (المرابطون) وأن عدة مجموعات صهيونية دخلت بيروت، ونجحت في اغتيال أبو يوسف النجار في منزله .بعد

المكالمة الهاتفية تحرك أبو إياد، تحت حراسة مشددة، باتجاه المقر المركزي للمرابطين، الواقع في حي أبو شاكر على كورنيش المزرعة في المقر كان حشد من قادة القوى والأحزاب الوطنية اللبنانية والفلسطينية يتوافدون، ويتبادلون المتوفر من المعلومات حول ما حصل، ويجرون الاتصالات اللازمة مع الجهات المعنية في السلطة اللبنانية) .

روى نوفل للموجودين ما حدث أثناء عملية الهجوم على مقر الجبهة الديمقراطية (و سمعنا ما روي حول استشهاد أبو يوسف النجار .وأوعز أبو عمار للأجهزة الأمنية الفلسطينية بالاتصال ببيوت القادة الفلسطينيين دون استثناء، وزيارتها كلها وشدد على زيارة البيوت التي يتعذر الاتصال الهاتفي معها .وبعد دقائق قليلة أبلغ الحاضرون باغتيال (كمال عدوان) وبعدها نقل خبر استشهاد (كمال ناصر) وفوجئ الجميع، بأن كمال ناصر هو الوحيد الذي أتيحت له فرصة استخدام سلاحه، وأنه بالفعل أطلق النار على قاتليه الصهاينة، علما أنه كان يكره حمل السلاح، ولا يحب أن يكون معه مرافقون، وكان يعتبرهم أقرب إلى السجانين يحدون من الحركة ويقيدون نمط الحياة العادية) .

و كانت لتلك العملية تداعياتها الأخرى، يقول نوفل : (حملت قيادة م.ت.ف الحكومة اللبنانية قسطا رئيسيا من المسؤولية عن دخول القوات الصهيونية قلب بيروت، ونجاحها في الوصول إلى بيوت القادة الثلاثة .ووجهت اتهامات علنية للمكتب الثاني اللبناني (المخابرات اللبنانية) وبعض رموز قيادة الجيش اللبناني، بالتواطؤ مع "الإسرائيليين") .

و يضيف : (و لاحقا شيعت بيروت القادة الثلاثة في جنازة مهيبة شارك فيها جميع قادة الأحزاب الوطنية وبعض قادة القوى والأحزاب المارونية، وكان ضمنهم (بيار الجميل) زعيم حزب الكتائب .وألقى زعماء المسلمين الذين شاركوا في الجنازة خطبا رنانة هاجموا فيها تواطؤ السلطة اللبنانية، وطعنوا في تركيب أجهزتها ومؤسساتها المدنية والأمنية، وطالبوا بإقالة الجيش .

وتحدث بعضهم عن المقاومة الفلسطينية، وكأنها جيش المسلمين في لبنان .وكانت الجنازة فرصة مهمة، استعرضت فيها قيادة م.ت.ف أسلحتها وقدراتها

العسكرية والجماهيرية بطريقة أقلقت السلطات اللبنانية، ونبهت أجهزتها الأمنية وأرعبت بعض القوى المسيحية المتزمتة التي رأت في منظمة التحرير قوة أخلت بالتوازن الداخلي لصالح المسلمين، عامة، والسنة على وجه الخصوص .ورغم علمانية الحركة الوطنية اللبنانية، وتبوء كثير من المسيحيين مراكز قيادية أولى فيها، إلا أن تخوفات الحركة السياسية المسيحية كان لها ما يبررها في بلد تنخره الطائفية الدينية والسياسية) .

و لم يكن ذلك كل شيء، فهناك نتائج هامة أخرى أسفرت عنها عملية اغتيال القادة الثلاثة في فردان، فبعد هذه العملية، كما يقول نوفل (أصبحت قيادة م.ت.ف مجبرة على إعطاء وجودها في لبنان اهتماما استثنائيا، وراحت تعطي مسألة حماية وجودها أهمية كبيرة، وبدأت تغرق تدريجيا في الأوضاع اللبنانية الداخلية، ونسيت ما استخلصته من دروس تجربتها في الأردن) .

و يضيف : (و مع كل خطوة كانت تخطوها داخل المستنقع اللبناني، كانت تبتعد أكثر فأكثر عن عملها السياسي داخل الأراضي الفلسطينية .وحل دون قرار، شعار الدفاع عن الوجود الفلسطيني المدني والمسلح في لبنان، مكان شعار تصعيد ونقل الكفاح المسلح إلى داخل الأراضي المحتلة .وراحت تعزز تسليح المخيمات الفلسطينية، وشجعت القوى الوطنية اللبنانية للتدرب على السلاح وبناء تشكيلات عسكرية خاصة بها .وعملت على تجنيد أعداد كبيرة من الشباب الوطني اللبناني، وبدأت تتدخل مباشرة في الشؤون السياسية والحزبية والاجتماعية اللبنانية .وبقي احتلال "إسرائيل" عام ١٩٦٧ لكل فلسطين ولأجزاء واسعة من الأراضي العربية السورية والمصرية قائما وتقلصت كلفته) .

و قبل أن يتحدث نوفل بسنوات، كان الزعيم الفلسطيني صلاح خلف (أبو إياد) قدم شهادته عن ما حدث في (ربيع فردان)، في كتابه فلسطيني بلا هوية، وربط ذلك بالأجواء التي أعقبت عملية ميونخ، حيث تواصلت حرب الأشباح بين المخابرات الصهيونية والفلسطينيين، وبدأت كما هو معلوم بالاغتيالات وإرسال الطرود الملغومة والتي طالت مسؤولين فلسطينيين في مختلف العواصم العربية والعالمية، وبالرد الفلسطيني بتنفيذ عمليات ناجحة طالت رجال للموساد في

عواصم مختلفة أيضا، ومن بين ما قام به الفلسطينيون محاولتان استهدفتا مقر سفير "إسرائيل" في نيقوسيا والأخرى ضد طائرة تابعة لشركة العال الصهيونية كانت جاثمة في مطار قبرص، كان ذلك في التاسع من نيسان، وفي اليوم التالي كانت وحدات الكومنادوز الصهيوني تنزل إلى بيروت وتغتال القادة الثلاثة .

و روى أبو إياد عن علاقته الوثيقة بكمال ناصر، وأنه كيف كان في مرات كثيرة يقضي الليل عنده في شقته، وأشار إلى أنه قبل العملية بعشرة أيام وكان هو والرئيس عرفات وآخرون في شقة كمال ناصر، استرعى انتباهه عدم وجود حراسة وتحدث بين الجد والهزل، عن احتمال أن تحط طائرة عمودية في الأرض الخلاء مقابل المبنى وتختطف القادة الثلاثة .

و في التاسع من نيسان، كان المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية يعقد جلسة له في بيروت وطالت حتى ساعة متأخرة من الليل، وقضى أبو إياد ليلته في شقة كمال ناصر، وفي اليوم التالي عرض أبو إياد على كمال ناصر أن يقضي السهرة في شقته ولكن كمال ناصر أجابه مازحا : (أفضل أن أموت على أن أستقبلك عندي)، وأوضح أنه يريد أن ينظم مرثاة في الشاعر عيسى نخلة المتوفى حديثا، وأن وجود أبو إياد سيلهيه عن تلك المهمة .

و ذهب أبو إياد ليلتقي الناجين الثلاثة من عملية ميونخ الذين أطلقت السلطات الألمانية سراحهم، بعد عملية الاختطاف التي يعتقد أنها مدبرة كما أشرنا سابقا، والموجودين في مبنى لا يبعد سوى عشرة أمتار عن مبنى الجبهة الديمقراطية، حيث وجد شباب هذا التنظيم مستنفرين بسبب هجوم سيشن عليهم من الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، ورواية أبو إياد هنا تختلف مع رواية نوفل، وإن كان مغزى الحدث واحدا.

و بعد ساعات كانت وحدات الكوماندوز الصهيونية تنفذ مهمتها، انتقل أبو إياد إلى منزل عرفات، الذي قصف في العملية وكان الحراس قاوموا المعتدين، وتابع عرفات المعركة من سطح المبنى .

و ذهب أبو إياد إلى المبنى الذي كان يقطنه القادة الثلاثة بعد ورود الأنباء عن اغتيالهم، وفي شقة كمال ناصر، وجده ممددا على شكل صليب على

الأرض بعد إصابته في وجهه بخمس عشر رصاصة على الأقل، ويعتقد أن المهاجمين لم يغفلوا عن حقيقة أن ناصر مسيحي الديانة، فمددوه على شكل صليب وأطلقوا النار على وجهه، ورش المهاجمون برصاصهم سريره والسرير الذي كان يأوي إليه أبو إياد في أحايين كثيرة .

و لاحظ أبو إياد أن شباك النافذة كان مفتوحا والستائر منتزعة، الأمر الذي ربما يشير إلى أن ناصر كان حاول الفرار، ولم يتمكن من ذلك، فرد على المهاجمين بمسدس صغير وجد بجانب جثته .

و بالنسبة لأبي يوسف النجار فاتضح بأن الصهاينة نسفوا مدخل شقته بقنبلة بلاستيكية، بينما كان هو نائما مبكرا كما يحب، والأولاد يذاكرون دروسهم في غرفهم، وعندما تم نسف المدخل اندفع باتجاهه ابن الشهيد يوسف وكان عمره ١٦ عاما، ولكن الكوماندوز المهاجمين صرخوا به سائلين عن والده، فرجع يوسف إلى غرفته ونزل من شباكها إلى الطابق الخامس، وخلال ذلك أغلق أبو يوسف النجار باب الغرفة التي يوجد فيها وطلب من زوجته أن تناوله مسدسه، ولكن الصهاينة اقتحموا الغرفة وأصابوه وحاولت زوجته حمايته ووضعت نفسها بينه وبين المعتدين فتم قتل الزوجين معا .

و في الطابق الثاني كانت مجموعة أخرى تقتحم شقة كمال عدوان الذي كان ما زال يعمل وعندما سمع بالجلبة أمام الباب أمسك برشاشه، وقبل أن تتاح له فرصة استخدامه كانت مجموعة أخرى من الكوماندوز الصهاينة يدخلون من نافذة المطبخ ويصيبونه في ظهره .

و اتهم أبو إياد شركاء محليين للكيان الصهيوني بالتواطؤ وتسهيل عملية الاغتيال، وأكد أن الجيش اللبناني والدرك والأمن العام لم يحاولوا التدخل، وقبيل الهجوم على المبنى في فردان ببضع دقائق حدث انقطاع في التيار الكهربائي وكان المهاجمون يتنقلون في بيروت بحرية ويسر مذهلتين وكذلك في الجنوب حيث شنت هجمات أخرى.

و ما لبث التواطؤ الذي تحدث عنه أبو أياد من أطراف لبنانية، أن أصبح تحالفا علنيا كان طرفه الأساسي وموجهه وراعيه هي (إسرائيل) خلال تلك الحرب اللبنانية الطويلة والتي أسموها، بقدر من التضليل حربا أهلية .

الأمير الأحمر

تطرق ياريف في حديثه، بالطبع، إلى مقتل علي حسن سلامة (١٩٤٠ - ١٩٧٩)، والمعروف باسم (أبو حسن) ضابط الرصد الفلسطيني الشهير الذي كان يلقب بالأمير الأحمر، واعترف بأنه كان ضحية للموساد عندما انطلقت حملة الاغتيالات بعد ميونخ بسبب علاقته بتلك العملية .

و أبو حسن هو ابن قائد شهير من قادة الحركة الوطنية المجاهدين قبل النكبة هو حسن سلامة،انضم لحركة فتح عام ١٩٦٧ مع أفواج عديدة من الشباب الفلسطيني والعربي، الذين صدمتهم هزيمة الأنظمة على يد الكيان الصهيوني واحتلال ما تبقى من فلسطين ومن أراضي عربية أخرى، وخلال سنوات قليلة، بعد العمل في قيادة جهاز الرصد الثوري لحركة فتح، وهو بمثابة جهاز مخابرات وأمن، استقر أبو حسن في بيروت عام ١٩٧٠ وتولى قيادة العمليات الخاصة ضد المخابرات الصهيونية في العالم، ومن العمليات التي تسند إليه ولرجاله قتل ضابط الموساد (زودامك أوفير) في بروكسل، وإرسال الطرود الناسفة من أمستردام إلى العديد من عملاء الموساد في العواصم الأوروبية، ردا على حملة قام بها الموساد ضد قياديين فلسطينيين، ومن الذين قتلوا بهذه الطرود ضابط الموساد في لندن (أمير شيشوري) .

ارتبط اسمه بعملية قتل الرياضيين الصهاينة في ميونخ، وهو الأمر الذي نفاه أبو داود في مذكراته، كما أشرنا، ونسب لغولدا مئير قولها عنه (اعثروا على هذا الوحش واقتلوه) .

و لكن أبو حسن،رجل الأمن الماهر، والدون جوان المحبوب من الفتيات، صاحب العلاقات الغرامية العديدة كما قيل، كان متنبها جدا، رغم ما قيل عن

حياة الليل التي عاشها أحيانا، فلم يكن له عنوان ثابت وكان حسه الأمني يجعله بغير مكان نومه دائما .

و لكن (الأمير الأحمر) وقع في النهاية، منطبقا عليه المثل العربي (ما يوقع غير الشاطر)، بعد أن تخلى عن سلوك أمنى مهم، وهو أن أصبح له عنوان سكني ثابت، بعد زواجه المثير من ملكة جمال الكون لعام ١٩٧١م اللبنانية جورجينا رزق.

و لم يفت على كثيرين من معارفه وأصدقائه وأقربائه تحذيره، والطلب منه الانتباه، والحذر في تحركاته، وينقل عنه أنه كان يطمئن والدته، التي لم تكف عن التنبيه عليه بضرورة إحداث تغييرات على عنوانه وتبديل سيارته بالقول (عمر الشقي بقي) .

و روى كريم بقردوني، الزعيم المسيحي اللبناني اليميني، المقرب من زعيم القوات اللبنانية الانعزالية السابق بشير الجميل، بأنه نقل تحذيرا من بشير إلى أبو حسن، الذي كان أحد الخطوط المفتوحة بين الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات والميليشيات المسيحية اللبنانية المختلفة، حول معلومات وصلت عن خطة لاغتياله .

و لم يقدم بشير الجميل تفاصيل عن عملية الاغتيال المحتملة لبقرادوني ولكنه طلب منه أن يحذره (فأبو حسن هو صاحبنا) كما قال بشير الجميل لبقرادوني .

و ذكرت بعض المصادر أيضا أن المكتب الثاني اللبناني،أحد أجهزة المخابرات اللبنانية،كان حذره كذلك، وروي أنه تم العثور على قصاصة ورق من المكتب الثاني فيها التحذير، في جيبه بعد استشهاده.

المصادر الصهيونية قالت إن سلامة دوخ ملاحقيه ونجا من أكثر من عملية اغتيال، حتى أرسلت إحدى عميلات الموساد، وهي رسامة بريطانية، اسمها (سلفيا إيركا روفائي)، التي أوكل إليها مراقبة الأمير الأحمر ورصد تحركاته، إلى رؤسائها أن الأمير الأحمر أصبح في متناول اليد، وكانت العميلة

تقطن بالقرب من منزل جورجينا. في الطابق التاسع من إحدى بنايات شارع فردان .
و كما هو متوقع جاء أمـر للعمليـة بتنفيـذ عمليـة اغتيـال الأمـير الأحمـر الـذي دوخ رجـال الموساد طويلا، فتم تلغيم سيارة من نوع فوكس فاجن بعبوة تفجر لا سلكيا عن بعد،ووضـعها بـالقرب من الطريق الذي يمر منه موكب أبو حسن المكون مـن سـيارة شـفروليه وسـيارتي رانـج روفـر، وعنـدما وصل الأمير الأحمر إلى تلك النقطة في الساعة الثالثة من عصر يوم ١٩٧٩/١/٢٢، حتـى ضـغطت عميلـة الموساد على الزر القاتل .
و بعد سنوات من تلك العملية فإن ضابط الموساد البارز السابق رافي إيتان الذي يعـيش الآن في ضاحية أفيكا الراقية قرب تل أبيب يعيد الفضل لنفسه في اغتيال أبو حسن سلامة .
و إيتان أحد أبرز رجال الموساد المعروفين بقسوتهم والذي قتل بيديه، كما يتبـاهى، العشرـات من الخصوم في أنحاء مختلفة من العالم بإطلاق الرصاص أو الخنق أو الضرب على الرأس أو الطعن .
و هو الذي اشتهر لقيامه بخطف الضابط النازي أودلف إيخـمان عـام ١٩٦٠ مـن الأرجنتـين والذي أعدم لاحقا في سجن الرملة بتاريخ ١٩٦٢/٥/٣١م .
و لدى اغتيال سلامة كان إيتان المستشار الشخصي لرئيس وزراء الكيان مناحيم بيغن لشـؤون الإرهاب، وقام إيتان بزيارة بيروت منتحلا شخصية رجل أعمال يوناني، وتمكن من معرفـة إقامـة سـلامة وتحركاته .
و عندما عاد إلى تل أبيب أرسل ثلاثة من رجال الموساد متخفـين كعـرب إلى بـيروت، أحـدهم استأجر السيارة والثاني فخخها بالقنابل والثالث أوقفها على الطريق الذي يسير عليه سلامة يوميا .
و الملفت أنه بعد نجاح العملية قرر بـيغن أن إيتـان (أثمـن) مـن أن يخـاطر بـه مـرة أخـرى فأبقاه في منزله بعيدا عن العمل الميداني .وفيما بعد استوحى كاتب القصص البوليسـية المعـروف جـون لوكريه شخصيته الرئيسية التي تتعقب

"الإرهابيين" في روايته المشهورة (الطبالة الصغيرة) من شخصية إيتان الذي تورط في أعمال قذرة أخرى كثيرة للموساد من أشهرها فضيحة الجاسوس جوناثان بولارد الذي عمل لحساب الموساد في أمريكا ومعتقل الآن فيها .

و من المعتقد أن أمينة المفتي الجاسوسة الأردنية التي عملت لصالح الموساد اقتربت من أبو حسن سلامة كثيرا أثناء تردده على فنادق بيروت الراقية وزودت الموساد بعناوينه .

و هناك تفاصيل وروايات شبيهة عن الحادث نشرت بعد وقوعه، ومن الصعب بدون وجود رواية رسمية فلسطينية معلنة عن ما حدث التأكيد على تفاصيل حقيقة ما حدث بالفعل .وفيما بعد كشف النقاب عن أن علي حسن سلامة كان ضابط الاتصال بين عرفات والمخابرات الأمريكية .وهي العلاقات التي بدأت، كما أشار وزير خارجية أمريكا الأشهر كيسنحر في كتابه (سنوات الجيشان)، في تشرين الثاني عام ١٩٧٣م، بعد عقد اجتماع بين نائب الـ (سي.آي.إي) وياسر عرفات .

و قدم أبو حسن خدمات اعتبرها الأمريكيون هامة، وفي مقر وكالة المخابرات الأمريكية في ضاحية لانغلي كان يوصف سلامة بأنه "الشرير الذي يحسن خدمتنا" .ووفر سلامة، في ظروف الحرب الأهلية اللبنانية، الأمن للأمريكيين، وحذر المخابرات الأمريكية من عملية لإسقاط طائرة كيسنجر خلال إحدى رحلاته المكوكية الشهيرة في الشرق الأوسط، وكشف عن عدة عمليات لاغتيال مسؤولين أمريكيين في لبنان .ولم تقطع الـ (سي.آي.إي) علاقتها بسلامة رغم طلب إسحاق هوفي، مدير الموساد، ذلك مرارا .

و بعد اغتيال سلامة قال هيرمان إيلتس السفير الأمريكي السابق في لبنان: "لقد ساعدنا سلامة في حماية المواطنين والمسؤولين الأمريكيين وتعاون معنا بشكل غير عادي وأعتبر مقتله خسارة" .

و هناك من يرى أنه، بعد بدء العلاقات الأمريكية – الفلسطينية عام ١٩٧٨م من خلال صلاح خلف (أبو إياد)، المسؤول الأمني الأول في فتح، أصبح لدى أبو حسن إحساس أن تلك العلاقة مع الأمريكان ستحميه .

و كشفت بعض المصادر عن طلب المخابرات الأمريكية من الموساد، في يناير عام ١٩٧٨م ترك أبو حسن في حاله (ليرتاح، فهو رجلنا)، وكان رد الموساد صاعقا (إنكم تعلمون ما فعله معنا، وتعرفون قواعد لعبتنا جيدا، لقد تقرر مصيره، إن الرب يغفر، أما "إسرائيل" فلا) .

و بقيت سيرة أبو حسن سلامة حاضرة في النقاشات الأمنية الفلسطينية و"الإسرائيلية"، حتى الآن، لاستخلاص الدروس والعبر، ومن ضمن ما تعود إليه، تلك المصادر ما حدث في تلك الليلة في مدينة ليلهامر بالنرويج، عندما قتلت وحدات الموساد المواطن المغربي أحمد بوشكي اعتقادا بأنه الأمير الأحمر، مخلفة فضيحة مدوية للموساد، ونجم عنها اعتقال الفريق الذي أوكلت له تنفيذ العملية .

عقدة ليلهامر

في مطلع عام ٢٠٠٠، وفي إجراء نادر في الكيان الصهيوني حظرت اللجنة الوزارية الخاصة بإعطاء التصريح بالنشر للشخصيات الرسمية في "إسرائيل"، كتابا لـ (أليعيزر بلمور) الموظف السابق في وزارة الخارجية الصهيونية حول عملية (ليلهامر) في النرويج حيث قتل مواطن مغربي برصاص الموساد معتقدين بأنه علي حسن سلامة. وذلك في الساعة ٤٠ :٢٢ من يوم ٢١ تموز من عام ١٩٧٣.وهو يوم لم تنسه "إسرائيل" حتى الآن .

في البداية لا بد من الإشارة هنا إلى (آلية) نشر الكتب التي يكتبها رسميون صهاينة لمعرفة كيف تم منع الكتاب، فبعد أن أكمل بلمور كتابه قدمه كما جرت العادة لمصادقة وزارة الخارجية التي كان يعمل بها. والتي صادقت على نشر الكتاب وكذلك فعلت الرقابة العسكرية بعد أن طلبت حذف بعض المقاطع من الكتاب وإجراء بعض التغييرات الصغيرة عليه .

و بعد أن استجاب (بلمور) للتعليمات توجه للجنة الوزارية الخاصة بالمصادقة على المنشورات التي يكتبها أي موظف سابق في الدولة عن فترة عمله .وفيما يخص هذه اللجنة فإن شرط موافقتها على أي مؤلف لأي موظف

رسمي يسري حتى خمس سنوات بعد استقالة الموظف، وحتى عشر سنوات إذا تضمن المؤلف تفاصيل تتعلق بأمن الدولة أو علاقاتها الخارجية .

و خلال العامين (١٩٩٨ - ١٩٩٩) على سبيل المثال،عرقلت اللجنة الوزارية المذكورة نشر عدة كتب منها، كتاب رئيس شعبة الاستخبارات الصهيونية السابق أوري ساغي (أضواء في الظلام) (الذي نشر فيما بعد)، وكتاب العميد احتياط ميخائيل الدار (داكار) (الذي نشر هو الآخر فيما بعد) وهي التي منعت كتاب بلمور، وتكتسب هذه اللجنة أهمية خاصة في "إسرائيل" ويرأسها وزير العدل (و كان وقت النظر في الكتاب السياسي الصهيوني المؤثر يوسي بيلين) ووزير الدفاع (إيهود باراك وكان أيضا في الوقت نفسه رئيسا للوزراء) والخارجية (و كان دافيد ليفي) ووزير العلوم والرياضة (و كان متان فلنائي) .

و عند مناقشة نشر كتاب (بلمور) نشر أن مشاركة فلنائي وباراك وليفي في اللجنة كان (ضعيفا) ويمكن فهم ذلك، ربما فلنائي بسبب تخصصه وباراك وليفي بسبب انشغالهما، والأهم ربما لترك المهمة ليوسي بيلن .

و لكنه لم يكن وحده هناك في تلك اللجنة المهمة، فالمصادر الصحافية الصهيونية ذكرت أن مصدر المعارضة الرئيسي لنشر الكتاب كان (الموساد) .

صحيفة هآرتس العبرية ذكرت في حينه أن (رئيس الموساد أفرايم هليفي أقنع يوسي بيلين بأن نشر الكتاب سيضر بالموساد وبعلاقات "إسرائيل" مع النرويج) وبأن وزير العدل لم يرد على صحيفة (هآرتس) بالتوضيح .

و كتب الصحافي يوسي ملمان في هآرتس بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢م معتقدا أن (رئيس الموساد يخشى على ما يبدو من توقيت نشر الكتاب، هناك في هذه الفترة لجنة تحقيق رسمية في النرويج تقوم بالتحقيق في الاشتباه بأن (توراكسل بوش) النائب العام إبان القضية قد ضلل وزراء القضاء الذين قدموا تقارير كاذبة للبرلمان، وأيضا تقوم اللجنة بالتأكد من الشبهات بأن الاستخبارات النرويجية قد تعاونت قبل العملية وبعدها مع الموساد) .

و لكن لماذا خاف الموساد من نشر الكتاب ؟ ملمان يعتقد أنه بسبب وجود انتقادات لما يسميه الاستعداد الرديء للعملية،وكذلك لتصرف قسم من المشاركين، غير المهني بما فيهم مايك هراري قائد العملية .

يقول ملمان : (من الواضح أن بلمور يعرف أكثر مما هو موجود لديه استعداد لكشفه، وعلى هذا النحو يبدو أن سبب معارضة رئيس الموساد لنشر الكتاب هو خوفه على صورة التنظيم الذي يرأسه، هذه الصورة التي تضررت خلال السنوات الأخيرة إثر سلسلة عمليات فاشلة في الأردن وقبرص وسويسرا).

و يقصد بالطبع عدة عمليات هزت صورة الموساد في السنوات الأخيرة منها العملية الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل في العاصمة الأردنية عمان، والتي تدخل فيها الملك الأردني الراحل حسين وتمخضت عن إعطاء الترياق الشافي لمشعل وإخراج الشيخ أحمد ياسين من السجن .

و أشار (يوسي ملمان) المتخصص في الشؤون الأمنية في مقاله في صحيفة هآرتس العبرية إلى أن أليعيزر بلمور الموظف المتقاعد صاحب الكتاب لم يتخيل أن يأتي يوم وتنسب إليه "إسرائيل" احتمال المس بأمن دولته ... !

على أية حال، فإن الكتاب يتحدث، كما ذكرنا، عن ما حدث يوم ٢١ تموز من عام ١٩٧٣، عندما أطلق النار اثنان من رجال الموساد الصهيوني على نادل مغربي يدعى أحمد بوشكي وهو ينزل من الباص فأردوه قتيلا على الفور أمام ناظري زوجته النرويجية الحامل في أشهرها الأخيرة .

و هي العملية التي أصبحت مجالا للكتابة والمراجعة لدى أصحاب القرار في الكيان الصهيوني وكذلك لدى الصحافة والرأي العام الصهيوني، وأعطت الكثير من المتابعين فكرة عن آلية عمل فرق الموت في الكيان، وأيضا عن محركات استهداف أشخاص بعينهم بالاغتيال، و(الدور) الذي تقوم به (الدول الصديقة) في التغطية وعلى الأقل (غض النظر) عن أنشطة الموساد الرهيبة .

و ساعد في إبقاء المسألة مثارة عدم سكوت زوجة القتيل المغربي والتي تابعت الأمر قضائيا والتي حصلت بعد سنوات طويلة على تعويض مالي من

"إسرائيل"، ووقوع عـدد مـن المشـاركين في العمليـة في قبضـة الشرطة النرويجيـة .وتقـديمهم للمحاكمة والإفراج عنهم قبل إكمال مدة محكوميتهم وتحول المسألة إلى قضية للنقـاش داخـل دهـاليز المجتمع السياسي في النرويج .

كان الموساد يريد أن يصفي أبو حسن سلامة، ولكن تشخيصا خاطئا أدى إلى مقتل المواطن المغربي، ونجح اللذان أطلقا النار من الموساد بالفرار ومعهم ثمانية من أعضاء الموساد من بينهم مايك هراري قائد العمليات في الموساد وقتها (فيما بعد مرتزق معروف عالميا) ورئيس الموساد تسفي زامير (وقتها أيضا)، والذي كان أثناء العملية في غرفة عمليات متقدمة في النرويج .

واحد من الإثنين الأخيرين فر عن طريق البحر، ولكن ستة من أعضاء الموساد الآخرين وهم : (أبراهام جمار، ودان آرئيل، وتسفي شتينبرغ، وميكي دورف، ومريان غولدنيكوف، وسيلفيا رفائيل) ضبطوا وقدموا للمحاكمة في النرويج .

و طرد ضابط أمن السفارة الصهيونية (إيغال أيال) الذي اختبأ العميلان (شتينبرغ) و(دروف) في شقته في النرويج وانتهت القضية، كما هو معروف أن علم الرأي العام الكثير عن أساليب عمل فرق الموت الصهيونية وكذلك، وهذا ما يتعلق بـ (بلمور) بأزمة دبلوماسية صعبة عكرت صفو العلاقات الصهيونية مع النرويج، وهنا برز دور الرجل صاحب الكتاب المحظور .

يتضمن الكتاب المحظور نشره، حسب استعراض ملمان له، أحداثا مثيرة بالفعل كتبها أليعيزر بلمور الذي كان قد أرسل قبل هذا العملية بأربعة شهور للنرويج كملحق سياسي في سفارة الكيان الصهيوني هناك، وعين في وقت لاحق مسؤولا عن السفارة .

يقول (ملمان) إنه بعد اعتقال أعضاء الموساد في النرويج بأسابيع طلبت وزارة الخارجية والموساد من (بلمور) أن يعالج قضية المعتقلين، وأن يلعب دور رجل الاتصال مع السلطات النرويجية، وهذا ما فعله، إلا أن معالجة قضية السجناء قد أوكلت من قبل قيادة الموساد في تل أبيب لمن يسميها بلمور (يهوديت) .

يضيف ملمان (بلمور يقصد يهوديت نسياهو التي كانت من قدامى الموساد وكانت مشاركة في عملية اختطاف أدولف أيخمان في عام ١٩٦١ من الأرجنتين .نسياهو وصلت إلى استوكهولم في السويد والتقت مع بلمور في غرفة في فندق بعد أن أوصلت له تعليمات ذكرته بالأفلام البوليسية، بعد ذلك بفترة تجاسرت والتقت معه في أوسلو نفسها وطلبت منه أن يحدثها عن لقاءاته مع المعتقلين من أعضاء الموساد) .

و في الوقت ذاته كانت (إسرائيل) وكلت المحامي المقدسي أرفين شيمرون لمساعدة المحامين النرويجيين الذين تولوا الدفاع عن المتهمين .ويورد ملاحظة قد لا تكون هامة في سياق حديثنا، وهي أن نسياهو تصادقت مع زوجة شيمرون وعندما سرحت من الموساد تدربت على المحاماة في مكتبه .

و يشير صاحب الكتاب المحظور إلى أن (أنواس شيودت) وهو أحد المحامين النرويجيين قد وقع في حب (سيلفيا رفائيل) إحدى المقبوض عليهم، والتي سحرت المحامي كما يقول بلمور .

المحامي (شيودت) أصبح يزور (سيلفيا) في السجن بشكل ثابت وتحولت الزيارات منذ لحظة معينة إلى زيارات عاطفية .وبعد إخلاء سبيلها طلق (شيودت) زوجته النرويجية وتزوج من (سيلفيا) .

بلمور يعتقد أن الحظ قد لعب في مصلحة الشرطة النرويجية بدرجة لا توصف في تحقيقات عملية القتل في ليلهامر، ويكتب (الأمر بدأ في الشرطي المجهول من شرطة ليلهامر (بار أريك روستاد) الذي نصب بعد القتل بفترة قصيرة حاجزا على الشارع بين أوسلو وليلهامر، الشرطي شبه النائم يلاحظ سيارة بيجو بيضاء تمر أمامه ويسجل رقمها في كتابه لأن المرأة التي تقودها بدت مضطربة في نظره) ويوضح بلمور أن المرأة المقصودة هي (مريان غولدنيكوف) من مواليد السويد التي اتضح لاحقا أنها سكرتيرة عادية في الشاباك وجندت للعملية .

و في اليوم التالي وصلت (غولدنيكوف) للمطار ومعها (دان آربيل) من أصل دانمركي وأعادت السيارة المستأجرة للشركة فتم توقيفها هي و(آربيل)،

وفي جيب (آربيل) وجدوا رقم هاتف (إيغال أيال)، ضابط الأمن في سفارة الكيان الصهيوني، فخرقت الشرطة النرويجية حصانة ضابط أمن السفارة واقتحمت بيته حيث وجدت (ميكي دروا) و(تسفي شتينبرغ) .

يواصل ملمان استعراضه للكتاب الذي يتحدث عن العملية (اعتقال (أربيل) و(غولدنيكوف) أفضى إلى شقة أخرى في أوسلو حيث اختفت (سيليفا رفائيل) الجنوب أفريقية و(أبراهام جمار).الاثنان لم ينهارا في التحقيق وتمسكا خلال أشهر بأسمائهما التنكرية (باتريشيا روكسبورغ) التي حملت جوازا كنديا، و(لسلي أورباوم) البريطاني الجنسية .

محققو الشرطة النرويجية اكتشفوا أن الجوازات مزيفة واشتبهوا بأنهم (إسرائيليون) .(سيليفا) و(أبراهام) من ناحيتهما لم يعترفا بهويتهما الحقيقية إلا في قاعة المحكمة.

(الحظ الذي ابتسم للنرويجيين كان سخيا معهم في الوقت ذاته بدرجة لا توصف حيث كانت ذروتها سقوط دانيل أربيل الذي وفر منذ لحظات اعتقاله الأولى تفاصيل لا تقدر قيمتها بثمن، وشكلت أساسا قويا لإعادة تمثيل العملية بأجزائها المختلفة) – كما يقول بلمور .

و فيما بعد برر (أربيل) سبب انهياره بهذه السرعة لأن (من أرسلوه لم يكلفوا أنفسهم بذل الجهد في إعداده كما يجب، ولسبب ما كان على قناعة بأن عملية ليلهامر تتم بالتنسيق مع النرويجيين وبموافقتهم، ولذلك اعتقد أن معرفتهم لهوية الجهة التي أرسلته ستجعلهم يخلون سبيله فورا).

و يكتب بلمور ملاحظة قد تبدو طريفة في تبرير انهيار (أربل) : (هناك احتمال بأن مرض الخوف من الأماكن الضيقة الذي عانى أربيل منه قد لعب هو الآخر دورا في تصرفه في فترة التحقيق . مخاوفه من الجلوس في الغرفة وحيدا وفي زنزانة صغيرة دفعته إلى البحث عن وسائل التودد إلى محققيه وكسب سخائهم وصداقتهم .أربيل اعتقد أن مثل هذا الثمن يمكن الحصول عليه من خلال محادثات ودية صريحة).

و ربما يوضح ما يسوقه بلمور، محاولة الاحتفاظ لديه ولغيره من الصهاينة بالصورة (السوبر) عن الموساد، فلم يستطع، بلمور، وهو الدبلوماسي صاحب التجربة والذي اقترب أكثر من غيره من أشهر عملية فشل للموساد في ليلهامر، التصديق أنه يمكن، هكذا وبكل بساطة، أن ينهار عميل للموساد ويعترف، كما يمكن أن يحدث لدى أي جهاز أمنى آخر في العالم .

و يسرد ملمان نقلا عن كتاب بلمور (حتى تكون هذه المحادثات طويلة وهذه كانت تتم في مكاتب التحقيق في الزنزانة الصغيرة - كانت هناك حاجة لمدهم من التفاصيل في كل مرة. أربيل وغولدنيكوف هما الوحيدان (الخلية الإسكندنافية) اللذان تحدثا بصراحة منذ البداية مع محققيهما) ..

و لكن المسألة لم تتوقف عند (آربيل) فهناك أيضا من قدم معلومات للمحققين (تسفي شتينبرغ وميكي دورف اعترفا بحكاية التغطية التي زودا بها ولم يخرجا عنها خلال التحقيق معهما .طاقم التحقيق النرويجي استغل بشكل جيد المعلومات التي استطاع انتزاعها من كل من تطوع لتزويده بالتفاصيل الهامة. المدعي العام استغل هذه النجاحات في التحقيق ووضع لائحة الاتهام بناء عليها).

بلمور يوضح أيضا أن (طاقم التحقيق حصل على تفاصيل أخرى من خلال تحليل قائمة دخول الأجانب إلى النرويج وفحص استبيانات النزلاء في الفندق في أوسلو وليلهامر في الفترة التي سبقت حادثة القتل .النرويجيون لم يتكاسلوا بل على العكس قاموا بتوسيع اتجاهات التحقيق للدانمارك والسويد وفرنسا وإيطاليا وفي مراحل المحاكمة الأولى حاول المدعي العام استغلال ثمار التحقيق من أجل توسيع الاتهامات وشمل الجهود "الإسرائيلية" الشاملة في مكافحة العنف) .

الصحافي ملمان يوضح أن بلمور، بكلامه هذا (يقصد أن قسما من الطاقم الذي تولى قضية ليلهامر ظهر في عواصم أوروبية أخرى كان الموساد قد اغتال فيها نشطاء (أيلول الأسود) خلال الأشهر العشرة بين أولمبياد ميونخ وعملية (الليلة المريرة) كما أطلق عليها الموساد) .

و يكتب ملمان ملاحظة عائدا إلى أفرايم هليفي، مسؤول الموساد الذي كان له دورا في عدم نشر الكتاب قائلا إن هليفي ربما كان يخشى الجملة التالية التي وردت في الكتاب : (المدعي العام تلقى إشارة من المستويات الأعلى بالنزول عن الشجرة .النرويج لم تكن معنية بتطور القضية وتدحرجها إلى أبواب دول أخرى) .

و القصد واضح هنا (أي ربط المشبوهين بعمليات الاغتيال في باريس وروما ونيقوسيا، هذا الأمر يصدر على ما يبدو من رئيس الحكومة النرويجي تريغواه برطلي نفسه الذي سعى لمساعدة "إسرائيل" المرتبكة من خلال تقليص الأضرار رغم حنقه عليها).

وهذا كلام خطير، وكان يجب أن يستلفت نظر المعنيين في الموضوع من الفلسطينيين ومن العرب وهو يشكل نموذجا لتعامل هذا النوع من الدول مع "إسرائيل" (كطفل مدلل)، والسؤال يبقى لماذا ؟ وما هي الأسباب الجوهرية التي تجعل "إسرائيل" تحظى بكل هذا العطف، وهي تخرق القانون بكل صلف، في دول تختال على غيرها من دول أخرى، بأنها تقوم أساسا على سلطة القانون .

يشير (ملمان) إلى إحدى الفقرات المثيرة في الكتاب والتي تدور حول كيفية حدوث الخطأ بقتل النادل المغربي بدلا من علي حسن سلامة ويعيده إلى أنه (نبع من ملاحقة شتينبرغ ودورف لجزائري اسمه كامل بن آمنة الذي تبين أنه عضو في م. ت.ف ولكن ظهر في وقت لاحق أنه كان الطعم الذي قاد المجموعة إلى بوشكي في ليلهامر .بن آمنة أعطى بعد العملية روايات مختلفة لمحققي الشرطة في النرويج والنمسا حيث تزوج من امرأة نمساوية .مرة قال إنه طالب ومرة قال إنه عامل بسيط وثالثة قال إنه بدأ العمل كموظف في مؤسسات الأمم المتحدة في جنيف .ولكنه وجد صعوبة في تفسير كيفية سماحه لنفسه بالتجول في النرويج وفي أرجاء أوروبا والشرق الأوسط .ولماذا كان بحوزته جوازان جزائريان ولماذا رافقه ممثل السفارة السعودية إلى المطار في جنيف في إحدى رحلاته) .

يقول ملمان : (في كل الأحوال ظهر بن آمنة وهو يتحدث مع بوشكي وبذلك تحدد مصير النادل المغربي، ثلاثة من أعضاء الموساد الذين زودوا بصورة (سلامة) قرروا كلا على حدة أن بوشكي هو المطلوب .هذا القرار حسم ضد مناقض لعضو آخر في القوة) .

و هذا الشخص كما يقول بلمور هي : (فماريان غولدنيكوف التي سبحت في البركة بجوار بوشكي وسمعته وهو يتحدث النرويجية بطلاقة، هذا الأمر جعلها تستنتج أن الشخص الذي يتقن النرويجية بهذه الطلاقة لا يمكن أن يكون أبو حسن سلامة (فالأمير الأحمر ليس معروفا كشخص يتقن اللغة النرويجية) يقول بلمور. ولكن رأي غولدنيكوف لم يقبل .مما سيجعل "إسرائيل" تندم طويلا، إلى درجة الخشية من كتاب بلمور عن تلك العملية .

المحكمة قررت أن (المجموعة التي اعتقلت في ليلهامر قد نظمت من قبل الأجهزة "الإسرائيلية"، وأنها هي التي تقف وراءها) .وتم تبرئة عضو المجموعة (دورف) لعدم توفر الأدلة ..

و صدرت الأحكام على المقبوض عليهم كالتالي : شتينبرغ حكم عليه بالسجن لمدة سنة وغولدنيكوف لعامين ونصف، أربيل حكم خمس سنوات ونصف السنة بالسجن الفعلي، إلا أنهما لم يقضيا كامل العقوبة وأخلي سبيلهما قبل ذلك .

و منذ أن عاد المشاركون في العملية إلى "إسرائيل" وهم يلتزمون الصمت (باستثناء سيلفيا رفائيل)، ولم يجروا المقابلات مع الصحافة .وفي عام ١٩٩٦ وافقت "إسرائيل" على تعويض زوجة المغدور (توريل لارنس بوشكي) وابنتهما وابنان لبوشيكي من زواجه الأول بمبلغ ٤٠٠ ألف دولار .وفي نفس المناسبة عبرت "إسرائيل" عن أسفها عن الحادث دون أن تحمل نفسها المسؤولية عنه .

و يمكن أن تكون أرملة بوشكي، وهي التي تابعت بشكل فردي القضية، حققت نصرا لصالحها في قضية زوجها الراحل،وإن لم يكن كاملا ما دامت "إسرائيل" تعفي نفسها عن (مسؤولية) اغتياله،وهي التي لم تنس تلك الليلة المريرة في ليلهامر .

و ليس هناك ما يشير إلى أن الأطراف التي استهدفها ذراع الموساد الطويلة قد تعلمت دروسا من ليلة ليهامر تلك، رغم أنها كانت في معظمها دروسا مجانية، دفع ثمنها المرحوم بوشكي ووفرتها يقظة شرطي نرويجي ناعس ..!

الرجل الثاني

و من أبرز الذين تم اغتيالهم خليل الوزير الرجل الثاني في حركة فتح والذي وصلته كتيبة الموت إلى تونس في عام ١٩٨٨والانتفاضة الفلسطينية الكبرى في أوجها، في عملية جريئة كان تورط "إسرائيل" فيها مؤكدا رغم أنها لم تعلن مسئوليتها عنها، رغم كل الإشارات والاتهامات الموجهة للموساد بتنفيذ تلك العملية التي كان لها صدى لم ينته .وحطمت ما تصوره البعض بأنها خطوط حمراء متفق عليها، على الأقل ضمنيا، بين "الإسرائيليين" والفلسطينيين بعدم المساس بقيادات الصف الأول، ويقصد بذلك، لدى أصحاب اعتقاد الخطوط الحمراء، القيادات الأبرز من الصف الأول، لأن "إسرائيل" سبق وأن اغتالت عددا من قادة الصف الأول مثل القادة الثلاثة في عملية ربيع فردان .

و كانت تفاصيل ما حدث كما روته انتصار الوزير أم جهاد، أرملة الشهيد أبو جهاد، وابنته حنان، معروفا على نطاق واسع، ويتلخص بتمكن فرقة من الموساد من الوصول إلى ذلك الحي المهم في العاصمة التونسية الذي يوجد به المنزل الذي يقيم به أبو جهاد، وتمكنه من الدخول إلى المنزل وقتل أبي جهاد أمام ناظري عائلته .

و في حين كتبت كتب عن أبي جهاد وحررت مئات الأحاديث الصحافية والتقارير والأخبار عن عملية الاغتيال إلا أن الصمت الصهيوني كان مطبقا رغم أن كل الأصابع كانت تشير إلى جهة واحدة : إلى تل أبيب تحملها مسؤولية تلك العملية النوعية التي استهدفت الرجل الثاني في حركة فتح والخليفة المتوقع لياسر عرفات .

و انتظر العالم تسع سنوات حتى نطقت "إسرائيل" .. !

ففي عام ١٩٩٧ كشفت الصحف الصهيونية عن تفاصيل العملية الدقيقة والتي استخدمت فيها الطائرات والزوارق وقبل ذلك عملاء "إسرائيل" .

صحيفة (معاريف) العبرية في عددها الصادر بتاريخ ٤ تموز كانت، أول جهة صهيونية تشير صراحة وبالتفصيل لتورط "إسرائيل" في العملية التي أودت بحياة نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

و نشرت (معاريف) تفاصيل دقيقة للعملية مما يدعو للاعتقاد، أن الجهات الأمنية الصهيونية (سربت) تلك المعلومات للصحيفة، حتى أن أقلاما فلسطينية وعربية دبجت مقالات في مغزى الكشف عن تورط "إسرائيل" في العملية في تلك الفترة بالذات.

قالت معاريف، دون أن يكذبها أحد في تل أبيب، إن من نفذ العملية وحدات كوماندوز خاصة تابعة لهيئة الأركان "الإسرائيلية"، وهي الأقوى في الجيش "الإسرائيلي" .في منزل أبو جهاد ليلة ١٥ - ١٦ نيسان ١٩٨٨، وتم تنظيم العملية كعملية عسكرية واسعة النطاق .

و تم نقل المشاركين في الاغتيال على متن أربع سفن، من بينها اثنتان نقلت عليهما مروحيتين، لاستخدامهما في حالة الاضطرار لعملية إخلاء طارئة إذا حدث أي خلل أو طارئ غير متوقع .

و كشفت الصحيفة أنه تم إعادة (بناء) فيلا أبو جهاد التي كان يقطن بها في تونس العاصمة بتفاصيلها الدقيقة في "إسرائيل" اعتمادا على عملاء لجهاز الموساد، الذي ساعد رجاله في تدريب الوحدات العسكرية على العملية داخل الفيلا الشبيهة في "إسرائيل" .

و نوهت لدور عملاء الموساد الفلسطينيين والتونسيين في العملية، مشيرة إلى أن بعض العملاء التونسيين كانوا يعتقدون أنهم يعملون لجهاز مخابرات أوروبي لم تذكره الصحيفة .

و نشرت الصحيفة رسما للطابق الأرضي لفيلا أبو جهاد، لشرح كيف تمت العملية، حيث اقتحم أفراد وحدة الكوماندوز الباب الرئيسي وتم قتل أبو جهاد عند طرف الدرج المؤدي إلى الطابق الأول .

و قالت الصحيفة إن إيهود باراك (مساعد رئيس الأركان) وقت تنفيذ العملية، وزعيم حزب العمل عند نشر هذا التقرير في معاريف، هو الذي أعد

للعملية وأشرف على عملية الاغتيال من البحر قبالة شواطئ تونس .وهو صاحب سجل حافل في عمليات الاغتيال .

و لكنه لم يكن وحده، فمعاريف نشرت صورا وأسماء القيادات الصهيونية التي خططت ونفذت تلك العملية وأبرزهم : إسحاق شامير رئيس حكومة الاحتلال وقت ذاك الذي صادق على عملية الاغتيال وبعد تنفيذ العملية بنجاح أرسل برقية تهنئة لمنفذيها، وكذلك إسحاق رابين وزير الدفاع في حكومة (الوحدة الوطنية) الصهيونية الذي أيد تنفيذ العملية في جلسة المجلس الوزاري المصغر، وآمنون ليبكين شاحاك رئيس الاستخبارات العسكرية الذي وفر معلومات لازمة لتنفيذ العملية بنجاح،وناحوم أدموني رئيس جهاز الموساد الذي قدم أيضا معلومات دقيقة لإنجاح العملية،وإيل رجونيس ضابط الاستخبارات في دورية هيئة الأركان والذي بدا، كما تقول الصحيفة بجمع معلومات في نهاية عام ١٩٨٧ بعد تسريحه من الجيش، ودان شومرون رئيس الأركان الصهيوني الذي صادق على عملية الاغتيال .

و أشارت (معاريف) إلى أنه بعد أن تقرر اغتيال أبي جهاد، بدأ جهاز الاستخبارات العسكرية وجهاز الموساد بجمع معلومات شخصية عن أبي جهاد وعن المنزل الذي يعيش فيه، وتم توفير معلومات كثيرة في هذا المجال بمساعدة عملاء "إسرائيل" في تونس .

و لم يكتف هؤلاء العملاء، كما تذكر الصحيفة العبرية بتوفير معلومات وصور منزل الشهيد من كافة الجهات،بل قام هؤلاء العملاء بتقديم مساعدات (لوجستية) لوحدة الكوماندوز الصهيونية التي نفذت الاغتيال .

و كشفت الصحيفة أنه بعد انتقال القيادة الفلسطينية إلى تونس بعد عام ١٩٨٢ فإن "إسرائيل" استطاعت إيجاد قاعدة قوية من العملاء هناك، وأن كثيرين من عملاء الموساد زاروا تونس كسياح أو كرجال أعمال أوروبيين، وأن هؤلاء زاروا تونس كثيرا تحت هذا الغطاء وفي فترات متقاربة، وفتحوا فروعا لشركات أوروبية في العاصمة التونسية كانت غطاء لنشاط الموساد .

و تشير الصحيفة إلى الرغبة الشديدة لدى "إسرائيل" بتجنيد عملاء تونسيين وتم رصد مبالغ كبيرة لذلك لإغراء هؤلاء، وتم النجاح في ذلك بجهود بذلت داخل وخارج تونس، وجند الموساد العديد منهم تحت غطاء أنهم يجمعون معلومات لأجهزة استخبارية أوروبية، بالإضافة إلى ما وصفته الصحيفة بمحاولة الموساد تجنيد عدد من أفراد الفصائل الفلسطينية المختلفة في تونس .

و تؤكد (معاريف) أنه بحلول منتصف الثمانينات من القرن العشرين كان هناك شبكة من العملاء منتشرة في مختلف أنحاء تونس تزود "إسرائيل" بمعلومات دقيقة .

و تضيف (معاريف)، أن هذه الشبكة التي عملت على مدار سنوات في تونس، استأجرت العديد من المنازل لإخفاء الأسلحة والتنصت على المكالمات، وادعت الصحيفة أن الموساد كان يتنصت على الهاتف الذي كان يستخدمه الشهيد أبو جهاد، وأنها كانت على علم بالاتصالات الهاتفية التي أجراها أبو جهاد، مع نشطاء وقيادات الانتفاضة، وكانت هذه الاتصالات تجري عبر بدالات دولية في عواصم أوروبية لإخفاء مصدر تلك المكالمات .

و تكشف الصحيفة،أن "إسرائيل" استعانت بطائرة بوينغ ٧٠٧ كانت تحلق قرب الشواطئ التونسية لجمع معلومات وبثها والتنصت على الهواتف التي يستخدمها القادة الفلسطينيون .

و أشارت الصحيفة إلى أنه أثناء الاستعداد لتنفيذ عملية الاغتيال، تمكنت دوريات بحرية (إسرائيلية) بمساعدة شبكة الموساد في تونس، من التسلل إلى الشواطئ التونسية لتحديد المكان الأكثر أمنا لانطلاق وحدة الكوماندوز التي أوكل إليها مهمة تنفيذ الاغتيال .

و لم يكن الرأي العام والمتابعين، بحاجة كثيرا للمعلومات التي كشفتها الصحيفة الصهيونية لمعرفة مدى قوة العملية ودقتها والتحضير المنظم لها، والإيحاء بأن جهاز الأمن الصهيوني كان وحده يعمل وباقي الأجهزة التي تتولى الأمن في تونس كانت تأخذ غفوة طويلة، وهو الأمر المستغرب، فهذه الأجهزة التي تعمل في تونس وغيرها من البلدان العربية تعرف عن (دبة النمل) عندما

يتعلق الأمر بأمن الحكام، فأين كانت وعملاء الموساد يسرحون ويمرحون في تونس، وثم يدخلون إلى العاصمة وينفذون الاغتيال ويخرجون، ولأن هذا الأمر غير منطقي، فإن كثيرا من المتابعين شككوا بوجود دور لأجهزة الأمن التونسية في عملية الاغتيال، إما بالتورط المباشر أو بتسهيل العمل أو غض الطرف، أو تسهيل خروج الكوماندوز منفذي الاغتيال .

و من أهم ما نشرته الصحيفة (تفاصيل) اتخاذ القرار باغتيال أبو جهاد، وربما يساعد ذلك في فهم (التفكير) الصهيوني في مثل هذا النوع من الاغتيالات والذي طال، هذه المرة، أعلى رتبة عسكرية وسياسية فلسطينية ضمن سلسلة الاغتيالات التي نفذتها "إسرائيل" .

قالت (معاريف) إنه في ١٩٨٨/٣/٨، وبعد انتهاء عملية اختطاف الباص الذي كان يقل موظفي مركز الأبحاث النووية في ديمونا، عقد مجلس الوزراء الصهيوني المصغر، وعلى رأس جدول الأعمال اقتراح قدمه جهاز الموساد باغتيال أحد أفراد منظمة التحرير الفلسطينية ولكنه هذه المرة كان : أبو جهاد.

و يبدو أنه ليس من الدقة أن يوصف ذلك الاجتماع بأنه اجتماع للمجلس الوزاري المصغر، لأن الحاضرين والمشاركين في النقاش كما تحددهم الصحيفة كان معظمهم أركان المؤسسة الأمنية الصهيونية التي لها الدور الأكبر، في تحديد سياسة "إسرائيل" .

قالت الصحيفة إن الذي شارك في (النقاش) في ذلك الاجتماع كانوا رئيس الوزراء : إسحاق شامير، وزير الدفاع : إسحاق رابين، وزير الخارجية : شمعون بيرس، ورئيس الأركان : دان شومرون ونائبه الجنرال إيهود باراك، ومستشار حكومة "إسرائيل" لمكافحة الإرهاب : الجنرال يغال برسلر، ورئيس الاستخبارات العسكرية : الجنرال آمنون ليبكين شاحاك، ورئيس الموساد ناحوم أدموني ونائبه شبتاي شبيط .

و لكن أين كان السياسيون ؟

ما تذكره (معاريف)، يؤكد الدور الذي المؤثر والحاسم الذي تلعبه المؤسسة الأمنية في "إسرائيل"، فبعد خمسة أسابيع، من ذلك الاجتماع الذي يتضح

أنه كان عمليا لأركان المؤسسة الأمنية، في يوم الجمعة ١٩٨٨/٤/١٥، وعندما كان الكوماندوز الصهيوني في السفن مع تجهيزاتهم وطائراتهم وقواربهم، في البحر في الطريق إلى تونس، عقد المجلس الوزاري المصغر الذي تصفه الصحيفة بـ (السياسي) اجتماعا للمصادقة على العملية .

و من الطبيعي والحالة هذه أن لا يستغرق الاجتماع الصوري، أكثر من نصف ساعة، وعلى العموم فإن أعضاء المجلس الوزاري المصغر السياسي الذين أتوا بهم للمصادقة على عملية كانت في طريقها للتنفيذ وافقوا على العملية باستثناء عيزر وايزمن، الذي، وكما تقول الصحيفة عارض العملية بشدة، لأنها حسب رأيه ستضر باحتمالات التوصل إلى تسوية سلمية مع الفلسطينيين، وتذكر الصحيفة أن شمعون بيرس لم يتحمس للعملية، وأيد العملية كل من إسحاق شامير رئيس الوزراء ووزراء حكومة الوحدة الوطنية من الحزبين الكبيرين العمل والليكود : إسحاق رابين، موشيه آرنس، دافيد ليفي، آرئيل شارون، موسى قصاب، حاييم بارليف، إسحاق نافون .

و لم يصادق في هذا الاجتماع على العملية فقط، بل اتخذ قرارا، بأن لا تعلن "إسرائيل" عن أية مسؤولية لها عن العملية سواء نجحت أم فشلت، وهو ما حدث بالفعل، وبقي القرار ساريا حتى الآن.

و لكن لماذا اتخذ القرار باغتيال أبا جهاد ؟

تقر (معاريف) العبرية بأن هناك أسبابا عديدة كانت وراء قرار اغتيال أبو جهاد،ووضعت في المقدمة من هذه الأسباب الدور الرئيس لأبي جهاد في الانتفاضة الفلسطينية الكبرى،ولكن حديثها عن الأسباب الأخرى يكشف بأن قرار اغتيال أبو جهاد لم يكن وليد تلك الظروف المتعلقة بالانتفاضة، فالصحيفة تدرج سببا رئيسا آخر يتعلق بدور أبو جهاد السابق في العمل المسلح ضد "إسرائيل" خلال سنوات طويلة ماضية.

و باعتقادي أن مسؤولية أبو جهاد المباشرة عن عملية ديمونا كانت سببا رئيسا في تنفيذ عملية الاغتيال.ومن بين الأسباب أيضا اعتقاد القيادة في "إسرائيل" أن اغتيال أبي جهاد سيكون له تأثير معنوي ونفسي على المنتفضين

الفلسطينيين في الأرض المحتلة، سيكون له انعكاساته العملية على الأرض، وكذلك إلى رفع معنويات الجيش الصهيوني الذي تدهورت صورته في الانتفاضة، واقتراب موعد الانتخابات الصهيونية، فقررت القيادات الصهيونية تنفيذ عملية كبيرة في عمق خطوط العدو، ولم تنس الصحيفة أن تضيف لجملة الأسباب ما اعتبرته الطموحات الشخصية للقيادات الأمنية في "إسرائيل" أمثال شومرون وباراك .

و هنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض التحليلات التي تناولت (هدف) الكشف عن تلك العملية بعد تسع سنوات، غمزت من قناة باراك الذي كان يتزعم حزب العمل، وباحتمال كونه وراء تسريب تلك المعلومات كنوع من الدعاية الانتخابية له في معركة رئاسة الوزراء في "إسرائيل" التي كان سيخوضها مرشحا لحزب العمل .

و يمكن أن نضيف هنا معلومات أخرى تجاهلها تقرير معاريف، وتكشفت على مدار السنوات التي تلت الاغتيال، كشف عنها نافذون في الموساد وأجهزة الأمن الصهيونية لكثير من الصحافيين الأجانب،وكان الهدف منها الإبقاء على صورة الموساد (الأسطورية) في أعين الرأي العام، خصوصا بعد تعرض تلك الصورة إلى الاهتزاز فيما بعد.

و من هذه المعلومات أن عملاء الموساد راقبوا فيلا أبو جهاد في تونس العاصمة لمدة شهرين مراقبة متواصلة وشملت هذه المراقبة كل شيء يتعلق بالداخلين والخارجين من الفيلا وأفراد عائلته سواء كانوا داخل الفيلا أو خارجها، وزرعوا أدوات تنصت في غرفة نوم أبو جهاد بالإضافة إلى التنصت على هاتفه.

و تدرب فريق القتل في حيفا على فيلا شبيهة بالتي يسكنها أبو جهاد في تونس العاصمة، وكان القرار بأن لا تزيد عملية الاغتيال عن ٢٢ ثانية فقط بعد دخول الفيلا .

و يسرد الصحافي الايرلندي غوردون طوماس في كتابه (انحطاط الموساد) ما جرى في تلك اللحظات الحرجة "في ١٦ نيسان ١٩٨٨ صدر الأمر

بالتنفيذ،في تلك الساعة أقلع عدد من طائرات بوينغ ٧٠٧ التابعة لقوة الجو (الإسرائيلية) من قاعدة عسكرية تقع جنوبي تل أبيب، كانت واحدة تقل إسحاق رابين وعددا من كبار الضباط (الإسرائيليين)، وكانت على اتصال دائم عبر لاسلكي سري بفريق الاغتيال الذي اتخذ أفراده مواقعهم بقيادة عميل اسمه الرمزي سورد، كانت الطائرة الأخرى مكدسة بأدوات المراقبة والتشويش، وكانت طائرتان أخريان تنقلان خزانات الوقود، وعلى ارتفاع شاهق فوق الفيلا حام أسطول الطائرات في الفضاء وهو يتابع كل حركة على الأرض عبر تردد لاسلكي، وبعيد منتصف الليل في ١٦ نيسان سمع الضباط المحمولون جوا أن أبا جهاد قد عاد إلى منزله بسيارة المارسيدس التي كان ياسر عرفات قد قدمها له كهدية عرسه".

و يكمل طوماس : "من موقع قرب الفيلا، أعلن سورد عبر ميكروفون يعمل بحركة الشفاه أنه يسمع أبا جهاد وهو يصعد السلالم ويذهب إلى غرفة نومه ويهمس شيئا لزوجته ويمشي على أطراف أصابعه إلى الغرفة المجاورة لتقبيل ابنه النائم قبل أن يمضي إلى مكتبه في الطبقة الأرضية، كانت طائرة الحرب الإلكترونية، وهي النسخة (الإسرائيلية) لطائرة الرادار الأميركية إيواكس، تلتقط هذه التفاصيل وتحولها إلى رابين في طائرة القيادة، وعند الساعة ١٢:١٧ صباحا صدر أمره بالتنفيذ" .

و بعد قرار التنفيذ هذا كان على (سورد)، أن يأمر رجاله بالتنفيذ، فأجهز أحد رجاله على سائق أبو جهاد الذي كان نائما في سيارة المارسيدس .

ثم تحرك (سورد) نفسه مع أحد رجاله وفجرا بوابة الفيلا بمتفجرات بلاستيكية لا تحدث صوتا، ثم قتلا حارسين فوجئا بالموقف على ما يبدو، ومن هناك اندفع (سورد) إلى مكتب أبي جهاد فوجده يشاهد شريط فيديو،وقبل أن ينهض أطلق النار عليه مرتين في صدره، ولم يكتف (سورد) بذلك، فأطلق رصاصتين إضافيتين على جبهته.

و بعد كل تلك السنوات من تنفيذ العملية كتبت معاريف في تقريرها أن العملية

فشلت في هدفها الأساسي وهو إخماد الانتفاضة، بل إن الانتفاضة تصاعدت أكثر فأكثر.

تلك حقيقة أقرها وعاشها الفرقاء الفلسطينيون، ولكن ما حدث من استثمار سياسي للانتفاضة سيكون مدار جدل لسنوات طويلة قادمة،ما دامت ظروف الشعب الفلسطيني في مراحله المختلفة متشابهة، من حيث ما يوجه للقيادات الفلسطينية بأنها دائما ما كانت دون جسامة الأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية،وبأن الشعب الفلسطيني دائما ما كان سابقا لقيادته في مختلف الظروف.

و لا بد من التوقف هنا إلى ما أشارت إليه معاريف حول ما يمكن تسميه التغلغل المخابراتي (الإسرائيلي) في تونس بعد انتقال منظمة التحرير إليها إثر الخروج من بيروت عام ١٩٨٢، فهذه حقيقة مؤكدة أكدتها ليس فقط الأحداث ومنها عملية اغتيال أبو جهاد، وما تم كشفه من عملاء قبل وبعد تلك العملية، بل كان واضحا أشد الوضوح، ورغم ذلك فإن مكاتب المسؤولين الفلسطينيين كانت مشرعة للزوار (الإسرائيليين) سواء كانوا يحملون صفات إعلامية وصحافية أو سياسيين من مختلف ألوان الطيف السياسي (الإسرائيلي)، وكان ذلك يندرج ضمن خطة المنظمة في (هجوم السلام) الذي (شنته) باتجاه (إسرائيل) .

و قبل نشر تقرير معاريف بعدة سنوات،فإن مصادر استخبارية صهيونية نشرت معلومات عن حجم التغلغل الصهيوني المخابراتي في تونس، ومما نشر مثلا عن وجود طائرة البوينغ ٧٠٧ التي تحوم بالقرب من تونس وتسجل مكالمات القادة الفلسطينيين، وكذلك قيل إنه مع منتصف الثمانينات، كان أعضاء الفرق الخاصة الصهيونية يدخلون ويخرجون إلى ومن تونس بحرية كاملة متنكرين كرجال أعمال أو كسياح وأنهم كانوا يخططون ويرصدون عن قرب المواقع التي تهمهم وبأن عملاء محليين من فلسطينيين وتونسيين كانوا يساعدونهم.

و رغم التقدير مسبقا لحساسيات وضع منظمة التحرير في تونس فإن أسئلة تبرز عن أين كان دور أجهزة الأمن الفلسطينية مما كان يحدث، وإلى أي مدى بلغت مسألة التراخي الأمني ؟ .

و أين كانت أيضا أجهزة الأمن التونسية التي (تسمع دبيب النملة) ؟؟

و كان الثمن الذي دفعه الفلسطينيون فادحا فبعد صدمة اغتيال الرجل الثاني، تعين عليهم بعد سنوات قليلة بأن يصدموا باغتيال ثلاثي مروع .

الرأس

بعد ١٩ عاما من انطلاق حرب غولدا مئير غير المقدسة، بذريعة ميونخ، قتل صلاح خلف (أبو إياد) المسؤول الأمني الفلسطيني الأول، والرأس الأولى في منظمة أيلول الأسود وعملية ميونخ، على حين غرة كما يقولون، مع قياديين آخرين هامين أيضا هما هايل عبد الحميد (أبو الهول) عضو اللجنة المركزية لفتح ومن مسئولي الأمن وفخري العمري (أبو محمد) وهو مسؤول أمني، وكلاهما له علاقة بميونخ وهما مساعدا أبو إياد القريبان منه، في عملية واحدة استهدفت الثلاثة، ولم يكن الموساد (يحلم) بها : عملية تتم بهذه السهولة واليسر وفي توقيت لا يمكن أن يكون مناسبا أكثر من غيره .

كان صلاح خلف مع ياسر عرفات وخليل الوزير (أبو جهاد)، أهم قادة حركة فتح وكان يصنف بأنه الرجل الثاني بعد عرفات وأحيانا الثالث بعد عرفات وأبو جهاد، ولكنه بعد اغتيال أبو جهاد أصبح بلا شك الرجل القوي الثاني بعد عرفات .

و كان أبو إياد معروفا على الأقل بالنسبة للصهاينة بمسئوليته المباشرة عن عملية ميونخ، التي أطلقت وفقا للمزاعم الصهيونية حملة الاغتيالات الطويلة تلك، وترؤسه لمنظمة أيلول الأسود، التي تشكلت بعد الحرب الأهلية في الأردن والتي عرفت باسم أيلول الأسود (أيلول ١٩٧٠).

و في كتابه (فلسطيني بلا هوية) الذي أملاه على الصحافي الفرنسي- المستعرب أريك رولو يتحدث أبو إياد عن أولى عمليات أيلول الأسود في تشرين

الثاني ١٩٧١، والتي كانت اغتيال وصفي التل رئيس الوزراء الأردني ، الذي حملته الفصائل الفدائية مسؤولية عما تعرض له الفدائيون في الأردن.

في يوم ٢٨/تشرين الثاني/١٩٧١، كان وصفي التل محاطا بحراسه ومرافقيه يدخل فندق شيراتون في القاهرة، لحضور اجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك، عندما اغتاله رجال أيلول الأسود، في عملية قال أبو داود فيما بعد إن المسؤول عن التخطيط لها هو أبو يوسف النجار.

و يصر أبو إياد على التفريق بين ما يسميه العنف الثوري والإرهاب الاغتيال السياسي، معتبرا أن منظمة أيلول الأسود (لم تكن منظمة إرهابية مطلقا بل تصرفت دائما كرديف ملحق بالمقاومة في الحين الذي لم يكن بوسع هذه الأخيرة فيه، أن تضطلع بمهماتها العسكرية والسياسية كاملة).

و يشير أبو إياد، وهو لا يريد بالطبع أن يكشف في ذلك الكتاب كل ما يعرفه عن أيلول الأسود، أو عن دوره المباشر في قيادتها، إلى أن أعضاء أيلول الأسود كانوا يؤكدون دائما وأبدا (أنه ليست لهم أية صلة عضوية بفتح أو بمنظمة التحرير الفلسطينية).

و ليس كل ما قاله أبو إياد هنا صحيحا، خصوصا من جهة نفي علاقة فتح بأيلول الأسود، وكما سبق الإشارة فإن وقت صدور الكتاب (١٩٧٨م) لم يكن ملائما، من وجهة نظر أبو إياد على الأغلب، لنشر كل المعلومات التي هو خير من يعرفها باعتباره المسؤول عن أيلول الأسود، ويمكن تفسير إشارته إلى تعدد انتماءات أفراد أيلول الأسود، إلى أن أيلول الأسود، كانت تتكون من مجموعات مختلفة عنقودية التنظيم إذا جاز التعبير، وبالنسبة لعملية اغتيال وصفي التل التي دشنت منظمة أيلول الأسود،فإن المسؤول عنها،حسب شهادة أبو داود التي عرضنا لها في جزء سابق، فإنه أبو يوسف النجار.

و مما يدل على ما ذهبنا إليه فإن أبو داود يشير إلى أن النجار لم يكن له علاقة بأيلول الأسود وأنه فقط أصدر بيانا باسم أيلول الأسود تتبنى عملية اغتيال وصفي التل، ويمكن تفسير كلام أبو داود على أن منظمة أيلول الأسود كانت تضم عدة مجموعات ليس من الضروري أن تكون بينها رابطة تنظيمية.

المهم أن اغتيال وصفي التل المدوي، كان أول إعلان عن منظمة أيلول الأسود، والتي ستكون عملية ميونخ، العملية المدوية الأخيرة لها.. ! وبكثير من الحذر عرض أبو إياد لروايته لعملية ميونخ، باعتباره كما قال استجوب (مطولا الناجين الثلاثة من المجموعة)، وتحرزا أمام الأمانة التاريخية التي ستقف في يوم ما أمام الرواية الكاملة لعملية ميونخ فإن أبو إياد يشير إلى أن سرده للوقائع، استنادا لاستجوابه للثلاثة،محكوم بالقدر (الذي تسمح به القواعد الأمنية،من تفصيل) .

و يمكن هنا الإشارة إلى ظروف إملائه لمذكراته لأريك رولو،فرولو الصحافي الفرنسي الكفؤ الذي تربطه علاقات واسعة ومتعددة ومع مختلف الطبقات والأجيال في العالم العربي،حضر إلى بيروت ليعد كتابا عن ياسر عرفات لصالح إحدى دور النشر العالمية ولكن عرفات امتنع، فبعد مشاورات مع جهة النشر تم الاتفاق مع أبو إياد الذي وافق بشرط أن لا يعلم ياسر عرفات عن تلك الجلسات التي كانت تتم في مناطق في بيروت وفي ظروف الحروب الصغيرة والكبيرة التي كان مسرحها لبنان، وينطلق فيها أبو إياد في الحديث ولكن كما يتبين من وراء سطور الكتاب أنه كان حذرا .. !

و بالطبع تتقاطع رواية أبو إياد (الناقصة) مع رواية أبو داود (الكاملة) لما حدث، مع كثير من التمويه، فمثلا في حين تحدث أبو داود، على أن أبو إياد نفسه قام بإدخال الأسلحة إلى ألمانيا لتنفيذ العملية،فإن أبو إياد يتحدث، لاعتبارات مفهومة بظروف زمن صدور الكتاب،إلى قيام شخص وزوجته بإدخال الأسلحة.

و هناك تفاصيل يذكرها أبو إياد عن العملية وكيفية تنفيذها،تبدو بعد رواية أبو داود، بأن الكثير فيها كان غير صحيح وربما للتمويه.

وهناك تفاصيل أخرى ذكرها أبو إياد تبين مدى علاقته الوثيقة بالعملية، خصوصا بقائدي المجموعتين الأول الذي يسميه عمر مصالحة، وأبو داود أسماه محمد مصالحة، والثاني شي غيفارا .

عن مصالحة قال أبو إياد، إنه كان غادر مسقط رأسه في حيفا وهو طفل، وينتمي لأسرة من الفلاحين الفقراء، وهو حاصل على شهادة في الجيولوجيا، وعمل في حركة فتح كمفوض سياسي، وكان يجيد اللغة الألمانية.

و قال عن تشي غيفارا، إنه مثل مصالحة متمرس بالأعمال الفدائية وهو حاصل على شهادة الحقوق من فرنسا.ويروى أنه في مرحلة الإعداد الأولى للعملية تم اختيار خمسين شابا تتراوح أعمارهم ما بين ١٧ وعشرين عاما، ليتلقوا تدريبات مكثفة وجميعهم من مخيمات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن، وكانوا يجهلون المهمة التي ربما ستوكل إليهم، ولكنهم يتمتعون بحماس كبير للمشاركة في أي عمل فدائي، وهنا يروي بأنه تم استبعاد أحد الفدائيين اليافعين لأنه سبق أن استشهد له اثنان من الإخوة في عمليات سابقة، ولكن هذا الفدائي اليافع احتج وبكى وهدد بالانتحار إذا لم يشارك في العملية، وهو ما حدث فعلا وسقط شهيدا فيها .

و يتطرق أبو إياد إلى عناد غولدا مئير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني بشأن الاستجابة لمطالب الفدائيين بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال.

و يقول أبو إياد إن (عناد السيدة غولدا مئير رئيسة الحكومة "الإسرائيلية" في تلك الأثناء غير طبيعي تماما، من حيث أنها لم تظهر أية إرادة في إنقاذ حياة الرهائن، أما المغاوير الذين كانت التعليمات الصادرة إليهم توصيهم بألا يقتلوا أسراهم، فإنهم راحوا يمددون فترة الإنذار ساعة بعد أخرى، على أمل أن تقدم لهم صيغة تسوية ما).

و يشير إلى أن الخاطفين كانوا يعلمون بأنهم لا يمكنهم الحصول على تلبية كامل مطالبهم وإطلاق سراح المائتي أسير فلسطيني في سجون الاحتلال، وأنهم كانوا مستعدين عمليا لمبادلة رهائنهم بخمسين أو عشرين أو حتى بتسعة معتقلين، وأن أملهم خاب عندما لم يقدم لهم المفاوضون الألمان والصهاينة إلا مبلغا محددا من المال (شيك على بياض) مقابل إطلاق سراح الرهائن والسماح لهم بالخروج سالمين.

و يكرر فكرة أن الخاطفين قاموا بقتل أنفسهم مع المخطوفين، رغم علمه بخطئها كما قال أبو داود، ويذكر كيف أن قائدي المجموعة مصالحة وتشي سقطا برصاص القناصة الألمان وحين سقطا في بركة من الدماء زحفا نحو بعضيهما وتصافحا قبل أن يلفظا أنفاسهما الأخيرة.

و يؤكد خطأ بأن (الفدائيين اللذين كانا يرافقان الرياضيين "الإسرائيليين" واحدا في كل طائرة، لم يعمدا إلى قتل رهائنهما والانتحار معهم، إلا بعد أن لاحظا أنه لم يبق لديهما ما يأملانه، أما الأعضاء الثلاثة الباقون، فإنهم جرحوا فسلموا أنفسهم).

و ينبه أبو إياد إلى أن تضحيات (أبطال ميونخ، لم تذهب هدرا، فإذا كانوا لم يتوصلوا كما يأملون إلى تحرير رفاقهم السجناء في "إسرائيل"، إلا أنهم بلغوا الهدفين الآخرين المرسومين للعملية: فقد اطلع الرأي العام العالمي على المأساة الفلسطينية بفضل دوي الألعاب الأولمبية، كما فرض الشعب الفلسطيني حضوره على هذا التجمع الدولي الذي كان يسعى لاستبعاده،أما الخاتمة – المجزرة فتتحمل حكومتا جمهورية ألمانيا الاتحادية وحكومة "إسرائيل" خاصة، المسؤولية الراسخة الجسيمة فيها) .

من خلال رواية أبو إياد في كتابه الذي أملاه على أريك رولو، الصحافي الفرنسي العليم ببواطن الأمور في العالم العربي، حاول كما قلنا نفي صلته بعملية ميونخ، وكان يذكر الأفعال التي عرفنا أنه صاحبها هو منسوبة إلى مصادر قال إنها أخبرته بها وعمد كذلك إلى التمويه، وحتى عندما ذكر توقيف السلطات الفرنسية لأبي داود بحجة ميونخ فإنه نفى ضلوع أبو داود فيها، ولكن الصهاينة كانوا يعرفون حقيقة دوره في العملية.

و يذكر هو إشارة غامة في كتابه، في معرض حديثه عن الاغتيالات التي شنتها "إسرائيل" بعد ميونخ، ذات دلالة (.. ولا ريب في أن "الإسرائيليين" لم يتراجعوا عن مشروعهم القاضي بتصفية قادة الفدائيين لاعتقادهم أنهم يستطيعون بذلك تدمير الحركة الوطنية الفلسطينية، ولا ريب في أنني أظل أحد أهدافهم الأولية، فطوال سنوات، غذت المخابرات "الإسرائيلية"، وشريكتها

الأميركية، حملة صحافية تهدف إلى إظهاري ليس كرئيس أيلول الأسود وحسب، وإنما كمدبر عدد من العمليات الإرهابية، مع أن عدة منظمات أخرى ادعت القيام بها) ..

و تحدث أبو إياد عن عدة محاولات لاغتياله جرت في بيروت ودمشق، وروى تفاصيل محاولة وصفها بأنها كانت (أكثر جدية) وأوشكت أن تكلفه حياته وحياة أفراد عائلته في آب ١٩٧٣م.

و المحاولة كما يرويها أبو إياد تشبه الأفلام البوليسية إلى حد ما، ففي أحد الأيام وعندما كان أبو إياد في القاهرة حيث تقيم عائلته أبلغ أن أحد الشباب يريد أن يراه لأمر هام وبأن لديه معلومات هامة، وعندما قابله الشاب القادم من الضفة الغربية كما قدم نفسه، قال له إنه مكلف من المخابرات "الإسرائيلية" بقتله وفتح حافظة صغيرة كانت معه وقدم لأبي إياد مسدسا كاتما للصوت، كان من المفترض أن ينفذ به العملية.

و أبلغ أبو إياد دوائر الأمن المصرية بما حدث والتي فتشت عن الشاب في فندق اللوتس فتبين أنه نزل هناك باسم غير الاسم الذي أعطاه لأبي إياد، عندما فتش رجال الأمن غرفته عثروا على حقيبة مغلقة بالمفتاح لم يستطيعوا أن يعرفوا ما بداخلها.

و بعد تلك الزيارة التي قام بها الشاب لأبي إياد بثلاثة أيام، أيقظه أحد الحراس في الساعة السابعة صباحا ليبلغه أن ذلك الشاب حضر ويريد مقابلته، وعندما استقبله أبو إياد رأى بأنه يحمل في يده حقيبة صغيرة لها نفس المواصفات التي تحدث عنها رجال الأمن المصريين عندما فتشوا تلك الغرفة في الفندق، فطلب أبو إياد من الشاب أن يفتح تلك الحقيبة ولكنه ارتبك وتلعثم ثم انهار، واعترف بأن الحقيبة تحتوي على عبوة ناسفة تكفي لنسف المنزل بما فيه وأنه مكلف بوضعها تحت أي مقعد قبل أن يغادر المنزل، واعترف بأن زيارته الأولى كانت تهدف لكسب ثقة أبو إياد، وتم تسليمه للأمن المصري ووضع في أحد السجون.

و بمناسبة صدور كتابه عن عملية ميونخ، والذي أثـار جـدلا أكـد أبـو داود في مقابلـة أجرتهـا معه صحيفة الخليج الإماراتية معرفة "إسرائيل" بدور أبـو إيـاد في عمليـة ميـونخ، ونقـل عـن أبـو إيـاد إخباره له لقاءه في باريس في إحدى المرات مع شخص يهودي في منزل إبراهيم الصـوص ممثـل منظمـة التحرير الفلسطينية في فرنسا،وبعد تكرار لقائه مع هذا اليهودي الذي لاحظ أن لأبي إياد وجـه طفـولي وشعر بأنه ودود ولطيف وسأل أبو إياد إذا كان لا يمانع من مقابلـة آرييـل شـارون ؟ فأجابـه أبـو إيـاد بالإيجاب وبأنه لا مانع لديه من لقائه، وبعد تلقيه ذلك الجـواب أخـبر اليهـودي أبـا إيـاد بأنـه تربطـه علاقة بشارون، وأنه يمكن أن ينقل له عدم ممانعة أبو إياد بلقائه، وهو مـا حـدث، وروى اليهـودي لأبي إياد بأن شارون عندما علم بعرض اللقاء مع أبي إياد انتفض غاضبا وقال عن أبي إيـاد بأنـه قاتـل وأخـبر الوسيط بعلاقة أبو إياد وأبو داود وآخرين بعملية ميونخ وغيرها .

ومن المؤكد بأن أبو إياد، بسبب ميونخ، وغيرها كان مـن ضـمن قائمـة الاغتيـال "الإسرائيليـة" وهو ما تحقق في ظروف مريبة وغريبة وصادم. ففي الرابع عشرـ مـن كـانون الثـاني ١٩٩١،والعـالم كلـه محبوس الأنفاس،مشدود الأنظار إلى الخليج العربي،حيث تستعد ما عرفت باسم دول التحـالف لتوجيـه ضربة للعراق على إثر دخوله الكويت، كان أبو إياد في منزل مساعده هايل عبد الحميد (أبو الهـول) في تونس ومعه مساعد آخر هو فخري العمري (أبو محمد)، وربمـا كـانوا مثـل الآخـرين يتـابعون، وبحكـم مناصبهم الأمنية أيضا، ما يجري في الخليج لحظة بلحظة .

و لأنهم كانوا، ثلاثتهم، يتوقعون أي محاولة لاغتيالهم ستأتي من الخارج، لم يخطر ببالهم أن أحد حراسهم كان يكيد لهم، وينتظر الفرصة أو الأمر.

و في أثناء وجودهم في إحدى الغرف يتقدم الحارس حمزة أبو زيد ويطلب من زوجة أبو الهول كأسا من الماء ليشربه، فتشير إليه بأن يدخل إلى المطبخ ليأخذ حاجته، وتقول له إن الثلاجة لا تعمل، ويتطوع لإصلاحها، وفي المطبخ يجهز سلاحه استعدادا لما هو مقبل عليه، ويدخل غرفة القادة الثلاثة،ولأنه كان يعرف مهمته جيدا أطلق النار على رأس أبو إياد أولا ثم نحو

فخري العمري ويقتله ويحاول أبو الهول، الذي استوعب المفاجأة أن يرد عليه، ولكن أبو زيد يعاجله برصاصة تصيبه في مقتل، وفي حين توفي أبو إياد والعمري فورا توفي أبو الهول لاحقا في المستشفى.

و من سوء حظ أبو إياد ورفاقه أن توقيت العملية الذي أبهج، ولا شك، المتربصين بهم، كان سيئا بدرجة كبيرة بالنسبة للطرف الفلسطيني، لأن الجميع كان مشغولا بما سيحدث في الخليج، وتم التحقيق مع أبو زيد الذي أعدم لاحقا، ونشر أنه من أتباع صبري البنا (أبو نضال)، الذي يقود جماعة منشقة عن حركة فتح .

و في الواقع فإن معلومات كثيرة بقيت ناقصة ولم تستوف، فيما نشر وقيل في حادث اغتيال ما وصف أنه العقل الأمني للثورة الفلسطينية وكذلك الإثنين الذين قضوا معه، وإجمالا فإن اغتيال أبو إياد ورفيقيه يسجل إنجازا للجهة التي وقفت وراء اغتياله،فهو في النهاية وصول لمسؤول جهاز المخابرات الفلسطينية الأول ومساعديه الرئيسين.

و على كل فإن أجيالا جديدة من الفلسطينيين ترفع صور أبو إياد في المناسبات باعتباره أحد الشهداء الذين تمكنت "إسرائيل" من اغتيالهم، ولا توجد جهة أكثر من "إسرائيل" في رأينا لها مصلحة في تغيبه عن الوجود، خصوصا وأن لها معه ثأرا ميونخ.

و لا يمكن إغفال التوقيت الذي تمت فيه العملية والذي جاء والمنطقة بأسرها تدخل صفحة جديدة مأساوية من تاريخها وكان أبو إياد نفسه قبل اغتياله حاول أن يقوم بدور الوساطة في تلك الأزمة وقابل الرئيس العراقي صدام حسين، وكان متشائما جدا وسمعه الكثيرون وهو يتحدث من خلال إذاعة مونت كارلو (الله وحده يعلم بالمصيبة التي ستحل بالأمة العربية، كم أنا متشائم من هذا الليل المظلم الزاحف نحونا).

و لم يكن اغتيال أبو إياد في ذلك اليوم (المكفهر) في حياة المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، حيث بدأت ليلا عملية (عاصفة الصحراء) هو الرصاصة الأخيرة في مسدس "إسرائيل"تجاه الشخصيات الفلسطينية القيادية الذي

أشهرته بحجة ميونخ، وإن كانت من أقواها رغم أنها لم تحتج لكثير جهد، ميزت عملياتها الأخرى، وهذه مفارقة من المفارقات في زمن عربي مليء بالمفارقات.

طلقة غولدا الأخيرة

و إذا كان هناك اختلاف في الاجتهادات في النظر لعملية اغتيال أبو إياد ورفيقيه أبو الهول وأبو محمد، فإن المؤكد الذي لا خلاف عليه لدى الجميع، هو الإدراك لمدى الفراغ الذي تركه رحيلهم المفاجئ على أجهزة الأمن الفلسطينية.

و مع غياب أبو إياد ورفيقيه، استلم مسؤولية الأمن الفلسطيني كوادر من تلامذة أبو إياد من بينهم عاطف بسيسو الذي يعتقد بأنه واحد من ثلاثة حلوا محل أبو إياد في قيادة الجهاز الأمني التابع لمنظمة فتح.

و تولى بسيسو، مسؤولية العلاقات مع أجهزة الاستخبارات الأوربية ومن بينها الفرنسية ومتابعة شبكات من المتعاونين في العواصم المختلفة وأيضا أنيطت به مسؤولية تأمين أمن مسئولي منظمة التحرير.

و في يوم ١٩٩٢/٦/٨،كان عاطف بسيسو الذي وصل فجأة للعاصمة الفرنسية باريس للالتقاء مع مسؤولين من المخابرات الفرنسية، عائدا مع صديقين لبنانيين إلى فندق المريديان مونفرانس في شارع كومندينت موشوط،في العاصمة باريس، عندما اقترب منه رجلان وأطلقا النار عليه من مسدسات مزودة بكواتم للصوت وجمعا فوارغ الرصاصات وغابا عن الأنظار.

و يعتبر هذا الفندق فألا سيئا على الشخصيات العربية المهددة بالاغتيال، ففي ١٩٨٠/٦/١٣،تم اغتيال الدكتور يحيى المشد في إحدى غرف الفندق، والمشد كما هو معروف كان مسؤولا في المشروع الذري العراقي وكان في فرنسا في تلك الفترة لأسباب تتعلق بنشاطه ذاك، ولكن بسيسو، لم يأخذ ذلك على ما يبدو على محمل الجد،رغم معلومات استخبارية كانت تتناثر في العاصمة الفرنسية عن تحول فندق المريديان ذاك إلى ساحة للنشاط الاستخباري.

و كان الصحافي المصري عادل حمودة في كتابه عن اغتيال الدكتور المشد قدم صورة (مريبة) لهذا الفندق، الذي قال عنه، إن الشرقيين يفضلونه (و

قد نقلوا إلى إدارته الكثير من العيوب،مثل البقشيش الذي يصل حد الرشوة، والخطأ المتعمد في فواتير الحساب والإهمال الذي لا يختلف كثيرا عن المؤامرة).

و عن نزلائه كتب عادل حمودة أنهم (خليط من الأثرياء والدبلوماسيين والتجار والصحافيين ورجال الأعمال ونجوم السينما، وكل شيء فيه مباح .. متاح .. حتى اللغة العربية، فعندما تبرز النقود، يتنازل الفرنسيون عن غطرستهم الشهيرة، ويتحدثون لغة الشيطان).

و أضاف وهو يجمع معلومات عن مسرح الجريمة التي قتل فيه المشد، وفيما بعد عاطف بسيسو (ويعمل بعض العرب في أماكن الفندق الحساسة، الحجز، خدمة الغرف، البار، والملهى الليلي الذي لا يخلو برنامجه من الرقص والغناء الشرقي، والاستعراض والاستربتيز الغربي).

و أيضا تتساهل إدارة الفندق مع العاهرات (و تسمح لهن بالوجود في الممرات والكافتيريا والبار والغرف دون خوف إذا كن يعملن تحت إشرافها، كما أن عاملة التليفون لا تتردد في خدمة النزلاء بإحضار عاهرات بالتلفون من شركات الرقيق الأبيض والأسود، المتخصصة في التوصيل من الباب إلى الباب، ولمزيد من السرية فإن الغرف مبطنة بعازل وكاتم للصوت،أي أنها غرف مناسبة للخطيئة والجريمة معا).

و لأن بسيسو، كما تبين فيما بعد حضر على وجه السرعة إلى باريس ولم يكن ضمن خطته المعلنة في رحلته أن يزورها، فإنه لم يحجز في الفندق الذي اعتاد أن ينزل فيه مسئولو منظمة التحرير وهو فندق الميرديان بورت، أو ربما حجز في الفندق (المشبوه) الذي قتل على أعتابه إمعانا في التمويه.

و يمكن القول إن اغتيال بسيسو شكل، على الأقل مفاجأة، إن لم نقل صدمة لرفاقه، فالرئيس عرفات والقيادة الفلسطينية كانت تخوض مفاوضات مع (إسرائيل) ضمن الترتيبات التي أفرزتها حرب الخليج الثانية ومؤتمر مدريد، وفتح صفحة جديدة في العلاقات بين الفلسطينيين و(إسرائيل).

و ترددت أنباء صحافية أن تنظيم صبري البنا (أبو نضال) المنشق عن حركة فتح، أعلن مسئوليته عن مقتل عاطف بسيسو، وهذا أعاد للأذهان قضية اغتيال أبو إياد ورفيقيه على يد الحارس الذي قيل إنه ينتمي لتنظيم أبو نضال، وها هو أبو نضال يعود من جديد ويقتل أحد مساعدي أبو إياد، ولكن تنظيم أبو نضال عاد ونفى مسئوليته عن الحادث، بينما الرئيس عرفات الذي كان منهمكا في العلاقة الجديدة مع (إسرائيل)، اعتبر مقتل بسيسو ضربة لعملية السلام واتهم (إسرائيل) صراحة بالوقوف وراء حادث الاغتيال.

و أمام أصابع الاتهام التي وجهت لـ (إسرائيل)، نفى اللواء أوري ساغي رئيس شعبة الاستخبارات الصهيونية، أية علاقة لـ (إسرائيل) في الحادث وأنه لا يعرف من قام بعملية الاغتيال، ولم يصدقه أحد.. !

و أضاف ساغي للصحافيين،أن بسيسو مسؤول عن قتل الرياضيين (الإسرائيليين) في ميونخ وعن المحاولات الفاشلة لضرب طائرة العال في روما عام ١٩٧٨.

و بقيت أصابع الاتهام متجهة نحو (إسرائيل)، لعدة أسباب منها ضلوع عاطف بسيسو، بحكم عمله مع أبو إياد، في عملية ميونخ، وهي التي نفذت سلسة العمليات الكثيرة بحجة ميونخ، وأضيف إلى ذلك سبب جديد، هو بمثابة رسالة إلى المخابرات الفرنسية (دي.أس.تيه) بأن الموساد غير راض عن علاقتها مع المخابرات الفلسطينية .

و مثلما يحدث في مرات كثيرة،غابت قضية عاطف بسيسو،عن اهتمامات الرأي العام الفلسطيني،ولكن هناك من كان حادث الاغتيال يعنيه بصورة مباشرة مثل زوجته ديما، ومحاميها فرانسوا جيبو،والقاضي جان لوي بروغيير،الذي كلف بالتحقيق في ملف اغتيال عاطف بسيسو في قلب العاصمة الفرنسية، ومعرفة الجهة التي تقف وراء حادث الاغتيال.

و بعد مرور سبع سنوات، وفي شهر آذار ١٩٩٩م قدم القاضي الفرنسي تقريره عن الحادث اتهم فيه (الموساد) "الإسرائيلي" بالوقوف وراء قتل بسيسو،

وأنه استعان بذلك بالجاسوس عدنان ياسين لتنفيذ عمليـة اغتيـال بسيسـو الـذي كـان عـلى علاقة مع الاستخبارات الفرنسية.

و عدنان ياسين ربما يكون أشهر جاسوس يتم اكتشافه كان يعمـل في منظمـة التحريـر عقـب انتقالها من بيروت إلى تونس، وكان مسؤولا عن ترتيبات السفر في المنظمة وبحكم علاقاتـه كـان يـدخل إلى مكاتب كبار المسؤولين بسهولة ويسر، وبفضل تعاونه مع (إسرائيـل) كانـت المخـابرات (الإسرائيليـة) تتطلـع عـلى كثـير مـما يـدور في المكاتـب الفلسـطينية، وخـلال جـولات المفاوضـات الفلسـطينية – (الإسرائيلية) التي سبقت توقيع اتفاق أوسـلو،كان المفاوضـون الفلسـطينيون يصـابون بالـذهول عنـدما يدركون بأن الطرف الآخر لديه معلومات كافية عما سيطرحونه ومـا سـيناورن عليـه وخطـط التفـاوض التي عادة ما كانت توضع في مكتب محمود عباس (أبو مازن).

و مع نشر تقرير القاضي الفرنسيـ ارتفعـت أصـوات في (إسرائيـل) تحـذر مـن نشـوب أزمـة دبلوماسية بين (إسرائيل) وفرنسا على خلفية هذا الاتهـام، وفي حـين رفـض أفيـف بوشينسـكي المستشـار الإعلامي لرئيس الحكومة الصهيوني التعليق على التقرير الفرنسي، فإن مصادر في ديوان رئيس الحكومـة الصهيوني نقلت إلى صحيفة هآرتس العبرية (١٩٩٩/٣/٢١) مخاوفها الكبيرة من أن يؤدي تطـور القضـية إلى أزمة في العلاقات الاستخبارية والدبلوماسية بين (إسرائيل) وفرنسا.

و أشارت هذه المصادر التي لم تسمها صحيفة هآرتس العبرية إلى أن قضية بسيسو قد تتحول إلى شبه ما حدث في قضية اغتيال رسـام الكاريكـاتير الفلسـطيني الشـهير نـاجي العـلي الـذي اغتيـل في حزيران ١٩٩٧،وفي حينها وجهت أجهزة الأمن البريطانية اتهامات لـ (إسرائيل) بدعوى أن (الخليـة التـي انتمى لها القتلة كانت مخترقة من قبل عملاء الموساد)، وبأنه كان يجب عـلى الموسـاد إبـلاغ المخـابرات البريطانية بذلك، وأعلنت بريطانيا عن أسماء عدد من رجـال الموسـاد كأشـخاص غـير مرغـوب فـيهم في بريطانيا، وحسب هآرتس فإن حـادث اغتيـال العـلي تسـبب في ضرر فـادح للعلاقـات الاسـتخبارية بـين بريطانيا و(إسرائيل).

إذن كان الموساد في قضية بسيسو في وضع مشابه لما حدث معه في قضية ناجي العلي مع الفارق أن الغضب الفرنسي كان أكبر، لأن بسيسو، وفقا لكل الاعتبارات كان ضيفا على الـ (دي.أس.تيه) .

و كانت الأوساط الفلسطينية والعربية المعنية غائبة .. ! عن ما يحدث ولم (تستغل) الاتهام الفرنسي العلني لـ (إسرائيل) بمقتل رجل الأمن الفلسطيني لتثير قضية الإرهاب (الإسرائيلي) المستمر والذي لا يتوقف في ظل الحرب أو في ظل السلام، حتى لو كان سلاما وفق المعايير (الإسرائيلية).

و لا بد هنا من الإشادة بجهد القاضي بروغير الفرنسي، ومهنيته، فهذا الرجل أخذ المسألة،كما اتضح بشكل جدي،وليس كما كانت تفعل الأجهزة المشابهة في الدول الغربية الأخرى عندما يتعلق الأمر بالإرهاب (الإسرائيلي) على أراضيها.

علم بورغيير بأن ثلاثة أشخاص فقط علموا بنية عاطف بسيسو التوجه إلى فرنسا خلال جولته الأوروبية، وهؤلاء هم: زوجته ديما، وأحد المسؤولين في المنظمة وعدنان ياسين، وبعد التحقيق، اشتبه القاضي الفرنسي بعدنان ياسين أنه وفر المعلومات عن تحركات بسيسو للموساد (الإسرائيلي) .

و توجه القاضي إلى منظمة التحرير الفلسطينية، في مطلع عام ١٩٩٣، مطالبا بتفاصيل المكالمات التي كان يجريها عدنان ياسين، من مقر المنظمة في تونس في اليوم الذي سبق حادث الاغتيال،وحسب مزاعم صحيفة هآرتس العبرية فإن المنظمة لم تستجب،ولكن هذا القاضي المقدام الذي لا يكل ولا يمل كما يقال، وجد طريقة للوصول إلى هدفه، ويعتقد أن المخابرات الفرنسية ساعدته بوضع يده على المكالمات التي كان يتركها عدنان ياسين في (آنسر مشين) الهواتف التي يتحدث إليها في فرنسا وإيطاليا،وبعد تحليل هذه الرسائل تأكد الفرنسيون من علاقة عدنان ياسين بالموساد.

و هنا لا بد من التساؤل لماذا لم تتعاون منظمة التحرير مع القاضي الفرنسي؟ ولماذا تم (السكوت) على عدنان ياسين نحو عشرة أشهر، حيث تم اعتقاله في ١٩٩٣/١٠/٢٥،مع أنه كان من الواضح ومن الطلب الفرنسي

الرسمي بالاطلاع على مكالمات ياسين بأن هناك على الأقل شيئا ما ضد الرجـل مـن مخـابرات قوية و(صديقة) هي المخابرات الفرنسية وفي قضـية تتعلـق في النهايـة بأحـد قـادة الأمـن الفلسـطيني: عاطف بسيسو.

و تكرر موقف منظمة التحرير (السلبي) فيما بعد عندما طلب القاضي الفرنسي الاسـتماع إلى إفادة عدنان ياسين الذي أعلن أنه معتقل في أحد السجون التونسية، وجاء الـرد الفلسـطيني،بأن ياسـين اختفى في العام ١٩٩٦، بعد انتقال منظمة التحرير من تونس إلى غزة.

و قد لا يكون الرد الفلسطيني هـذا صـحيحا، لأن الأنبـاء الصـحافية تحـدثت عـن أن عـدنان ياسين أعدم بعد اكتشافه على ظهر سفينة في المياه الدولية، وأنباء أخرى تحدثت عن وجوده معـتقلا في اليمن أو في تونس.

المهم أن ما بدا في ربيع عام ١٩٩٩ بداية لأزمة بين فرنسا و(إسرائيل)، بعد انتهـاء التحقيـق في القضية واتهام (إسرائيل) بالمسؤولية عن الاغتيال بمساعدة جاسوسها عـدنان ياسـين الـذي أبلـغ الموسـاد بتفاصيل وجود عاطف بسيسو في باريس، أخذ في التراجع، وربما كانت الأسباب كثيرة ومتنوعـة ولكـن لا يمكن هنا إبراء الجهات المسؤولة والمعنية العربية والفلسطينية، من مهمة المتابعة والاسـتمرار والضـغط عـلى الجـانبين الفرنسي ـ الـذي كـان متحمسـا لإدانـة (إسرائيـل) و(الإسرائـيلي) الـذي كـان يـدخل مـع الفلسطينيين،والعرب في حلقات مفرغة مسجلا أهدافا في ملعبهم وهم فرحون.. !

و لا بد من التوقف هنا عند ما أثير من قضية الجاسوس عدنان ياسـين، والتـي أخـذت مجـالا واسعا في التداول، فوفقا لمعظم المصادر فإن ياسين الذي كان يتولى مسؤوليات استصدار أذونـات السـفر لكوادر المنظمة في تونس، كان يعالج زوجته المريضة في فرنسا، على حساب المنظمـة، وأنـه كـان يسـافر كثيرا هناك لهذه الغاية، ورغم أن مصادر فلسطينية قالت إنه لم يعان من مشاكل مادية لعلاج زوجتـه، فإن مصادر أخرى أفادت أن المخابرات الصهيونية استطاعت النفاذ إليه من هذا الباب.

و قيل إن أول لقاء تم بين ياسين وممثل عن الموساد كان في شـهر آذار ١٩٨٩، في باحـة نفـس الفندق الذي قتل على أعتابه بعد ذلك التاريخ بأكثر من ثلاث سـنوات عـاطف بسيسـو، وهـو الفنـدق (المشبوه) بعاهراته وإدارته والعاملين به والكثير من رواده.. !

و قيل إن عدنان ياسين تجند على يد ضابط الموساد المـدعو (حلمـي) الـذي (الـتقط) عـدنان ياسين في ذلك الفندق،وعرض عليه الدخول في مشاريع تجارية مشتركة، وفيما بعد تولى الضابط (جورج) العلاقة مع ياسين.

و كان وقوع ياسين في الفخ، نصرا مهما للموساد، لأن ياسـين بحكـم علاقاتـه وتدخلاتـه جعـل قيادة المنظمة مكشوفة للجانب الآخر.

ومما تم الكشف عنه، مثلا، أن عدنان ياسين الذي زوده الموساد بأجهزة تجسس حديثة جدا، حصل من الموساد على مصباح فاخر للقراءة، وعلى كرسي طبي متطور وجهاز فاكس صغير الحجـم، وتـم وضـع أجهـزة تنصـت في هـذه الأجهزة،وتشـتغل هـذه الأجهـزة بمجـرد الجلـوس عـلى الكرسي،بفضـل جهاز حساس للحرارة وضع في الكرسي، وتستطيع هذه الأجهزة العمل ثماني ساعات دون تغيير البطارية.

و شحن ياسين هذه الحاجيات في سيارة رينو من فرنسا إلى تونس، ولأنه أيضا من مسؤولياته، ترتيب إدخال الأثاث للكوادر الفلسطينية، فبدا عاديا أن يقوم بتقديم هذا (الأثاث) إلى محمود عباس (أبو مازن)، واستقرت أدوات التجسس هذه في مكتب أبو مازن، وفيما بعد عرف السر، الذي كان يحير رجال أبو مازن، الذين كانوا يتفاوضون هناك بعيدا في أوسلو، مع (الإسرائيليين)، وبدوا أمامهم مكشوفي الظهر تماما، فقد كان (الإسرائيليون) يعرفون تماما ما سيعرض عليهم وحدود التكتيك الفلسطيني والمدى الذي يمكن أن يتنازل عنه الفلسطينيون.

و فيما بعد تحدثت أوساط صهيونية أن القيادة (الإسرائيلية) شعرت أن ذلك (العري) الفلسطيني في المفاوضات السرية في أوسلو،بدأ يعكر أجواء المفاوضات التاريخية بين الفلسطينيين و(الإسرائيليين)، وأن

الوفد الفلسطيني يشعر بمهانة كبيرة وهو يواجه الوفد (الإسرائيلي) المدعم بالخبرات والمعلومات، عاريا، ولم يكن يعرف أحد أن سبب كل ذلك، الكرسي الفاخر والأدوات الملحقة الجميلة التي أعجبت قائد المفاوضات أبو مازن، فسمح لعدنان ياسين بوضعها في مكتبه.

و بعد التحقيق مع ياسين الذي لم يكشف عنه الكثير،فإن المعلومات المؤكدة كانت تتعلق بأن الموساد زوده بأجهزة تنصت متطورة جدا،وبعضها مثل الذي زرع في مكتب أبو مازن يمكن أن يعمل لخمس سنوات دون تغييره.

و بالطبع لم يقتصر دور ياسين على ذلك، فأشارت التقارير التي نشرت بعد اعتقاله إلى تعاون ابنه هاني الذي يملك كراجا للسيارات في العاصمة التونسية، وكان يتم وضع أجهزة تنصت في السيارات التابعة للمنظمة ولرجالها التي تذهب للتصليح في كراج هاني.

و يبدو أن المخابرات الفرنسية أرادت أن تقدم خدمة لمنظمة التحرير ضمن التعاون الاستخباري أو حتى.. ربما (تكفيرا) عن الإخفاق في حماية (ضيفها) عاطف بسيسو والذي وصله رجال الموساد وقتلوه على أرضها، أو أرادت أن ترد صفعة الاغتيال إلى وجه الموساد،ودبت الحرارة في الخطوط الساخنة الفرنسية والتونسية والفلسطينية، وقبل اعتقاله أخضع لرقابة مشددة وتم ضبط سيارة رينو ٢٥ أرسلت إلى عدنان ياسين من ألمانيا،فاعترضتها الجمارك التونسية،وتم تفتيش السيارة واكتشاف أجهزة تنصت دقيقة فيها، وتم القبض على ياسين الذي وصف بأنه أخطر جاسوس لـ (إسرائيل) في منظمة التحرير، ولكن ربما كان ياسين الذي قدم معلومات وافرة لـ (إسرائيل) في منعطف تاريخي في العلاقات بين (إسرائيل) والمنظمة، من الجواسيس المهمين الذين تم كشفهم، ولكنه ربما لم يكن أخطرهم، ففي عالم مثل الجاسوسية لا يعترف بسهولة بأفعال التفضيل .

و لابد من الإشارة هنا إلى أن الأجواء التي كانت تشهدها العاصمة التونسية عشية القبض على ياسين والكشف عن اعترافاته، كانت تعج بالمفارقات، ففي حين يتم إلقاء القبض على ما وصف بأنه (أبر) جاسوس لـ (إسرائيل) في منظمة التحرير.

كان الصحافيون الصهاينة المستعربون،وثيقي الصلة بالاستخبارات (الإسرائيلية)، يحجون بشكل شبه يومي إلى تونس وينزلون في ضيافة منظمة التحرير، ويستقبلهم كبار المسؤولين هناك، ويدلون لهم بأحاديث صحافية عديدة ولمختلف وسائل الإعلام الصهيونية ومن بينها التلفزيون العبري .

كانت الوفود الصهيونية تحج إلى تونس قبل ذلك ولكنها تكثفت قبل وأثناء وبعد الإعلان عن اتفاق أوسلو، وفي حين أن (إسرائيل) بالكشف عن الجاسوس ياسين،كانت تؤكد بأنها ما زالت ترى في الفلسطينيين أعداء لا يؤتمنون مهما قدموا من تنازلات.

كان القادة الفلسطينيون يستقبلون ممثلي أحد أذرع الدولة العبرية الهامة: الإعلاميون، وكتبت في حينه تحقيقا موسعا، عن تلك الظاهرة في الأراضي المحتلة وتونس، وأسميتها (ظاهرة يوني) نسبة إلى يوني بن مناحيم مراسل التلفزيون العبري العليم ببواطن الأمور في الأراضي المحتلة، وفي تلك الفترة في تونس أيضا، والذي كان مصدرا إخباريا مهما بما يجري في الساحة الفلسطينية في الداخل وفي الخارج في تونس،تصب عنده المعلومات الهامة ويتطوع المسؤولون الفلسطينيون للاتصال به وإمداده بالمعلومات،ومثلما كان يصول ويجول في الأراضي المحتلة.

انتقل يوني بن مناحيم بكاميرته إلى تونس وأصبح يصول ويجول فيها أيضا، ويبث التقارير من هناك وأحيانا بشكل مباشر، ومرة بث تقريرا مباشرا من العاصمة التونسية عن وصول نايف حواتمة زعيم الجبهة الديمقراطية المعارض لأوسلو إلى تونس سرا وقال إن حواتمة قال له إذا كشفت عن زيارتي فسأنفي ذلك فورا.. !

و قدم وهو في تونس تقارير، عرف فيها بالرموز التي ستلعب أدوارا في المرحلة المقبلة : مرحلة السلطة الفلسطينية مثل حسن عصفور وجبريل الرجوب وياسر عبد ربه وغيرهم .

و خلال التحقيق الذي أجريته تبين أن كل الصحافيين المختصين بالشؤون العربية كانت لهم علاقات معلنة مع أجهزة الدولة العبرية ومع أجهزة الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة.و يوني بن مناحيم الذي كان أبرزهم وأكثرهم ديناميكية، هو أحد الذين شاركوا في عملية الليطاني في آذار ١٩٧٨ في جنوب لبنان ويعمل محاضرا في مدرسة عسكرية صهيونية في مستوطنة مقامة على رأس مدينة بيت جالا، وقابلت مناحيم على مدخل مقر الحاج إسماعيل جبر قائد القوات الفلسطينية في الضفة الغربية لدى دخوله أريحا ضمن اتفاق(غزة وأريحا أولا) وعاتبني على التقرير الذي نشرته عن (ظاهرة يوني) مؤكدا على تطوع المسؤولين الفلسطينيين بالاتصال به ومده بالأخبار والمعلومات.

و أيضا من رموز ظاهرة يوني (روني شكيد) الذي عمل في جهاز الشاباك الصهيوني وكان يحقق مع المعتقلين الفلسطينيين في معتقل المسكوبية بالقدس.

وهذا المعتقل بالذات هو (مسلخ بشري) بكل ما تعنيه الكلمة من معنى كما خبره كاتب هذه السطور أكثر من مرة.

و حتى الذي عرفوا بيساريتهم من الصحافيين الصهاينة الذين عملوا في الشؤون الفلسطيني والعربية فكانت لهم علاقات مع أذرع الاحتلال المختلفة، فمثلا يهودا ليطاني كان ناطقا بلسان الجيش الصهيوني المحتل للضفة الغربية وقطاع غزة،ويوسي تورفشتاين عمل مستشارا لحاكم بيت لحم العسكري،وبنحاس عنبري كان مسؤولا عن دائرة الإحصاءات في الضفة الغربية التي تتبع الحكم العسكري .

و من جانب آخر كانت تصريحات المسؤولين الفلسطينيين الذي أصبحوا مفتوحي الأذرع للصحافيين الصهاينة،يأخذونهم بالأحضان،كما لو كانوا ينتظرون هذه الفرصة على أحر من الشوق، غير موفقة فيما يطرحونه،في معظم الحالات.



الفصل الثالث
الكف والمخرز

في أثناء البدء بتطبيق اتفاقيات الحكم الذاتي،سمحت (إسرائيل) لرجال مـن منظمـة التحريـر متهمون بالمشاركة بتدبير عملية ميونخ والتي قتـل فيهـا عشرـة مـن الرياضـيين الصـهاينة، بالـدخول إلى فلسطين، وبدا حينها للمراقبين بأن (إسرائيل) تخلت عن سياستها بالإعدام والاغتيـال، إلا أن حادثـا وقـع في تلك الفترة له دلالته أدى إلى نسف تلك الفرضية .

ففي الساعة الثالثة من عصر يوم ١٩٩٤/١١/٢ خرج هاني عابد أحد مسئولي الجهاد الإسلامي، الذي كان يدير مكتب أبرار للصحافة بغزة، ذو العلاقة بحركة الجهاد الإسلامي، ويعمل محاضرا في كليـة العلوم والتكنولوجيا بخانيونس من الكلية، بعد انتهاء عمله، وركب سيارته من نوع (بيجو ١٠٤) وعندما أدار محركها انفجرت السيارة وسقط هاني عابد شهيدا، والذي اتهمته (إسرائيل) بتدبير عمليـة عسـكرية استهدفت جنديين صهيونيين قـرب حـاجز بيـت حـانون (أيـرز) في العشرـين مـن أيـار ١٩٩٣ .ووصـفته صحيفة هآرتس العبرية بعد اغتياله بأنه رئيس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة .

و فور اغتياله، اتهمت الفصائل الفلسطينية (إسرائيل) بتدبير الاغتيال، وفي صيف ١٩٩٧ قال الوزير في السلطة الفلسطينية فريح أبو مدين أثناء رده على منتقدين للسلطة، في اجتماع مفتوح في قاعة الاتحاد النسائي العربي في مدينة بيت لحم، إنه أعطى مسدسه الشخصي للشهيد عابد وحذره من الاغتيال، وربما عنى ذلك أن السلطة كانت لديها معلومات حول المستهدفين من قبل (إسرائيل) .

و عابد، المولود في عام ١٩٦٠م في غزة لأسرة فلسطينية بسيطة ومتدينة،واحد من جيل فلسطيني خطا خطواته الأولى مع الاحتلال لباقي الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧م، وكان مقدرا لهاني أن يشهد اعتقال والده عام ١٩٧١م على يد الاحتلال بتهمة مقاومة الاحتلال،وسيتذكر فيما بعد دائما،الزيارات التي كان يقوم بها مع والدته لوالده في السجن .

و في عام ١٩٨٠م التحق بالجامعة الإسلامية بغزة، وهناك اقترب من مجموعة طلابية صغيرة، في ذاك الوقت، بخلاف الأطر الطلابية الوطنية والقومية واليسارية المتعددة، كان اتجاهها إسلاميا .

و حسب سيرة شبه رسمية، فإن عابد، خلال اقترابه من هذه المجموعة فإنه (عرف أن فلسطين والإسلام توأمان لا ينفصلان، وأن مرحلة جديدة سوف يحمل فيها أبناء الإسلام راية الدفاع عن فلسطين آتية لا محالة) .

و في تلك الأثناء التقى مع الدكتور فتحي الشقاقي، المثقف الفلسطيني العضوي، الذي أسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، تلك الحركة، التي كان مقدرا لها أن تلعب دورا بارزا بجانب فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية الأخرى.

و بعد تخرجه من الجامعة عام ١٩٨٤م من كلية العلوم قسم الكيمياء، أكمل دراسته للماجستير في جامعة النجاح الوطنية عام ١٩٨٨م،وكان التيار الإسلامي في الحركة الطلابية في تلك الجامعة يتعاظم دوره .

و اعتقل عابد، لأول مرة عام ١٩٩١م، وأمضى ستة أشهر في معتقل النقب الصحراوي، وبعد خروجه تولى مسؤولية الجماعة الإسلامية، وهي الإطار الطلابي السياسي العلني لحركة الجهاد الإسلامي في الجامعات الفلسطينية، وفيما بعد أصبح مسؤولا إعلاميا في حركة الجهاد الإسلامي من خلال تأسيسه لجريدة الاستقلال في قطاع غزة ولمكتب أبرار للصحافة.

و بعد قيام السلطة الفلسطينية أصبح هاني عابد، أول معتقل سياسي لدى السلطة، بعد قيام مجموعة عسكرية تابعة للجهاد الإسلامي بتنفيذ عملية عسكرية شمال قطاع غزة أسفرت عن مقتل ثلاثة من جنود الاحتلال، واتهام (إسرائيل) لهاني عابد بالتخطيط للعملية.

و كان هذا الاعتقال مرحلة هامة في حياته وفي مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية، وكانت بداية لخلافات من نوع جديد بين فرقاء الحركة الوطنية والإسلامية الفلسطينية، فالسلطة الفلسطينية كانت محكومة باتفاقيات ورؤى، وتحاول فرض تصورها للعلاقة مع (إسرائيل) على الآخرين، في حين كانت

فصائل أخرى، ومن بينها الجهاد الإسلامي الذي ينتمي إليها عابد، ترى أن من حقها الاستمرار في النضال والقيام بعمليات ضد الاحتلال، الذي أعاد تموضع قواته في الأراضي الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو الذي أفرز السلطة الفلسطينية، ولم ينسحب منها.

و شكل الاعتقال ما يشبه (الصدمة) لأوساط في الرأي العام الفلسطيني لم يكن بمقدورها هضم مسألة أن تقوم السلطة الفلسطينية باعتقال أحد (لأسباب وطنية).

و يمكن استشفاف ذلك من البيان الذي أصدرته حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين في اليوم التالي للاعتقال (القدس/ ١٩٩٤/٥/٢٧م).

و تميز البيان بقسوة نسبية تجاه السلطة (لقد أقدمت أجهزة الأمن الفلسطينية في غزة والتي يترأسها المدعو أمين الهندي على اعتقال الأخ هاني عابد، أحد الشخصيات والفعاليات الإسلامية البارزة والمعروفة في مدينة غزة، حيث اختطفته من مقر عمله، وأودعته سجن غزة المركزي وهكذا تفتتح أجهزة القمع الصهيونية التي يفترض أنها غادرت غزة قبل أقل من أسبوعين ولكن يبدو أنها تركت وكلاءها ومندوبيها لإكمال الدور الصهيوني ولأجل الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني).

و يمضي البيان غاضبا مستهجنا رابطا بين سلطة الاحتلال والسلطة الفلسطينية الجديدة (ليعلم أمين الهندي وغيره من الزبانية الجدد أنهم برغم مديح وثناء إسحاق رابين عليهم بأنهم يقومون بدورهم على أكمل وجه، فإنهم ارتكبوا عملا خطيرا وغبيا عندما اختطفوا الأخ هاني عابد، فالذين قاوموا الاحتلال والإرهاب الصهيوني ببسالة شهدها وشهد لها العالم لن ينكسروا أمام أي إرهاب جديد).

و رأت مصادر في الجهاد الإسلامي في حينه،أن اعتقال هاني عابد بمثابة (رهينة سياسية حتى نوقف عملياتنا الجهادية) كما قال الأمين العام للحركة الشهيد فتحي الشقاقي في تصريح نشرته صحيفة الحياة اللندنية (١٩٩٤/٦/٥م).

و أشار الشقاقي في تصريحه ذاك، إلى أنه أجرى اتصالات غير مباشرة مع الرئيس عرفات وقيادة منظمة التحرير لإطلاق سراح هاني عابد، وبأنه أبلغ تلك القيادة وعرفات، بشكل غير مباشر أيضا، أن أي اعتقال (لإخواننا سيصعد من العمل العسكري ضد الاحتلال كي نبرهن لهم بأنه لا يمكن ابتزازنا عن طريق اعتقال أحد إخواننا في الحركة، وأنه طالما بقي عابد معتقلا، فسنصعد العمل العسكري، ولن يكون استمرار إيقاف عابد سببا لإيقاف العمل العسكري).

و بالمناسبة اعتبر الشقاقي أن العمليات التي نفذها الجناح العسكري للجهاد المعروف باسم (قسم)، كشفت بأن (الانسحاب "الإسرائيلي" من غزة لم يكن حقيقيا، والسيادة "الإسرائيلية" لا زالت موجودة وأن مرجعية الإدارة الفلسطينية هي "إسرائيل").

و خرج هاني عابد، أول معتقل سياسي فلسطيني لدى السلطة الفلسطينية،من السجن،وفي حين كانت سلطات الاحتلال فشلت باعتقاله قبل إعادة تموضع قوات الاحتلال في قطاع غزة بنحو أسبوع، بعد أن حاصرت منزله في حي الغفري بمدينة غزة، ولكنه كان قرر عدم تسليم نفسه لهم،فإنها نجحت باغتياله، بعد أن أنهى عمله في كلية العلوم والتكنولوجيا، وركب سيارته متوجها لعمله الإعلامي، وما إن أدار المحرك حتى انفجرت به السيارة وخر شهيدا، ليكون أول شهيد يتم اغتياله في المرحلة التي أطلق عليها مرحلة السلام،مثلما كان أول معتقل سياسي فيها .

و رغم أن (إسرائيل) التزمت الصمت حول حادث الاغتيال، ولكن هناك لدى متهمي (إسرائيل) بتدبير الاغتيال مبررات لاتهامهم خصوصا وأن الاغتيال جاء بعد تهديدات أطلقها إسحاق رابين، رئيس وزراء (إسرائيل) وقتذاك، باتخاذ إجراءات ضد نشطاء حماس والجهاد الإسلامي بعد عملية تل أبيب الاستشهادية في حينه، على نحو ذكر بما فعله بن غوريون في الخمسينات وغولدا مائير في السبعينات .

و بتاريخ ١٩٩٤/١٠/٢٣ أكدت صحيفة (الأوبزيرفر) البريطانية،أن رابين أعطى أوامره بملاحقة قادة فلسطينيين .

و في مقال افتتاحي بعد اغتيال عابد كتب صحيفة هآرتس العبرية بعنوان (الثواب والعقـاب) مذكرة بسلسلة الاغتيالات التي نفذتها "إسرائيل" بعد عملية ميونخ .

و اعترفت هآرتس أن عمليات الانتقـام "الإسرائيليـة" قـد تخطـئ هـدفها أحيانـا (و هـو أمـر مؤسف) حسب الصحيفة، ولكنها قالت بوضوح، وهي تتخلى عن رصانتها، (إذا كان هاني عابد قد تـورط في عمليات قتل فإنه لا يستحق اعتذارا، بل لقي العقاب الذي يستحقه) .

و ربطت معظم الصحف الصهيونية،التي خصصت مساحات واسـعة لتغطيـة حـادث اغتيـال عابد، بين تهديدات رابين وحادث الاغتيال .وهو ما يؤكد مسؤولية "إسرائيل" عـن اغتيـال عابـد بعمليـة إعدام غير قضائي كما تسمي ذلـك مـنظمات حقـوق الإنسـان، وأن "إسرائيـل" مسـتمرة بـه حتـى أثنـاء (العملية السلمية) وهو ما أكده الواقع بعد ذلك .

و بعد حادث الاغتيال، قال الدكتور الشقاقي إن الموساد وضع هاني عابد على
رأس قائمـــة التصـــفيات بنـــاء عـــلى قـــرار رابـــين، وتنفيـــذا لتهديداتـــه ضـــد حـــماس والجهـــاد الإسلامي .

و أضاف الشقاقي، في حديث لصحيفة العرب (١٠/١١/١٩٩٤م) أن قادة "إسرائيل" يـدعون أن (هاني عابد مسؤول عسكري في الجهاد الإسلامي، وكان مسؤولا عن مقتل عـدد مـن الجنـود الصـهاينة، ونحن نؤكد أن هاني كان من نشطاء الجهاد الإسلامي بالفعل، ولكنه كان سياسـيا، إضـافة لكونـه أسـتاذا جامعيا وصحافيا، وعندما فشلوا في معرفة القادة العسكريين قاموا بتصفية هدف سياسي سهل).

و ردا على سؤال للصحيفة إذا كانت حركة الجهاد تتهم السلطة الفلسطينية بالتعاون في قتـل هاني عابد، أجاب الدكتور الشقاقي (لا نتهم السلطة بمحاولـة القتـل، ولكـن السـلطة تغـض النظـر عـن عملاء الموساد الصهيوني الذين يحملون ضمانات بعدم التعرض لهم، بل إن عملاء الموساد يخترقون هذه السلطة

بقـوة وفي مسـتويات عديـدة وهامـة ومـن المفـروض أن تتحمـل السـلطة مسـؤولية حمايـة المواطنين أو تعلن عن عجزها لتقوم القوى المجاهدة بهذه المسؤولية).

و مثلما يحدث عادة،فإن الصهاينة ينسون أنهم لا يستطيعون وحدهم رسم معادلة (الثواب والعقاب) حسب تعبير صحيفة هآرتس، فبعد أيـام قليلـة مـن اغتيـال عابـد، وفي حـين كـان أصـدقاؤه ومناصرو القوى الوطنية والإسلامية يحضرون حفلا لتأبينه في غزة (١٩٩٤/١١/١١م)، انطلق أحـد تلامـذة الشهيد عابد واسمه هشام حمد، راكبا دراجته الهوائيـة، متمنطقـا بـالمتفجرات، في عمليـة استشـهادية، مقتحما تجمعا عسكريا قرب مستوطنة نتساريم، ففجر نفسه فيها، انتقاما لهاني عابد، فقتل خمسة من جنود الاحتلال، وأصاب عشرة آخرين، حسب مصادر صهيونية.

و أعلنت حركة الجهاد أن تلك العملية هي واحدة من سلسلة عمليات جهادية انتقاما لعابد، وهو ما حدث بالفعل، خلال الأشهر التالية، في عمليات كان لها صدى كبير، مثل العملية التي فجـر فيهـا الشهيد خالد الخطيب سيارة كان يقودها في حافلة عسكرية، في مستوطنة كفار داروم، أسفرت عن قتل عشرة جنود يوم (١٩٩٥/٤/٩م)، والعملية الكبرى في بيت ليد التي نفذها الشهيدان : صلاح شاكر وأنـور سكر، وفيما بعد اعتبرت "إسرائيل" هذه العمليات وغيرهـا مـبررا لقتـل زعـيم الجهـاد الإسـلامي فتحـي الشقاقي .

محمود الخواجا

و إذا كان هناك اختلاف في تقدير وضع الشهيد هاني عابد، العسكري كما قالت إسرائيل، والسياسي والإعلامي كما قالت حركة الجهاد الإسلامي، فإن "إسرائيل" تمكنت من الوصول، في حادث اغتيال مدو أيضا، في زمن السلام،لرجل لا اختلاف على هويته العسكرية،بل استقر وصفه فيما بعد بأنه قائد الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي (قسم) وبهذه الصفة ما زالت الحركة ومناصروها يحيون سنويا ذكرى استشهاد محمود عرفات الخواجا الذي قضى في يوم ١٩٩٥/٦/٢٢م، في عملية جريئة نفذتها أجهزة المخابرات الصهيونية أمام منزل الخواجا في مخيم الشاطئ بقطاع غزة .

و يبدو أن حادث اغتيال هاني عابد وسط الأراضي التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية لم يعط مؤشرات كافية للخواجا،بأن هذه الأراضي غير مأمونة أمنيا، خاصة لمطلوب كبير لسلطات الاحتلال مثله، فاستشهد ليصبح لدى رفاقه أنموذجا ورمزا .

و تتشابه سيرة الخواجا،مع سيرة هاني عابد، فكلاهما من جيل واحد، فالخواجا ولد عام ١٩٦٠م، لوالدين لاجئين من قرية حمامة المدمرة، ونشأ في مخيم الشاطئ، أمام الأفق الذي تحمله أمواج البحر الأبيض المتوسط، وشهد احتلال ما تبقى لأرض فلسطين عام ١٩٦٧م ولم يتجاوز السابعة من عمره، وشهد استشهاد عمه على أيدي جنود الاحتلال، وتزامن التحاقه بالجامعة الإسلامية مع ظهور الدكتور فتحي الشقاقي ومشروعه الإسلامي الجهادي في قطاع غزة،فالتحق بالحركة الجديدة وترأس قائمة حركة الجهاد الإسلامي الطلابية لانتخابات مجلس الطلبة في الجامعة، وتعرض للاعتقال أكثر من مرة لنشاطه السياسي الإسلامي، واعتقل لمدة أربع سنوات بتهمة تتعلق بتحضير السلاح والمتفجرات، واعتقل معه في نفس القضية والده لمدة ستة أشهر.

و بعد خروجه من المعتقل بعد انتهاء محكوميته اعتقل أيضا لمدة ستة أشهر إداريا، أي بدون محاكمة، وبعد استلام السلطة الفلسطينية لزمام الأمور في قطاع غزة اعتقل مرتين في سجون السلطة، ضمن الحملات التي نفذتها السلطة بين الوقت والآخر ضد الذين لهم نشاط مقاوم ضد الاحتلال، وهي الاعتقالات التي كانت تثير خلافا كبيرا في أوساط الرأي العام الفلسطيني،وتركت أثرا سلبيا.

لا تتوفر معلومات دقيقة عن نشاط الخواجا العسكري،ولكن بعض أدبيات حركة الجهاد الإسلامي تشير إلى نشاطه في الجناح العسكري (قسم) والذي أصبح فيما بعد يعرف بأنه قائده، بدأ قبل عامين من استشهاده، ويشار إلى أنه من مؤسسيه،وخلال هذين العامين،هزت عمليات هذا الجهاز العمق الصهيوني بسلسلة عمليات استشهادية مدوية،أهمها العملية التي نفذها الشهيدان من حركة الجهاد في بيت ليد وأسقطت عشرات القتلى والجرحى، وأدرك الخواجا أن حكما

بالإعدام صدر عليه من الصهاينة، وهو ما تم تنفيذه من ثلاثة ملثمين حسب شهود عيان كمنوا له في سيارة بيجو ٤٠٤ وعندما أدركوه أطلقوا عليه العيارات الكاتمة للصوت، ليسقط شهيدا، بينما تم الاحتفال في مكتب ما في مكان ما بين ضباط المخابرات الصهيونية بنجاح قتل قائد (قسم) .

كان الخواجا،ووفق متطلبات دوره الجديد، في (قسم) قد ابتعد عن النشاط العلني لحركة الجهاد الإسلامي، حتى أن رفاقا له اعتقدوا بأنه لم يعد له علاقة بحركة الجهاد الإسلامي، ولكن (إسرائيل) كما تبين فيما بعد لم تغفل عن نشاطه.

و بعد ستة أعوام من استشهاده،دوت في مخيم الشاطئ مسقط رأس الشهيد مفاجأة غير متوقعة، عندما اعتقل جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني،وبعد أشهر من انتفاضة الأقصى،عميلا من سكان المخيم رمز له بالحرفين (م.ش)، وهو من أقرباء وجيران الشهيد الخواجا لضلوعه في حادث الاغتيال.

و المفاجأة أن العميل المذكور لم يكن معروفا بأية ارتباطات مع الاحتلال، بل بالعكس، لا يمكن أن يكون، بالنسبة لسكان المخيم محل شبهة .وحسب تقرير نشرته جريدة الاستقلال الناطقة باسم حركة الجهاد الإسلامي (٢٠٠١/٦/٢١) أعده مراسلها أكرم غالي، فإن العميل المذكور الذي كان عمره لدى إلقاء القبض عليه (٥٢) عاما، رجلا ميسور الحال وله وضع اجتماعي ويحظى بالاحترام من قبل المواطنين، مواظبا على الصلاة، ويساعد المحتاجين، ويحرص على القيام بواجباته الاجتماعية تجاه الناس.

وحسب اعترافه فإنه ارتبط مع المخابرات الصهيونية عام ١٩٨٢ على يد ضابط مخابرات صهيوني يدعى (أبو طومر) .

و أوكلت له في بداية ارتباطه مع المخابرات الصهيونية، مهمة جمع معلومات عن المناضلين في مكان سكناه، وبعد تأسيس (قسم)، طلب منه مراقبة الشهيد محمود الخواجا، وفيما بعد زودته المخابرات الصهيونية بهاتف نقال، ليمد مسؤوله الاستخباري بالمعلومات أولا بأول.

و لم يكتف ما قيل إنه العميل (م.ش) برصد تحركات الشهيد الخواجا من بعيد، فاستغل صلة القربى والجوار، وأخذ يوثق علاقاته مع الشهيد، ويزور بيته

باستمرار، وأحيانا يدخل البيت بدون استئذان وفي إحدى المرات مرة دخل غرفة كان يوجد فيها الشهيد محمود الخواجا مع بعض رفاقه من مقاومي (قسم) وكانوا يحملون أسلحتهم، فمنعه الشهيد محمود وأغلق الباب في وجه .

و كان (م.ش) ينقل ما يرصده إلى مشغله المباشر في المخابرات الصهيونية، وتفرغ، بعد أن أتاه أمر بذلك، في مراقبة محمود ورصد تحركاته، وحسب اعترافاته، فإنه قبل اغتيال الشهيد الخواجا بنحو عشرة أيام، أعطيت له دورة مكثفة في الرسم (الكروكي) وقام بناء على طلب مشغله برسم المنطقة التي يسكن فيها الشهيد الخواجا بتفاصيلها .

كان محمود الخواجا، قد وقع في المحظور الأمني، الذي يمكن أي جهاز مخابرات وربما أي جهة من النجاح في تنفيذ عملية اغتيال وقتل، فخط سير الشهيد محمود اليومي إلى عمله معروف وثابت وروتيني، وفي صباح يوم الاغتيال، أعطى (م.ش) عبر جهاز الهاتف النقال الذي بحوزته لمشغله المعلومات المطلوبة، عن تحركات الخواجا : خروجه من المنزل .. سيره .. تحركه، حتى توارى عن نظره، فدخل لتناول إفطاره، بينما كانت رؤيا محمود الخواجا التي أبلغ زوجته بها فور استيقاظه من النوم صباح ذلك اليوم، أنه شاهد ثلاثة أشخاص يطلقون عليه النار فيستشهد، وكان يتحدث بروح مرحة ومعنويات مرتفعة، تتحقق .

كانت شوارع مخيم الشاطئ في ذلك الصباح (١٩٩٥/٦/٢٢م) خالية إلا من بعض الطلبة الذاهبين لتقديم امتحانات الثانوية العامة، عندما خرج القتلة الثلاثة من سيارتهم البيجو ٤٠٤، واقتربوا من محمود وعاجلوه برصاصهم من كواتم الصوت، والتي ذكر تقرير طبي فيما بعد، أن تسعة منها أصابت الشهيد، منها رصاصة اخترقت رأس الشهيد وأخرى أسفل عينيه وثالثة اخترقت رقبته .وعندما تنبه الناس إلى ما حدث كان القتلة يخلون مسرح الجريمة .

و خلافا لبعض التقديرات،التي تشير إلى أنه ربما متعاونون مع الاحتلال نفذوا العملية،فإن هذه الفرضية لا تلقى قبولا لمتتبعي النشاط الصهيوني في

مجالات الاغتيالات،فـ (إسرائيل) لم (تغامر) بتوكيل مهمة اغتيال إلى أحد عملائها مـن العـرب وربما لذلك أسـبابه، منهـا أنهـا لم تـنجح (إسرائيـل) حتـى الآن بتجنيـد عميـل فلسـطيني (أيـديولوجي) لصالحها ولذلك فإنها تبقى (مغامرة) غير محسوبة، ومنها أيضا أن (إسرائيـل) لا تكشـف خيـوط القصـة كاملة للعميل، مثل آخرين فـإن (م.ش) مـثلا الـذي أدلى باعترافـات كاملـة عـن تعاونـه مـن المخـابرات الصهيونية ورصده للشهيد الخواجا، أنكر مشاركته بعملية الاغتيال أو معرفته بالذين قاموا بها أو علمـه حتى بأن هناك نية لتنفيذ عملية اغتيال، وإن كان هذا لا يعفيه من المسؤولية، فإنه يشير، مع اعترافـات سابقة لعملاء آخرين، إلى أن (إسرائيل) تستخدم عملاءها للمساعدة في تنفيذ عمليات الاغتيـال دون أن يعرفوا تفاصيلها أو كنهها .

و يبقى الاحتمال أن عملاء صهاينة محترفين،هم الذين قتلوا الخواجا، وتجـرؤوا ودخلـوا (أرض العدو) لينفذوا عملية اغتيال هم لا شك متدربين عليها جيدا،وهو أسلوب نادرا ما لجأت إليه المخابرات الصهيونية بعد ذلك في الأراضي الفلسطينية حيث كانت تستخدم تقنية (أقتل عن بعـد) كـما حـدث في سلسلة الاغتيالات الرهيبة خلال انتفاضة الأقصى.

و اتضح فيما بعد، أن قتل قائد (قسم) ما هو إلا خطوة في تنفيذ قـرار (إسرائيـل) باسـتهداف حركة الجهاد الإسلامي، فكانت الخطة الأكبر اغتيال زعيم الجهاد الأول: الدكتور فتحـي الشـقاقي، الـذي يطلق عليه رفاقه لقب المعلم.

تغييب المعلم

و بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٥ الساعة الواحدة ظهرا وبينما كان رجل يحمل جـواز سـفر ليبيـا باسـم (إبراهيم الشاويش) يخرج من فندق (الدبلوماسي) بحي (سليمة) بجزيرة مالطا، كـان رجـلان ينتظرانـه خارج الفندق، وتقدم منه أحدهما وأطلق على رأسه خمس رصاصات من مسـدس كـاتم للصـوت وقفـز على دراجة نارية كان يقودها زميله.

و سقط إبراهيم الشاويش، الـذي عـرف بعـد (٢٤) سـاعة باسـمه الحقيقـي الـدكتور فتحـي الشقاقي، أمين عام حركة الجهاد الإسلامي الشاب، الذي هجرت

عائلته مـن قريـة زرنوقـة قضـاء يافـا عـام ١٩٤٨، وكـان مـن الجيـل الأول مـن أبنـاء اللجـوء الفلسطيني الذي رأى النور في المخيمات،فهو من مواليد عام ١٩٥١ في مخيم رفح على الحـدود المصريـة الفلسطينية،درس في جامعة بيرزيت في الضفة الغربية وعمل مدرسا في القدس، وتوجـه إلى مصرـ ودرس الطب وعمل طبيبا في مستشفى أوغستا فكتوريا على جبل الزيتون بالقدس.

هذا الرجل كان موضوع النقاش في أحد البيوت السرية التابعة للموساد في تل أبيب، بعـد أن تأكد مدير الموساد شبطاي شـفيت مـن أجنـدة تحركاتـه المقبلـة، وذلـك، حسـب معلومـات يعتقـد أن شافيت نفسه سربها، بعد أن راقب عميل للموساد في دمشق، حيث كـان يقـيم الشـقاقي منفيـا، منـزل الشقاقي مستعينا بجهاز أمريكي إلكتروني مطور استطاع إبطال عمل قاطع الـردارات الدفاعيـة في نظـام الاتصالات المثبت في شقة الشقاقي .

تقرر في تل أبيب خطة اغتيال الشقاقي بعد خروجه من دمشق إلى ليبيا وعودته عـن طريـق جزيرة مالطا، وناقش خطة الاغتيال، في ذلك البيت السري في ضواحي تل أبيب : شبطاي شافيت : مـدير الموساد، وأوري ساغي : مدير الاستخبارات العسكرية، ودوري تامير : كبير ضباط الاستخبارات في الجيش الصهيوني، ووضع هؤلاء اللمسات الأخيرة على خطة الاغتيال .

في ١٩٩٥/١٠/٢٤م غـادر عمـيلا الموسـاد : جيـل وران تـل أبيـب، ووصـلا جـوا بجـوازي سـفر بريطانيين إلى مالطا : ران من أثينا، وجيل من روما، ونزلا في فندق دبلومات الذي نزل فيـه الشـقاقي في الليلة السابقة بعد قدومه من ليبيا .

و في هذه الأثناء، وكما يروي الصحافي جوردان طوماس، كانت سفينة شحن (إسرائيلية) تتخـذ لها موقعا قرب جزيرة مالطا، بعد أن أبحرت من ميناء حيفا، واتصل ربانها بالسلطات المالطية لإخبارهـا بأن عطلا أصابها ولذلك ستبقى بالقرب من الشاطئ حتى إصلاح العطل .والذي لم يكن يعرفه أحـد هـو وجود شبطاي شـافيت الرجـل الأول في الموسـاد ومخطـط العمليـة عـلى ظهـر السـفينة يعاونـه فريـق متخصص بالاتصالات كانوا على اتصال مع عميلي الموساد بواسطة أجهزة لاسلكية .

و في اليوم التالي ١٩٩٥/١٠/٢٥م أطلق أحد عملاء الموساد النار على الشقاقي وفر على دراجة كانت تنتظر يقودها العميل الآخر، واختفيا الإثنان واستقلا زورقا إلى حيث السفينة الصهيونية (المعطلة)، التي لم تعد كذلك حيث اتصل ربانها من جديد مع السلطات المالطية وأخبرهم أنه تم إصلاح العطل وأن السفينة ستعود إلى ميناء حيفا للمزيد من عمال الصيانة.

و هكذا تم اغتيال الشقاقي الذي بدأ نشاطاته التنظيمية منذ منتصف الستينات، حيث أسس كما قال وهو لم يتجاوز الخامسة عشر عاما، تنظيما شبابيا صغيرا تأثرا بتجربة عبد الناصر، وفي نهاية السبعينات من القرن العشرين كان أحد المؤسسين الرئيسين لما عرف باسم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأصبح زعيما لهذه الحركة التي كانت الحركة الإسلامية التي تدخل ميدان العمل الوطني الفلسطيني، الذي كان (حكرا) على التيارات الوطنية والقومية واليسارية.

و كثيرون من الباحثين يعتقدون أن الفترة التي قضاها في مصر كان لها تأثير كبير ومهم عليه، خصوصا وأنها توافقت مع ثورة الخميني في إيران، وبلغ تأثره بتلك الثورة إلى حد جعله يضع كتابا عن تلك الثورة مما عرضه للاعتقال في مصر وكان ذلك عام ١٩٧٩م.

و تعرض للاعتقال على أيدي سلطات الاحتلال عدة مرات بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٦، ثم أبعدته سلطات الاحتلال عن فلسطين في شهر آب ١٩٨٨، بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في فلسطين.

و بعد عملية الاغتيال اتجهت الاتهامات من جديد، إلى الموساد ووجدت الدراجة النارية فيما بعد وهي تحمل لوحة مزورة، ولم يظهر عليها بصمات، وكما هو متوقع لم تفلح الشرطة المالطية بالقبض على القاتلين.

و كما ذكرنا،لم يكونا فقط قاتلين، بل كانت هناك شبكة كاملة من الموساد شاركت في الاغتيال،وهذا ما كان يعرفه الجميع حتى أن المعلق الصهيوني البارز زئيف شيف قال في لقاء بثه التلفزيون العبري في ١٩٩٥/١٠/٢٩ (إنني لا أصدق أن أمرا كهذا يمكن أن يحدث فقط بوجود شخصين). وأضاف : (إن

أولئك الذين يقومون بالضغط على الزناد ليسوا وحدهم وإنما وراءهم الكثير من عملاء الموساد) .

و كان معروفا للمراقبين أن الموساد استهدف الدكتور الشقاقي بعد سلسلة عمليات استشهادية تبنتها حركة الجهاد الإسلامي التي يتزعمها الشقاقي،وهزت الكيان الصهيوني .

و بعد استشهاده،استعرضت صحيفة (يديعوت أحرنوت) العبرية قائمة جزئية للعمليات التي تنسبها (إسرائيل) لحركة الجهاد الإسلامي،ولسان حالها يقول (لهذا السبب تم اغتياله) ومن بين هذه العمليات:

- مقتل خمسة (إسرائيليين) طعنا بالسكاكين في أسواق غزة (١٩٨٦) .
- مقتل الرائد رون طال قائد الشرطة العسكرية (الإسرائيلية) في قطاع غزة (١٩٨٦/٨/٢) .
- مقتل ضابط المخابرات (الإسرائيلية) لمنطقة جباليا في كمين (١٠٨/٩/٢٢).
- مقتل فكتور أرجوان مدير الشاباك (الإسرائيلي) في قطاع غزة (١٩٨٧/١٠/٥) .
- قيام عضو في الجهاد بالسيطرة على الحافلة (٤٠٥) المتجهة من تل أبيب إلى القدس، وحرف مسارها نحو وادي مما أدى إلى مقتل ١٦ شخصا وإصابة ٢٥ آخرين (١٩٨٩/٧/٦) .
- مقتل وإصابة العشرات من (الإسرائيليين) في عمليات نفذها حاملو السكاكين (ما بين عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٣).
- مقتل امرأة صهيونية وإصابة سبعة آخرين بعد انفجار عبوة ناسفة تحت سيارة كانت تمر قرب مستوطنة متتياهو (١٩٩٢/١٠/١٧).
- مقتل قائد وحدة مكافحة الإرهاب في شرطة (إسرائيل) واثنين من الجنود في اشتباك مع عنصر من الجهاد الإسلامي في جنين (١٩٩٢/١٢/١١).
- سائق شاحنة ينتمي للجهاد الإسلامي يهاجم قافلة سيارات تابعة للإدارة المدنية فيقتل مدير الضرائب في مدينة غزة واثنين آخرين مرافقين له (١٩٩٣/٨/٢).

- صعد مسلح إلى الحالفة (٤٦١) في مفترق طرق حولون، وأطلق النار على الركاب مما أدى إلى مقتل شخص واحد (١٩٩٣/١٢/٥).
- عضو في الجهاد الإسلامي يقتل مسئول آمن المستوطنات في منطقة لخيش ويصيب عدة جنود بجراح (١٩٩٤/٤/٧).
- قتل الجنديان أرز بن باروخ وموشيه بورقة، جراء إطلاق النار عليهما قرب حاجز آيرز في قطاع غزة (١٩٩٤/٥/٢٠).
- عملية استشهادية استخدمت فيها دراجة هوائية، قرب مستوطنة نتساريم، أدت إلى مقتل ثلاثة ضباط وجنديين وإصابة أربعة من حرس الحدود بجروح (١٩٩٤/١١/١١).
- عمليتان استشهاديتان في مفترق طرق بيت ليد، أدتا إلى مقتل ٢٢ جنديا وإصابة ٦٨ بجروح (١٩٩٥/١/٢٢).
- عملية استشهادية بسيارة ملغومة قرب الحافلة (٢٦) في مستوطنة كفار داروم، مما أدى إلى مقتل ثمانية منهم سبعة جنود وإصابة ٣٥ بجروح.

و ربما اتخذ قرار اغتيال الشقاقي منذ فترة بعد تصاعد عمليات الجهاد الإسلامي وتأكد مسئوليته المباشرة عنها بالنسبة للصهاينة، ولكن على الأرجح أن العمليات الاستشهادية المتصاعدة سرعت في تنفيذ القرار، وهو ما كان يشعر به الجميع وأولهم، بالطبع الشقاقي نفسه .

و يمكن الإشارة إلى عملية بيت ليد الاستشهادية التي نفذها استشهاديان من حركة الجهاد يوم ١٩٩٥/١/٢٢ والتي أسفرت عن مقتل ٢٢ جنديا صهيونيا، وإصابة العشرات غيرهم كانوا ينتظرون في مفرق بيت ليد،وتتفق المصادر الفلسطينية والصهيونية عن مسئوليته عن تلك العملية التي أثارت في حينه ضجة كبيرة، وكان لا بد للصهاينة من التخلص منه .

و بعد هذه العملية التي رفعت أسهم الشقاقي وحركته،أدلى بحديث لجريدة المجد الأردنية (١٩٩٥/١/٢٤) قال فيه : (يهمنا أن نؤكد مجددا بمناسبة عملية بيت ليد البطولية أن المبرر الأساسي لتشكيل واستمرار حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين هو مواجهة العدو مواجهة شاملة والكفاح المسلح هو ذروة هذه

المواجهة الشاملة، وهذه العملية تأتي في سياق جهادنا المستمر منذ سنوات رغـم إمكانياتنـا الضعيفة والمحدودة بسبب صعوبات كثيرة) .

و يقر الشقاقي أن تلك العملية والعمليات المشابهة هي ضمن خطة لإفشال ما اعتبره سـلاما مدنسا يعطي كل شيء للصهاينة ولا يعطي للشعب الفلسطيني إلا الهباء .

و أضاف الشقاقي إلى كلامه أن حركته (في سباق مع ما يسمونه عملية السـلام التـي نعتبرهـا محاولة لتكريس الاحتلال الصهيوني لفلسطين كل فلسطين، ومحاولة لاختراق كل منطقة الحوض العـربي الإسلامي وفرض الهيمنة الأمريكية - الصهيونية على كل هذه المنطقة وصناعة شرق أوسط جديد يكـون العدو الصهيوني فيه القوة الأساسية والمركزية، وتلغي فيه دور الدول التاريخية مـن سـوريا إلى مصرـ إلى العراق إلى إيران إلى الرياض ليبقى الدور فقط لهذا العدو الصهيوني، الذي يريد أن تكون العلاقـات بـين الدول علاقات اقتصادية بعيدة عما يريد أن يوهمنا أنه أوهام الأيدلوجيا وأوهام الصراع القومي وأوهام صراع الحضارات).

و ردا على تهديدات رئيس وزراء (إسرائيل) إسحاق رابين بالانتقـام مـن منفـذي عمليـة بيـت ليد التي أثارت ضجيجا كبيرا قال الشقاقي : (يبدو أن "الإسرائيليين" لم يدركوا بعد أننا نحب المـوت كـما يحبون الحياة، وكأنهم لم يلحظوا أن كل محاولاتهم للقتل والاغتيال لم تكـن إلا لتزيـد الثـورة اشـتعالا، .. هذه قضية عادلة لشعب كله مظلوم ولأمة تريد أن تحيا خـارج سـيطرة القـوى الكـبرى، وخـارج هـذه الهيمنة المستمرة منذ عشرات السنين).

و أضاف : (.. وكأن رابين، الذي يهدد ويتوعد، لم يلاحظ مثلا أن اغتيال هاني عابد أحد نشـطاء ومسئولي حركة الجهاد الإسلامي جعل مزيدا من الشـباب أكـثر اسـتعدادا للاستشـهاد،وجعل العديـدين ينضمون للمجموعات الاستشهادية التابعة للجهاد الإسلامي).

و كان هناك تصاعدا، في داخـل (إسرائيـل) بالـدعوة للانتقـام مـن الشـقاقي، حتـى أن آرييـل شارون دعا إلى ترحيل كل من له صلة بعائلة الشقاقي من فلسطين ردا على عمليـات الجهـاد الإسـلامي الاستشهادية، وردا على سؤال لصحيفة الشرق الأوسط السعودية (١٩٩٥/٣/١٧) للـدكتور الشـقاقي عـن (موقفكم في حال تنفيذ طلب شارون) قال الشهيد: (الشعب الفلسـطيني هـو الـذي يحـارب الاحـتلال وليست هذه العائلة أو تلك وأنا ابن الشعب الفلسـطيني وابـن فلسـطين قبـل أي شيء، أرض فلسـطين بالنسبة لي فرض صلاة لا أساوم عليها تحـت أي ظـرف مـن الظـروف، وأعتقـد أن "الإسرائيليـين" الـذين صارعتهم وصارعوني في غرف التحقيق والتعذيب، يدركون جيدا أنه لا يغرني أي ترغيب، ولا يخيفنـي أي ترهيب، وأنا أحيل آرييل شارون وقبله إسحاق رابين لقراءة جلسة المحكمة العسكرية الاستشـارية التـي نظرت في مسألة إبعادي عام ١٩٨٨، لقد قلت لهم في قاعـة المحكمـة: لا أدري بـأي صـفة أخـاطبكم،إن كنتم ممثلين للشعب اليهودي فكيف تتكلمون عن عذابات اليهود في التـاريخ واضـطهادهم ثـم تـأتون اليوم لتمارسون التعذيب والاضطهاد ضد شعب آخر، وإن كنتم تمثلون الحركة الصهيونية فاعلموا أننـي سأقاتل الحركة الصهيونية حتى آخر قطرة من دمي طالما أن الحركة الصهيونية تحل مشاكل اليهود على حساب شعبنا،وإن كنتم تمثلون دولة (إسرائيل) فلا أراكم مؤهلين للنظـر في قضـية إبعـادي مـن وطنـي كما أبعدتم والدي من قريته قبل أربعين عاما).

و يمكن أن يتفق جميع الشعب الفلسطيني مع ما ذهـب إليـه الـدكتور الشـقاقي في وصـفه لمدى شرعية الاحتلال ولكن هذا لم يشكل سببا كافيا لمنع إبعاد والده (و معـه آلاف مـن أبنـاء الشـعب الفلسطيني) وإبعاده (مثل آلاف غيره) وأخيرا تنفيذ حكم الإعدام فيه (مثل عشرات غيره).

و كانت سلطات الاحتلال اتخذت بالفعل إجراءات ضد زوجة الشقاقي وأبنائه عندما عادت زوجته (فتحية الخياط) إلى مسقط رأسها بالقدس، بعد أن زارت زوجها المبعد، وتعرضت فتحية إلى مضايقات كثيرة من المخابرات

الصهيونية وإلى استجوابات وأخيرا إلى الإبعاد فقط لكونها زوجة الدكتور الشقاقي .

و في مقال له في صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ٢٠٠٠/١١/٢٧ انتقد فيه المستشرق غي باخور سياسة الاغتيالات كتب (بات من المألوف أن نسوق اغتيال زعيم الجهاد الإسلامي فتحي الشقاقي في عام ١٩٩٥، كمثال للنجاح السياسي للاغتيالات، ذلك لأن عمليات الجهاد الإسلامي انخفضت جدا بعده، ولكنها سريعا ما تجددت).

و لكن الأمر لم يكن بنفس وجهة النظر هذه لدى اغتيال الشقاقي، فمثلا كتب زئيف شئيف في هآرتس بعد اغتيال الشقاقي، مقارنا بين اغتياله واغتيال آخرين كان جرى نقاش داخلي وتباين وجهات النظر، كما يقول في قرار تنفيذ الاغتيال مثلما حدث مع أبي جهاد عام ١٩٨٨ الذي كان لديه استعداد لحل سلمي مع (إسرائيل)، أو عباس موسوي الذي (على الرغم من أنه دعم أيديولوجيا فكرة تصفية الدولة اليهودية، فإنه لم يفجر الباصات في المدن (الإسرائيلية)، وكان مستعدا أن يكتفي بانسحاب الجيش من جنوب لبنان).

و لكن لماذا كان الشقاقي، حسب وجهة النظر (الإسرائيلية) مختلفا ؟

يقول شيف في مقاله إن الشقاقي لم يكن لديه ذرة استعداد للتوصل إلى حل سلمي، وأن منظمته عارضت (حتى وقف إطلاق نار مؤقت، وبذلك تحولت عمليا لعدو عملية السلام) .ويقول شيف إن قتل الشقاقي رسالة موجهة إلى من يرسلوا (الانتحاريين) ويجلسون في الخلفية مرتاحين، أنهم هم الهدف أكثر من (المنتحر) نفسه .

و يعبر شيف عن التيار الغالب في (إسرائيل) الذي يرى أن هناك جدوى لعمليات الاغتيال لأشخاص يرونهم مثل الشقاقي، معتبرا ذلك جزءا من حرب مستمرة فرضت على "الإسرائيليين" (لا نكسبها بضربة واحدة، بل على مراحل وبالقدرة على الصمود)..

و بعد أن يعترف أن هناك أمثلة لـ (إرهابيين لم يساهموا كثيرا في الحرب) يعطـي أمثلـة عـلى آخرين أثبت سلاح التصفية نجاعته (كان في الجهاد الإسلامي تيار مهم بقيادة حمدي سلطان، ثلاثة مـن زعمائه تم اغتيالهم في شباط ١٩٨٨ في لارنكا، ومنذ ذلك الوقت غاب هـذا التيـار عـن السـاحة، وهنـاك اغتيال زهير محسن في تموز ١٩٧٩ قائد الصاعقة، التي كانت التنظيم الثاني بقوة حجمه بعـد فـتح، أدى الاغتيال إلى الانهيار البطيء للتنظيم) .

لدى ظهور فتحي الشقاقي عـلى سـاحة العمـل الـوطني الفلسـطيني،كان الانطبـاع عنـه أنـه مختلف، وربما كان تنظيمه أول تنظيم فلسطيني يخرج من (عباءة) الاحتلال الصهيوني للضفة الغربيـة وقطاع غزة عام ١٩٦٧م، بالمعنى الإيجابي لكلمة (عباءة)، ففي حين كـان الثقـل القيـادي الفلسـطيني في الخارج في عمان وثم في بيروت وأخيرا في تونس، خرجت حركة الجهاد الإسـلامي وكأنهـا تنظـيم بالأسـاس ثقله في الداخل ذو امتدادات خارجية .

و في لقاء له مع صحيفة الشرق الأوسط (١٩٩٥/٣/١٧) استعاد الإرهاصات التي أدت إلى ولادة حركة الجهاد الإسلامي، ومما قاله الدكتور الشقاقي عن نفسه وعن رفاقه : (كانوا شبانا صغارا في المدارس الثانوية الإعدادية عندما حدثت هزيمة ١٩٦٧ التي تركت أثرا هائلا عليهم ولقد كنت واحدا من هؤلاء الذين شعروا حينها وكان عمري ١٦ سنة بمرارة وحزن نادرين إثر تلك الهزيمة التاريخية الكبرى، لقد هزتني من الأعماق إذ ألقت بنا في فراغ بلا ضفاف، كانت أياما وشهورا صعبة تلك التي تلت الهزيمة شعرت فيها مع غيري، وأجزم أن من بينهم أولئك الشباب الذين شاركت معهم في تأسيس الجهاد الإسلامي لاحقا، شعرنا بعدم التوازن، ودعني أقرر مرة أخرى أن ما يسميه الغرب خطأ بظاهرة الأصولية الإسلامية ونسميها نحن ظاهرة الصحوة والعودة إلى اللـه، لقد ألقيت بذرتها في ذلك اليوم المر (١٩٦٧/٦/٥) حيث سقطت أشياء كثيرة إن لم نقل كل شيء، ولم نجد مع الأمة سوى الاعتصام بالله كمخرج من الأزمة ولتحقيق التوازن النفسي، والانطلاق نحو آفاق أرحب على أسس أكثر

رسوخا ومتانة، لقد تم هذا بالتدريج وفكرة الجهاد الإسلامي بزغت في مرحلة لاحقة ونضجت أثناء دراستنا في مصر) .

كان الدكتور الشقاقي كما ذكرنا قد درس في جامعة بيرزيت وعمل لمدة أربعة أعوام، مدرسا في القدس، وتوجه إلى مصر عام ١٩٧٤ لدراسة الطب، وهناك (التقينا كمجموعة من الشباب الفلسطيني والمتدين والمثقف، ذوي جذور وتجارب ثقافية وسياسية غنية،اكتشفنا في سهراتنا وحواراتنا أن أغلبنا قرأ لـ شكسبير ودستوفيسكي وتشيكوف وسارتر وأليوت وآخرين وأيضا نجيب محفوظ وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور، كما قرأنا السيد جمال الدين الأفغاني وحسن البنا وباقر الصدر وسيد قطب إضافة إلى علوم إسلامية متفرقة ومعارف إنسانية وتاريخية، أذكر أنني كتبت ملاحظات نقدية على سارتر وأنا في السابعة عشرة مقالا عن لينين في الذكرى المئوية لميلاده وكنت حينها في التاسعة عشرة).

و يوضح كلام الشهيد الشقاقي،نوع الخلفية التي أتى منها (مشروعه الإسلامي) المختلف عن (المشروع الإسلامي) التقليدي السائد والذي كان يتمثل في الإخوان المسلمين، والذين عانوا في كثير من الأحيان من سوء فهم في المجتمع الفلسطيني، على خلفية بقايا ظلال الخلافات الحادة والصدام الذي حدث بينهم وبين مشروع عبد الناصر القومي .

و في تلك المقابلة ذكر الشقاقي، أنه قرأ في مرحلة التكون تلك (أوديب ملكا) لسوفكليس بالنص الإنجليزي أكثر من عشر مرات وفي كل مرة (كنت أبكي بحرقة ولا أنام ليلتها دون إكمال المسرحية،كما قرأت مأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور أكثر من خمسين مرة،وحفظت أنشودة المطر للسياب عن ظهر قلب، وتركت ثلاثية نجيب محفوظ على حياتي أثرا لا يزول،وعندما كتب محمود درويش (أحمد الزعتر) حفظتها عن ظهر قلب وظننت حينها أنها أعظم القصائد التي كتبت باللغة العربية منذ أن عرفت هذه اللغة حروفها، ربما بالغت أو بالتأكيد

كنت كذلك ولكن بمعزل عن أي تقييم سياسي أو شخصي يبقى درويش شاعرا مبدعا ونادرا) .

و في فترة التكوين تلك قرأ أولئك الشباب أيضا (السيد جمال الدين الأفغاني وكان محل إعجابنا الشديد على حساب الشيخ محمد عبده الذي كان محل نقد بالنسبة لنا قبل أن أكتشف في سنوات لاحقة أن الرجل كان يجب أن يحظى بمزيد من الاهتمام رغم أن تباينا في النظر للسياسة لا يزال قائما، قرأنا من البداية رسائل الإمام البنا وأنا اليوم أكثر اهتماما بما جاء بها من ذلك الوقت، أما سيد قطب فكان تأثيره على جيلنا لا ينازع، وقد بذلت جهدا لأخرج من إسار بيانه الكلاسيكي المدهش وكيف أنه قاد طريقه إلى مصرعه واستشهاده إلى رؤية نقدية وأكثر موضوعية دون أي مساس بالقيمة الأخلاقية، ولا أنسى أن كتبا مثل (الفكر العربي في عصر النهضة) لألبرت حوراني و(المثقفون العرب والغرب) لهشام شرابي وأخرى مثلها كانت محل دراسة ونقاش مستمر في أوساطنا) .

كانت تلك الإرهاصات التي قادت للولادة، والتي اتسعت أجواؤها منذ منتصف سبعينات القرن العشرين، وشملت حوارا (في مسائل منهجية حول الدين والعلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي والتاريخ الأوروبي الحديث والعالم والواقع ومناهج التغيير قبل أن ينصب جل الأمر حول السؤال الفلسطيني حيث عايشنا بعمق وألم ومخاض حقيقي إشكالية (وطنيون بلا إسلام وإسلاميون بلا فلسطين)، فقد تعاملت الحركة الوطنية الفلسطينية في سنوات الستينات والسبعينات مع موضوعة الإسلام بالنفي والاستبعاد أو باللامبالاة، في نفس الوقت فإن التوجه الإسلامي نحو فلسطين قاصر لأسباب موضوعية وذاتية أيضا، لقد توصلنا في حواراتنا إلى ضرورة حل هذه الإشكالية من خلال مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للحركة الإسلامية وللأمة الإسلامية، واعتبار الإسلام كأيديولوجية منطلقا وفلسطين هدفا للتحرير والجهاد وسيلة وهكذا تحول الحوار الفكري إلى حوار ومناخ سياسي أفرز نواة تنظيمية في نهاية السبعينات، لقد تشكلت نواة حركتنا أثناء الدراسة في مصر ـ وخلال عامي ١٩٨٠/١٩٨١ اندفعت هذه النواة باتجاه

فلسطين، مع عودة الطلاب إلى وطنهم، لتتبلور تنظيميا حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، في البداية كان الحضور دعويا وسياسيا وجماهيريا وتعبويا شمل المساجد والمدارس والجامعات والمؤسسات والنقابات، وخلال أعوام قليلة جدا تحولنا إلى الجهاد المسلح) .

و هكذا تأسست حركة الجهاد في (محاولة جادة للإجابة عن السؤال الفلسطيني المعاصر إسلاميا) كما قال الدكتور الشقاقي نفسه في مقابلة أخرى مع صحيفة اللواء اللبنانية (١٩٩٠/١٠/٣). (و لتسعى لتحرير كامل التراب الفلسطيني) .

و حين أطلقت جهادها المسلح تعرض الشقاقي للسجن والإبعاد، وبعد العمليات الاستشهادية التي استهدفت ما رآه الشقاقي وصحبه مؤامرة تمثل باتفاق أوسلو على حاضر ومستقبل القضية الفلسطينية، اغتيل هاني عابد ومحمود الخواجا ثم الشقاقي نفسه.

و في حين اغتيل عابد والخواجا على أرض الوطن كما فصلنا مسبقا فإن رصدا استخباريا محكما كان كفيلا بنجاح عملية اغتيال الشقاقي أثناء عودته من ليبيا في مهمة حول الفلسطينيين الذين قرر العقيد القذافي طردهم، احتجاجا منه على اتفاق أوسلو ... !

و برحيله رحل مفكر إسلامي وإنساني مختلف، ومدفوعا بهذا الاختلاف على الأرجح غطيت خبر استشهاده صحافيا، من موقع مختلف أيضا، وعنونت ما كتبته (الدكتور الشقاقي- نظرة أخرى : عندما أسس ناديا للسينما في القدس)، وضمنته انطباعات من عملوا معه في مستشفى أوغستا فكتوريا بالقدس، وما قاله لي زميله قاسم منصور الذي كان ناشطا سياسيا من معسكر مختلف، إن الشقاقي إنسان موضوعي، عاقل متفتح، لم يحول انتماءه الفكري والسياسي أمام علاقاته الشخصية وحواراته مع الناس، وكان متفهما للرأي الآخر، ويشارك في نشاطات أناس يختلف معهم فكريا وسياسيا .

و حدثني منصور عن مشاركته مـع الشـهيد الشـقاقي في تأسـيس نـاد للسـينما لعـرض أفـلام متميزة ومناقشتها مثل فلمي يوسف شاهين (حدوتة مصرية) و(العصفور).

و أشـار منصـور إلى نشـاط الشـقاقي في النـدوات الأدبيـة والسياسـية التـي كانـت تعقـد في المستشفى، وكان يقدم كتابات نثرية وشعرية، وأيضا شـارك بفعاليـة في تعبئـة الجماهـير أثنـاء الاجتيـاح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢ .

و قدم الدكتور رفعت سيد أحمد صورة قريب له، وهو الذي التقاه في ليبيا وأمضى معه الأيام من ١٠/١٩ - ١٩٨٤/١٠/٢٤م، عندما غادر الدكتور عـلى ظهـر البـاخرة غرناطـة إلى مالطـا حيـث اغتيـل هناك.

و عندما كتب الدكتور رفعت عن تلك الأيام التي استمع فيها للشقاقي حاوره قال إن الشقاقي فتح له كل القلب والعقل وحدثه عن ماضيه وأحلامه وآماله وعن أسرته وأبنائه وعن مستقبل حركة الجهاد الإسلامي والقوى المعارضة والسلطة الفلسطينية .

و عن الأدب والشعر قال الشقاقي للدكتور رفعت (أحب محمود درويش، وأراه أعظم شعراء العربية الآن، وأنا أراه أفضل من نزار قباني رغم إعجابي بالأخير، وأنا أحب قراءة ما تكتبه الأخت العزيزة صافيناز كاظم، وأتذكر أن آخر كتبها (تلابيب الكتابة) وجدته في معرض الأسد بدمشق مؤخرا فاشتريت كل نسخه ووضعتها عندي في المكتب وكل مهتم بالأدب والكتابة الرفيعة المستوى عطيه نسخة، لقد التهمت هذا الكتاب في جلسة واحدة، ويعجبني الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم وأرجو أن لا تنسى أن تحضر معك بعض أشرطته في اللقاء القادم،وجزء كبير من وقتي أطالع فيه القصص العالمية والأدب العالمي والكتابات الفلسفية، وآخر ما أقرأه الآن، قضايا فكرية : الكتاب غير الدوري الذي يحرره محمود أمين العالم) .

و هكذا فإن الشقاقي ورفاقه وتلامذته مـن الاستشـهاديين، ليسـوا مجـرد أشـخاص مـدفوعين (بغريزة الموت) عندما يقاومون المحتلين كما يهرطق بعض الأكـاديميين والصـحافيين والسياسـيين ورجـال الدين، أو أنهم مجرد "منتحرين" أو

مجموعة من المتشائمين اليائسين، لكن حبهم للحياة الحرة الكريمة وفق وجهة نظرهم، تـدفع الواحد منهم لأن يضحي بأغلى شيء لديه من أجل الآخرين.

و لذلك فهو يدرك (بعقلي وبروحي وطني وقد تحرر، ففلسطين ستعود إلينا وسـنعود إليهـا، إن فلسطين غالية وتستحق منا البذل، إنها أرض الرسالات) .

و قال للدكتور رفعت الذي كان آخر من التقاه : (أنا لا أخاف على حركة الجهـاد الإسـلامي في فلسطين فلقد بنينا صرحا متماسكا في فلسطين اللـه غايته والاستشهاد أداته ووسيلته وشبابنا في الداخل قادرون على تغيير الواقع وخلق المستقبل الذي يليق بالشرفاء والمجاهدين) .

(أنني لا أخاف الموت ولا أخشاه .. صدقني).

و كانت تلك من آخر الجمل التي قالها الذي أصبح يطلق عليه رفاقه بعد استشهاد : الشـهيد المعلم .



الفصل الرابع
نجاح... وفشل

المهندس

في الخامس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٩٦، اتصل عبد اللطيف عياش على رقم الهاتف الخلوي (٠٥٠٥٠٧٤٩٧)، وهو رقم سري لهاتف نقال لا يعرفه إلا أشخاص معدودين على الأصابع . أهمهم، للأسف، رجال الشاباك الصهيوني.

رد على الهاتف ابن عبد اللطيف، يحيى (المعروف باسم المهندس) المطلوب الأول لـ (إسرائيل) في مخبئه في بيت صديقه أسامة حماد في بلدة بيت لاهيا بقطاع غزة في الساعة التاسعة صباحا، بينما كانت مروحية صهيونية تحلق في الجو تنتظر هذه المكالمة وبعد أن ميز من في المروحية صوت يحيى أرسلت إشارة، إلى عبوة ناسفة صغيرة بحجم ٥٠ غراما من مادة شديدة الانفجار مثبتة في الهاتف النقال، فانفجر الهاتف الذي كان أداة اتصال المهندس مع العالم الخارجي، بالإضافة إلى هاتف آخر ثابت، واستشهد يحيى عياش قائد كتائب عز الدين القسام،الذراع العسكري لحركة حماس،والذي تحول لعدة أشهر لرمز فلسطيني مقاوم اكتسب تعاطفا لا يوصف معه من الشارع الفلسطيني .

و في الساعة الثالثة والنصف من مساء نفس اليوم كانت إذاعة (إسرائيل) تعلن عن مقتل المطلوب الأول لحكومة (إسرائيل) يحيى عياش .وكان الشارع الفلسطيني يغلي، بينما كانت (إسرائيل) التي اتجه إليها الاتهام فورا بالمسؤولية عن اغتيال عياش، فرحة بالاغتيال وكان أشد (الإسرائيليين) فرحا، ربما كرمي غيلون رئيس جهاز الشاباك الذي كان وراء العملية ونفذها بخطة محكمة باستخدام عميله كمال حماد .

كان عميل الشاباك كمال حماد،هو الذي أعطى الجهاز الخلوي لابن شقيقته أسامة، الذي يعمل معه في عمله الخاص، ملغما، وعند وقوع الاغتيال كان في يافا وبقي هناك هاربا،ويعيش الآن حماد في (إسرائيل) متهما جهاز المخابرات (الإسرائيلية) بالتخلي عنه .

كان يحيى عياش طالبا في جامعة بيرزيت في قسم الهندسة وهناك تعرف على زميله أسامة حماد، انتمى يحيى عياش إلى الجهاز العسكري لحركة حماس، وبدأت (إسرائيل تتحدث) عنه كمطلوب لها في أيار ١٩٩٣ بعد أن ربطت اسمه بعملية استشهادية تم إحباطها في تشرين ثاني ١٩٩٢ في رمات أفعال وقبلها في انفجار سيارة مفخخة في مقصف مستوطنة محولا في الأغوار في نيسان ١٩٩٣.

و أطلق رابين رئيس الوزراء الصهيوني على يحيى عياش لقب المهندس، بسبب ما عرف عنه من براعته في إعداد العبوات الناسفة وتجنيد منفذي العمليات الاستشهادية .

و راق اللقب الذي أطلقه رابين على يحيى عياش للفلسطينيين فأصبحوا يطلقون عليه اسم المهندس أيضا وفي حين كان رابين وفي كل اجتماع مع أجهزته الأمنية يسأل عن مصير المهندس وهل تمكنوا من إلقاء القبض عليه أو تصفيته،كان الفلسطينيون يتابعون أخبار المهندس بعد كل عملية استشهادية شاكرين ربهم لأن (مهندسهم) لم يقع في أيدي (إسرائيل) وأنه ما زال حيا .وانشغل الإعلام الصهيوني بالمهندس الذي أصبح معروفا بقدرته الفائقة على التخفي والعمل ضد (إسرائيل).

في نهاية تشرين أول ١٩٩٤،نشرت صحيفة (الأوبزيرفر) الأسبوعية البريطانية أن المجلس الوزاري (الإسرائيلي) الأمني برئاسة رابين قرر القضاء على المتورطين في العمليات الاستشهادية من حركتي حماس والجهاد الإسلامي، ومن بينهم بالطبع، إن لم يكن على رأسهم المهندس يحيى عياش .

صحيفة يديعوت أحرنوت في عددها الصادر يوم (١٩٩٧/٨/٢٣) نسبت للمهندس يحيى عياش المسؤولية عن مقتل ٧٠ (إسرائيليا) وإصابة نحو ٢٤٠ شخصا بجروح، ومن بين العمليات التي نسبت إليه بالتخطيط والتنفيذ، عملية العفولة في ٦/نيسان ١٩٩٤ التي أسفرت عن مقتل ثمانية أشخاص، وعملية المحطة المركزية في الخضيرة في ١٣ نيسان ١٩٩٤ وأدت إلى مقتل خمسة أشخاص، وعملية خط ٥ قرب ساحة ديزنغوف في تل أبيب في ١٩ تشرين أول ١٩٩٤ وأدت إلى مقتل ٢١ شخصا، وعملية رمات غان بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٩٥

وأدت إلى مقتل ستة أشـخاص وعمليـة البـاص ٢٦ بالقـدس في ٢١ آب ١٩٩٥ وأدت إلى مقتـل خمسة أشخاص .

و كانت عملية واحدة من هذه العمليات كافية لتجعل المهندس يحيى عياش يدرج في قائمـة المطلوبين لفـرق المـوت الصهيونية،وحسـب مصـادر صـهيونية فـإن المهنـدس نجـا مـرتين مـن متتبعيـه الصهاينة الذين وصلوا إلى فراشه ووجدوه فارغا رغم أن السرير بلغة الأمن، كان ساخنا، أي أن المهنـدس هرب قبل أن يصله الصهاينة بفترة قليلة .

و بعد العملية في بـاص رقـم ٥ بالقـدس وهـي عمليـة شـهيرة تبنتهـا حركـة حـماس، ضـاقت الحلقات حول المهندس، الذي لا تكف وسائل الإعلام الصهيونية عن الحـديث عنـه، فاتجـه إلى غـزة إلى صديقه أسامة حماد الذي استضافه في بيته في بلدة بيت لاهيا، ولم يكن يخطر ببال الصديقين أن النهاية ستكون في هذا البيت وبتلك الطريقة .

و هناك دلائل كثيرة تشير إلى أن المهندس شعر بنوع من (الأمـان) في مخبئـه في بيـت لاهيـا، لدرجة أن زوجته وابنه براء لحقوا به للإقامة معه وإن لم يكن في نفـس البيـت، ولكـن في بيـت قريـب وكان يزورهم المهندس متخفيا وفي هذا البيت ولـدت لـه زوجتـه ابنـه يحيـى قبـل نحـو أسـبوعين مـن اغتياله، وحتى أن والدته التي كانـت تتعـرض لمضـايقات عديـدة مـن جـيش الاحـتلال بسـببه وتخضـع لمراقبة أجهزة الأمن الصهيونية تمكنت من زيارته في بيت لاهيا، وتم اعتقالها وهي العجوز بتهمـة رؤيـة ابنها .

و لا بد من الإشارة هنا إلى ما ذكره حسن سلامة أحـد رفـاق الشـهيد مـن الجنـاح العسـكري لحماس الذي قاد ما عرف فيما بعد بالعمليات الثأرية لمقتل المهنـدس، أن الأخـير كـان يسـتعد لمغـادرة مخبئه للضفة والتخطيط لأعمال داخل الكيان الصهيوني .

و كتب في مذكراته التي نشر جزءا منها عن الظروف التـي كانـت سـائدة في ذلـك الوقـت في قطاع غزة وشرح للحصار الذي كان يعاني منه المجاهـدون مـن السـلطة ومـن (إسرائيـل) ويصـف مـثلا الظرف الذي ساد قطاع غزة بعد تنفيذ

إحدى العمليات (اشتد البحث والتفتيش عن الشـهيد يحيـى عيـاش، والأخ الضـيف (يقصـد محمد الضيف)، ووزعت صورهم على الحواجز، وداهمت السلطة جميع من يشتبه بهم أو المنازل التي تشك بوجودهم فيها ليلا ونهارا .هكذا كانت غزة، وهكذا كانت السـلطة، وهـذا هـو وضـع الكتائـب في تلك المرحلة) .

و عن تفكير الشهيد عياش بالخروج من مخبئه للضفة قال سلامة الـذي يقضي ـ حكـما طـويلا في سجون الاحتلال (في ظل تلك الأجواء الموجودة كان الشهيد يحيى عياش يعيش في عـالم آخـر، ويفكـر في أمور هي النقيض لما يطرح حيث كان للشهيد حياة خاصة في كل شيء حتى العمـل .ولكـن كـان مـن ضمن المطاردين الموجودين في القطاع يتأثر بما يدور حوله لأنه كان من ضمن المسئولين الـذين يملكـون القرار، المطلعين على كل الأمور، وما يدور حتى الآن وإذ لم يشـارك في الجلسـات لوضـعه الخـاص، وكـان الشهيد يتميز بالهدوء التام ولا يكثر الكلام، وقليل الضحك شغوف بالعمل وتطوير أسـاليبه .ولكـن كـان يعيش في وضع أكبر من الجميع فكان عليه أن يختار بين أن يرضخ للواقع وبين أن يكابر ويعاند ويصارع الجميع في مسألة معروفة نتائجها، إلا أنه اختار أن يكون قدوة الجميع فتعالى بنفسه عن دنايـا الأمـور وصمد في وجه كل المشاكل والخطوب وصارعها حتى النهاية.

حاول الشهيد تغيير الوضع لكنه عاود وتجاهله وحاول التخطيط للعمليات التي حدثت سنة ٩٥ في شهري يوليو وأغسطس وأرسل عبـد النـاصر عيسى ـ إلى الضـفة للقيـام بالعمليـات وبعـدها اشـتد الحصار من قبل السلطة إلى أقصى حد على الجميع وبدأت الاعتقالات والتحقيقات واشـتد البحـث عـن الشهيد) .

و أضاف سلامة : (كان لزاما على الشهيد أن ينطلق إلى مكان آخر لمواصلة العمـل رافضـا كـل الحلول وفعلا بدأ الشهيد في التفكير بالعودة إلى الضفة وهذا ما اهتدى إليـه بعـد التنسـيق مـع قيـادة الكتائب وبالذات محمد الضيف وبدأ يخطط للعودة وبعد تجهيز كل الأمـور والاسـتعداد للخـروج عـن طريق السلك الحدودي وقبل الموعد بيومين تفاجأ الجميع بل العالم بنبأ استشهاد المهندس،

وكانت كالصاعقة علينا، وأقسم بالله أننا بقينا فترة طويلة لا نصدق ما حدث لكنه أمر اللـه الذي اختاره ليريحه من الشقاء رحمه اللـه).

و هذه الكلام لا يمنع من الاستنتاج بأن (الأمان) أو الشعور الكاذب به الذي تحدثنا عنه هو، أو ضيق الدنيا (على سعتها)، على الأغلب، الذي قاده لاستخدام الهاتف النقال رغم معرفته المسبقة بسهولة تنصت (إسرائيل) على مكالمات هذا النوع من الهواتف التابعة لشركات (إسرائيلية)، عدا عن كون صاحب الهاتف الأصلي هو عميل معروف لـ (إسرائيل) هو كمال حماد.

و لا ينفي ذلك، ما قاله قادة حماس إن المهندس كان حذرا في استخدام الهاتف النقال، وأنه لم يستخدمه إلا بعد أن تم تعطيل الهاتف العادي بشكل مقصود عندما أجرى والد المهندس تلك المكالمة القاتلة.

و على أية حال فإن الهواتف الثابتة، التي عطلت خدمتها (إسرائيل) مؤقتا وقت الحادث، هي، على الأغلب يمكن أن يكون التنصت عليها سهلا بالنسبة لـ (إسرائيل) .

و في حديث لزينب حماد والدة أسامة رفيق المهندس وشقيقة كمال الذي ساعد في قتله، لصحيفة يديعوت العبرية (١٩٩٧/٨/٢٣) يتضح أن المهندس وصل إلى بيت أسامة في تموز ١٩٩٥، وأن أسامة فوجئ عندما وجد المهندس أمامه يطرق الباب معتقدا أن المهندس تمكن من الهرب إلى خارج فلسطين.

و تذكر زينب حماد أن شقيقها كمال استعاد الهاتف النقال مرتين لإصلاحه، ولم يكن أحد يعرف أن الشاباك زرع تلك العبوة الناسفة فيه، وتعطي زينب ملاحظة قد تكون هامة وهي أن الهاتف الثابت كان مشوشا على مدار شهر قبل اغتيال عياش، وهي تعتقد أنه كان يخضع لرقابة (الإسرائيليين) .

و تذكر ملاحظة هامة أخرى أنه في يوم الحادث اتصل كمال حماد في السابعة والنصف صباحا وردت عليه زوجة أسامة، وطلب كمال التحدث مع أسامة وطلب منه أن يبقي الهاتف النقال مفتوحا لأنه ينتظر مكالمة هامة تخص العمل.

و بعد ساعة تقريبا اتصل والد المهندس ليهنئ ابنه بمولوده الجديد، ولكن فجأة انقطع الهاتف العادي فاتصل على الهاتف النقال، وردت عليه زوجة أسامة، التي أعطت الهاتف إلى زوجها أسامة الذي أعطاه بدوره إلى المهندس، الذي رد على والده بضع كلمات ثم انفجر الهاتف واستشهد المهندس، الذي دوخ (إسرائيل)، هكذا بكل بساطة.

عبد اللطيف عياش والد المهندس يقول إن آخر كلمة سمعها من ابنه كانت (كيف حالك يا أبي) ثم انقطع الخط، فحاول الحديث مرات أخرى ولكن الخط كان مقطوعا من الخدمة.

و اعتبر الحادث نجاحا فائقا لكرمي غيلون قائد الشاباك الذي كانت معنويات جهازه في الحضيض بعد الفشل في حماية رئيس الوزراء إسحاق رابين الذي مات قبل أن يسعد بخبر قتل المهندس.

محكمة

بعد اغتيال عياش وتكشف حقيقة ما حدث سريعا كان زعماء حماس السياسيون يقفون قي بيت عزاء الشهيد يحيى في غزة بجانب أسامة حماد،ديق الشهيد الذي أخفاه في بيته ينفون الأنباء التي أشارت ولو تلميحا لتورط أسامة في العملية، متهمين خال أسامة، كمال حماد بالتورط في اغتيال يحيى عياش .

و كان واضحا أن جريمة الاغتيال وقعت في أرض، هي تحت سيطرة سلطة، مهما اختلفت الآراء حولها، فإنها في النهاية مسؤولة عن (أمن) مواطنيها أو على الأقل يجب أن يكون لها (كلمة) ما فيما يحدث في الأرض التي تحت سيطرتها، حتى لو كان ما يحدث يتم التحكم به عن بعد، ومن طائرة تحلق في أجواء ليست تحت سيطرتها، كما حدث مع الشهيد يحيى عياش .

تحركت السلطة الفلسطينية، متأخرة جدا، وأوقفت أسامة حماد وشقيقته كريمة حماد، وعقدت محكمة أمن الدولة جلسة لها يوم ١٩٩٩/٥/٩

في غزة برئاسة العقيد عبد العزيز وادي، وعضويه : النقيب جمال نبهان والنقيب : سامي نجم، للنظر في جريمة اغتيال يحيى عياش .

و نظرت المحكمة في التهم الموجهة للمتهم الأول كمال عبد الرحمن حماد الفار من العدالة والمتهم الثاني حسام حماد محمد حماد المرافق للمتهم الأول والفار من العدالة أيضا والمتهمان الثالث كريمة خالد حماد والرابع أسامة خالد حماد .

اتهم كمال حماد، بالسعي والتخابر والتآمر مع المخابرات الصهيونية للقيام بعمل إرهابي استهدف الشهيد المهندس يحيى عياش.واتهم حسام حماد (الهارب) وكريمة حماد (الموقوفة منذ ١٩٩٦/٦/٢٢) بمساعدة المتهم الأول كمال حماد وتهيئة الظروف لقتل عياش .واتهم أسامة حماد (الذي أوقف بتاريخ ١٩٩٦/٧/١٦ أي بعد أكثر من سبعة أشهر من الاغتيال) رفيق المهندس الذي أخفاه تهمة الإهمال مما أدى إلى مقتل الشهيد عياش وأنه تسبب من غير قصد في مقتل المهندس .

كان عقد المحكمة مهما، ففي النهاية يجب أن تكون هناك رواية (رسمية) فلسطينية لما حدث، ولهذا لم يتوقف الكثيرون عند النصوص القانونية التي يحاكم بموجبها المتهمون الأربعة، وكان يمكن أن يكون عقد المحكمة لجلساتها حدثا، ولكن ضعف ثقة الرأي العام الفلسطيني بالجهاز القضائي الفلسطينيوتوالي الأحداث والملل من متابعة دهاليز العملية السلمية عكس نفسه
على الاهتمام بقضايا داخلية كثيرة، ومعرفة الكثير من أسرار حادث الاغتيال، أدى إلى عدم إبلاء المحاكمة الاهتمام الكافي.

في تلك الجلسة قال المدعي العام جمال شامية إن عمالة المتهم الأول كمال حماد لجهاز الشين بيت (أحد أذرع أجهزة المخابرات الصهيونية الداخلية) لا تحتاج لإثبات بعد أن رفع حماد دعوى ضد الجهاز الصهيوني يطالب فيها بتعويض ٢٥ مليون دولار لمشاركته في تنفيذ عملية اغتيال يحيى عياش.

و أشار شامية إلى أن حسام حماد وكريمة حماد نفذا تعليمات كمال حماد، بجمع معلومات عن عياش والتعاون في زرع جهاز تنصت في

الهاتف الخلوي الذي يملكه المتهم الرابع (أسامة حماد) الذي اشتراه بناء على طلب كمال حماد (المتهم الأول).

و أكد شامية ما كان معروفا لدى الرأي العام،من أن جهاز المخابرات الصهيوني تعرف على صوت الشهيد عياش والأوقات التي يتصل والده به من خلال تعاون المتهمين الثلاثة (كمال، حسام، أسامة)، وأنه في يوم تنفيذ جريمة الاغتيال اتصل كمال حماد بابن أخته أسامة وطلب منه إبقاء الهاتف النقال مفتوحا بحجة أن شخصا يدعى شلومو سيتصل لأسباب تتعلق بالعمل،وهو بالطبع لم يكن صحيحا،فرجال المخابرات الصهيونية كانوا في ذلك اليوم ينتظرون مكالمة الوالد لابنه يحيى خصوصا وأنه تم فصل الخدمة الهاتفية (التي تتحكم بها "إسرائيل") عن الهاتف الثابت .

كان الكثيرون مستعدين لتقبل الاتهامات لكمال حماد وحسام حماد، وربما لكريمة حماد، ولكن، ولأسباب كثيرة، منها ما هو عاطفي، فإن الأمر كان مختلفا بالنسبة لأسامة حماد رفيق الشهيد الذي خبأه في منزله.

حتى أن المدعي العام النقيب جمال شامية أشار في تلك الجلسة إلى أن أسامة كان متوجسا من تقرب خاله كمال حماد إليه،وطلب من يحيى عدم الإقامة في منزله بسبب ارتباطات خاله المشبوهة،ولكن المدعي وجه لوما لأسامة لأنه لم يبلغ تلك المخاوف لقيادته السياسية (مما جعله محل اتهام).

أثارت لائحة الاتهام التي تلاها المدعي العام شامية جلبة وسط جمهور المحكمة غير المتعود على مثل هذا النوع من المحاكمات التي يكون الرأي العام، اتخذ فيها مسبقا قرارا ضد المتهمين.

أسامة حماد احتج على التهم التي وجهت لشقيقته الأمية التي لا تجيد القراءة مشيرا إلى أن المخابرات الصهيونية لا يمكن أن تعتمد،في تنفيذ عملياتها على هذا النوع من الأشخاص.

و كريمة نفسها نفت ما نسب إليها بشدة، وأمام الهيجان الذي حدث في الجلسة حذر القاضي من طرد أفراد عائلات المتهمين (أسامة وكريمة) إذا لم يعد الانضباط إلى القاعة، وقدم محامي أسامة وكريمة الموكل من قبل

هيئة المحكمة اعتذارا مشيرا إلى أن الضغط النفسي الذي تعرض له موكلاه عبر عن نفسه في ذلك الغضب..!

و بعيدا عن قاعة المحكمة كان هناك طرف أصدر مسبقا حكما على أحد المتهمين بالبراءة، فحركة حماس، أصدرت بيانا برأت فيه أسامة حماد من التهم الموجهة إليه، وهي كما ذكرنا تتعلق بالإهمال وليس بالعمالة لـ (إسرائيل).

و جاء بيان حماس قبل يوم واحد من عقد جلسة المحكمة تلك،في محاولة،على ما يبدو للتأثير على سير المحكمة،هي بغض النظر عن مدى استقلاليتها، والتحفظات على قانونية محاكم أمن الدولة بشكل عام، فإنه كان لا بد من إعطائها فرصة، فلا يعقل أن يمر حادث بجسامة ما تعرض له عياش دون أن تقول، محكمة، أية محكمة كلمة فيه .

وأعتقد أنه كان من الأجدر إيراد تحفظات على المحكمة والمطالبة بوضع ضوابط لتكون المحكمة عادلة، وانتقاد تأخر عقدها .

و برأ بيان حماس عضو الحركة أسامة حماد،وأشار إلى مزايا أسامة ونقاء سريرته وقبوله إيواء الشهيد يحيى عياش في منزله في ظل تلك الظروف الصعبة.

و نوهت حماس إلى أن أسامة حماد وبعد حادث الاغتيال أخضع لتحقيق من قبل الأمن الوقائي الذي تأكد من براءة أسامة والتي تأكدت أيضا من خلال تحقيق أجرته لجنة مشتركة من كتائب القسام والأمن الوقائي في غزة.

و لم تعد حماس في بيانها بنشر نتائج التحقيق المشترك،وباعتقادي أنه ما دام هناك تحفظ على محكمة السلطة يجب أن لا يترك الرأي العام فريسة لوجهة نظر واحدة هي السلطة في هذه الحالة،والتي لا تتمتع محاكمها بأية مصداقية، ومن حق الرأي العام أن يعرف نتائج التحقيق الذي شاركت فيه حماس نفسها .

و ذكر البيان أن الشيخ أحمد ياسين وجه رسالة لرئيس السلطة ياسر عرفات يؤكد فيها براءة أسامة، وطالبت حماس بالإفراج عن أسامة

حماد، وأكدت حرصها على وحدة الشعب الفلسطيني في (هذه المرحلة الدقيقة وتفويت الفرصة على المتربصين بوحدة الصف والكلمة).

و لم تقدم حماس ملاحظات على طبيعة المحكمة وصلاحيتها ومدى نزاهتها ولم تطالب بمحكمة بديلة ذات طابع مدني مثلا وأكثر استقلالية، ولم تتقدم ببيانات البراءة إلى المحكمة التي بدأت في عقد جلساتها بشكل علني.

من جانبه قال العقيد عبد العزيز وادي رئيس المحكمة العسكري،إن براءة أسامة أو عدمها هي من اختصاص المحكمة، وقال إن ما أوردته حماس في بيانها يجب أن يقدم للمحاكمة التي من اختصاصها النظر في ذلك.

و عقدت المحكمة جلسة أخرى لها يوم ٢٠٠٠/٥/١٤،وبتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢١ عقدت المحكمة جلسة للمداولة والنطق بالحكم، وفي تلك الجلسة التي رأسها العقيد عبد العزيز وادي وعضوية النقيب: جمال نبهان، والنقيب: رسمي النجار، تمت إدانة جميع المتهمين الأربعة في القضية.

و تلا القاضي وادي حيثيات الحكم، وقال إنه بشأن المتهمة الثالثة كريمة حماد فإن الأدلة والبيانات تشير إلى أنها قامت بتزويد المتهم الأول كمال حماد بما طلبه منها من معلومات عن الشهيد يحيى عياش وتحركاته، مشيرا إلى أن ذلك يقع تحت طائلة أحكام المادة ٨٨ من قانون العقوبات الفلسطيني لعام ١٩٧٩، وقال إن هيئة المحكمة قررت تجريمها مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والأعذار المخففة التي وجدتها هيئة المحكمة من خلال الوقائع المادية والأدلة والبيانات التي اقتنعت بها هيئة المحكمة واطمأن ضميرها.

و فيما يخص المتهم الرابع أسامة حماد رفيق الشهيد عياش، قال وادي إنه ثبت للمحكمة أن المتهم كان على علاقة سيئة بالمتهم الأول خاله كمال حماد،لمعرفته أنه عميل للموساد، وبعد أن خبأ الشهيد عياش في منزله أبقى على تلك العلاقة مع خاله ووافق العمل في شركته وتقبل منه المساعدة المالية، ولم يخش مخاطر قبول الهاتف النقال منه واسترجاعه في أوقات مختلفة بحجج واهية، متجاهلا أحاسيسه التي يقر بأنها كانت تقول له أن يتخذ الحيطة والحذر .

حسب اعترافاته الموجودة في ملف القضية، واستمر في التعامل مع خاله كمال حماد .

و قال القاضي إن هيئة المحكمة رأت أنه كان من واجب أسامة حماد إبلاغ تنظيمه بما يتوقعه من مخاطر محدقة بالمهندس الشهيد.

ولم تعتبر هيئة المحكمة رسالة الشيخ أحمد ياسين للرئيس عرفات أو بيان حماس، دليلا لإعفاء أسامة حماد من مسؤولية الإهمال وقلة الاحتراز، الأمر الذي أدى إلى تمكين أجهزة المخابرات الصهيونية وعملائها من الوصول للمهندس واغتياله .

و بتهمة (الإهمال وقلة الاحتراز) وفقا (لتطبيق أحكام المادة ٢١٢ معطوفة على أحكام المادة ٣٩٣ بدلالة المادة ٢٣٥ من قانون العقوبات الفلسطيني لعام ١٩٧٩، والحكم عليه وفق أحكام هذه المواد مع مراعاة مشاركة تنظيمه له في تحمل المسؤولية التقصيرية عن أمن وسلامة الشهيد يحيى عياش) .

و حكم على أسامة حماد،صديق الشهيد منذ دراستهما معا في جامعة بيرزيت، بالسجن لمدة ثلاث سنوات تبدأ منذ اعتقاله بتاريخ ١٩٩٦/٧/١٦ .

و بدا أسامة حزينا لإدراجه وشقيقته ضمن لائحة اتهام ضمت العميلين كمال وحسام حماد، وهو رفيق وصديق الشهيد الذي كان مستعدا للتضحية بروحه من أجله .

و لكن الحزن، وربما الندم لا يكفي في مثل هذه الحالات، فقد رحل المهندس..!

الجاسوس يتكلم

الحدث الأبرز في تلك الجلسة التي عقدت بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢١ هي الأحكام التي صدرت على كمال حماد وحسام حماد.والأهم تجريمهما بالتهم المنسوبة لهما في قضية الاغتيال.

و كما هو متوقع صدر الحكم بإعدام المتهمين كمال وحسام رميا بالرصاص حتى الموت، ومصادرة أموالهما المنقولة وغير المنقولة أينما وجدت.

بعد أن ثبت لهيئة المحكمة جمع تلك الثروة بطريقة غير مشروعة وأن عملهما مع المخابرات الصهيونية سهل لهما جمع تلك الثروة (خصوصا المتهم الأول كمال حماد) .

القاضي العسكري عبد العزيز وادي قال إنه ثبت للمحكمة بالأدلة القاطعة التي لا يشوبها أي شك ارتكاب المتهم الأول كمال حماد والثاني حسام حماد، الفارين من وجه العدالة لفعلة التخابر مع الموساد الصهيوني وتقديم كافة التسهيلات التي طلبها الموساد لوضع العبوة الناسفة في جهاز الهاتف النقال الذي اشتراه كمال حماد ووضعه بتصرف ابن شقيقته أسامة حماد بسبب معرفته بوجود الشهيد عياش في منزل أسامة مختبئا. (يلاحظ هنا عدم الدقة لدى المحكمة في تحديد اسم جهاز الأمن الصهيوني المسؤول عن تنفيذ اغتيال عياش وهو الشاباك، بينما جهاز الموساد مختص بالعمل الاستخباري الخارجي، وإن كان هناك تعاون وثيق بين أجهزة المخابرات ووحدات الجيش الصهيوني المختلفة) .

و ثبت لهيئة المحكمة أن خطة الموساد كان إجبار عياش أو ذويه على استخدام الهاتف النقال في الوقت المناسب لاغتيال عياش وهو ما حدث في الساعة السابعة من يوم ١٩٩٦/١/١٥،عندما اتصل والد عياش وتعطل أثناء المكالمة الهاتف الثابت، فاتصل والد عياش به على الهاتف النقال، وهذا ما كان ينتظره الموساد، حيث فجرت العبوة الناسفة واستشهد المهندس.

و لا نعرف إذا كان العميلان كمال وحسام، كانا يتابعان مجريات المحكمة، أو يهمهما قرارها، فهما اختارا مصيرهما عندما قررا الفرار إلى تل أبيب ومنحهما بطاقات هوية صهيونية، وربما قبل ذلك بكثير عندما ارتبطا بأجهزة الأمن الصهيونية، ولكن على الأقل فإن كمال حماد وهو المجرم الرئيس في قضية اغتيال عياش كان مشغولا بأموره الخاصة في تل أبيب بعد أن اتهم حكومة (إسرائيل) بالتخلي عنه.

من الصعب معرفة الأسباب التي أدت لكمال حماد وهو المقاول الثري للتورط مع الشاباك في عمل مثل اغتيال عياش، ولا يمكن من خلال معرفة ما أجري معه من الأحاديث التي أدلى بها للصحافة الصهيونية بعد هروبه من غزة

(و تخلي الشاباك عنه) أن تعطى صورة عن تلك النوعية من (البشر) التي لا تكتفي بالتعامل مع العدو بل تعمل على المشاركة في أعمال شكلت صدمات لا تنسى للوعي الجمعي كاغتيال يحيى عياش، الرمز الفلسطيني الذي لا يتكرر بسهولة.

و لكنها يمكن أن تعطي صورة لما سيكون عليها العميل، ربما أي عميل، بعد أن يؤدي ما طلب منه، ولا يبقى له أي فائدة ترجى. مثلا نشرت صحيفة يديعوت أحرنوت يوم الجمعة ١٩٩٧/٨/٢٢، عما جرى في يوم ١٩٩٦/١/١٥ عندما انفجر الجهاز الخليوي في جسد عياش.

تقول الصحيفة إن كمال حماد، كان في يافا وبعد ساعتين من الاغتيال ظهر في موقع للبناء في شارع (مخلول - يوفي ٥) وحضر للموقع للإشراف على البناء الذي تقوم به شركته، وسمع النبأ من الراديو في ساعات بعد الظهر، وكما هو متوقع فإنه أحد المعنيين الرئيسين في الحادث.

و حسب رواية الصحيفة فإنه سارع للاتصال بزوجته الشابة سامية وطلب منها مغادرة غزة والقدوم إليه على الفور إلى تل أبيب، ولأنه كان، من قبل الحادث، يخطط للسفر إلى أمريكا لزيارة ولده أيمن الذي أرسله للدراسة هناك، ولكنه، حسب الصحيفة بدد (أيمن) النقود التي كانت معه، ويريد كمال الوقوف بنفسه على أوضاع ابنه .

و كان قرار السفر الفوري أكثر ما يناسب شخصا في مثل وضعه، فصعد وزوجته الشابة سامية على أول طائرة متجهة إلى أمريكا قبل أن يعرف أحد تورطه في اغتيال المهندس.

تقول الصحيفة إن كمال، الذي اختفى في الولايات المتحدة، كان عليه أن يواجه (الضربة القاسية التي ألمت به، لقد توقف المقاول الثري في منتصف مشروع بناء).

و تضيف : (لقد فوجئ أصحاب المشروع حين اتضح لهم أن المقاول هرب إلى الخارج في منتصف مشروع بناء، وفوجئ أصحاب المشروع حين اتضح لهم أن المقاول هرب إلى خارج البلاد في أعقاب مقتل المهندس) .

كمال حماد كان في أمريكا بعد حادث الاغتيال المدوي والذي تردد رجع صداه في العالم العربي وفي العالم وربما لم تخل صحيفة أو وسيلة إعلام تهتم بالسياسية بموضوع عنه .وفي غزة تم اعتقال عدد من أقاربه منهم شقيقه محمود وابن أخيه أكرم حماد وأخ زوجته الثانية عبلة .

و أفرجت السلطة عن شقيقه محمود الذي اتضح للسلطة أنه ليس له علاقة بحادث الاغتيال ولم يكن يعلم به، وحسب الصحيفة فإن السلطة طلبت من محمود المغادرة من (أجل سلامته)، فأخذ عائلته المكونة من زوجتين و١٢ ابنا وانتقل للسكن في بيت كان شقيقه كمال بناه في يافا، ولم تكن حياته هانئة في يافا فسكان الحي الذي سكن فيه لم يقبلوا أن يعيش بينهم أفراد من عائلات (المتعاونين)، وهي التسمية التي يطلقها الإعلام الصهيوني على عملاء أجهزة الأمن الصهيونية من الفلسطينيين والعرب، فانتقل، في نهاية حزيران ١٩٩٦ إلى فندق ثم دبر نفسه في سكن آخر .

و قررت زوجة كمال حماد الأولى فاطمة البقاء في غزة، أما زوجته الثانية عبلة فغادرت غزة، على الأغلب بسبب مضايقات تعرضت لها بسبب زوجها الفار، وانتقلت للعيش، منفصلة عن زوجها، في (إسرائيل).

و حسب تقديرات يديعوت، لدى نشر تقريرها في أواخر آب ١٩٩٧ فإن نحو (٧٠) فردا من عائلة حماد انتقلوا للعيش في (إسرائيل) مغادرين غزة .وفي ذلك التقرير ذكرت الصحيفة أن ابن كمال حماد أيمن غادر الولايات المتحدة، وأصبح متجولا في العالم، وأما كمال فإن ديونه تزايدت، ولم يكن في نية أية جهة في (إسرائيل) مساعدته في سداد ديونه التي تتزايد، فباع أملاكه، في يافا بخسارة، وكانت أملاكه التي قدرها الصحافيان بعشرين مليون دولار قد صودرت .وكان حماد، المقاول الثري سابقا والعميل لأحد أقوى، أو أنشط، أجهزة المخابرات في العالم يدخل (في وضع نفسي- سيئ، بسبب الحالة التي وصل إليها وبسبب فقدان عقاراته وممتلكاته). وأصبح نموذجا لما يمكن أن يشير إليه الفلسطينيون، بأنه النهاية المتوقعة (لكلب باع ضميره وخان شعبه وفقد شرفه) .

و كانت الأزمة التي يعيشها حماد تتصاعد،وذهبت طلباته من (إسرائيل) بتعويضه على الأقل عن أملاكه التي صودرت في غزة، أدراج الرياح، وفي ١٩٩٩/١١/٤ كان يتم إخلاءه من الشقة التـي سـكن بها، بعد أن وصلت أزمته المالية منتهاها .ولم يعد قادرا على دفع أجرتها .

و اختار أن يدلي بحديث للصحافي (يـوأب ليمـور) مـن صـحيفة معـاريف العبريـة نشرـت في نفس ذلك اليوم، في محاولة منه للفت الرأي العام الصهيوني، على ما يبدو، لمأساته.

قال حماد : (لقد أصدرت دولة "إسرائيل" ضدي حكـما بالإعـدام والآن تريـد أن تـدوس عـلى الجثة، لقد قدمت حياتي من أجل الدولة واليوم أجد نفسي في الشارع مع عائلتي، هل هذا هو الأسلوب الصحيح ؟ فكرت بأن الحديث يدور عن دولة سليمة ولكـن كـل شيء كـان مجـرد خدعـة، توصـلت إلى حالة افتقدت فيها إلى النقود لدفع إيجار الشقة ومن أجل توفير لقمـة الخبـز لأولادي وتعلـيمهم، لمـاذا يفعلون بي هكذا ؟).

و يقول الصحافي الذي أجرى المقابلة إن كمال حماد يعيش في خوف دائم عـلى حياتـه ولهـذا رفض التقاط صور له. ووجه حـماد شـكواه ضـد (إدارة تأهيـل المتعـاونين) في مكتـب رئـيس الحكومـة الصهيونية .التي خدعته طوال الوقت كما قال في حديثه للصحيفة .وأهانته باسـتمرار وكـذبت عليـه ولم تلتزم بالدفع له .

و يقول حماد عن هذه الإدارة (إن ما يفعلونه بي أكثر سوءا من التنكيل إنه قتل، قال لي كبـار في الشاباك إن على هذه الدولة أن تقبل قدميك، ولكن بدلا من ذلك ينكلون بي وبعائلتي، لم أكـن أفكـر حتى في أسوأ أحلامي أن هذا سيحدث ولكن هذا الكابوس ينمو ويكبر يوما إثر يوم).

و تحدث حماد عـن علاقتـه مـع أجهـزة الأمـن الصـهيونية، وحسـب قولـه فإنـه في منتصـف الثمانينات من القرن العشرين، نظم لقاءات في بيته في غزة بين قادة الإدارة المدنية الصـهيونية وكبـار في أجهزة الأمن الصهيونية وبين وجهاء من غزة لطرح ما يسميه مشاكل السكان.

و كانت هذه اللقاءات تجري ضمن سياسة (إسرائيل) وقتها بفتح قنوات اتصال مع القيادات المحلية الفلسطينية،وكانت قبلا استبدلت صيغة الحكم العسكري بالإدارة المدنية .لتجميل الاحتلال ومشاركة السكان المحليين في إدارة (احتلالهم) .

وكانت هذه المحاولات المتتالية جوبهت من قبل الحركة الوطنية الفلسطينية في وقتها، وتم تقديم شهداء وجرحى وأسرى لإفشال مخططات الاحتلال تلك.

و يكشف حماد أنه خلال تلك المرحلة طلب منه أن يبني مساكن للاجئين، وذلك لإخلاء المخيمات، وهي التي عرفت بمشاريع توطين اللاجئين التي كانت كلما تطرح تجابه من اللاجئين أنفسهم والحركة الوطنية.

و من أجل ذلك، حصل حماد على تمويل لمشروعه الذي اقترحته عليه (إسرائيل)، من بنك (إسرائيلي) ودون فائدة، ولكن المشروع لم ينفذ بعد أن هدد من قبل الفلسطينيين.

و يبدو أن حماد كلف بأمور أخرى كثيرة من قبل (إسرائيل)، وأصبح أحد ممثلي (الزعامات المحلية) المرتبطة مع الاحتلال الصهيوني، وبصفته هذه ذهب إلى تونس، مقر منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك، ولم يفصح في المقابلة عن الهدف من تلك الزيارة، ولكنه كشف للصحيفة أنه بعد إحدى اللقاءات في تونس وأثناء عودته انتظره رجال الأمن الصهيوني وأخبروه أنهم (اعتقلوا خلية خططت لقتلي، وأعطاني الجيش جهاز إنذار في البيت ووعدني بأن تصل القوات بعد دقيقة من الضغط على جهاز الإنذار) .وهذا التدبير الأمني الصهيوني كانت استخدمته (إسرائيل) مع عملاء آخرين لها كانت حياتهم مهددة من قبل المقاومين الفلسطينيين .

و أصبح واضحا أن حماد أصبح عميلا مهما لدى (إسرائيل)، وتوسعت علاقاته،وحسب قوله للصحيفة العبرية فإنه استضاف في بيته موشي آرنز وزير الحرب الصهيوني اليميني ورئيس الحكومة إسحاق رابين ووزير الخارجية شمعون بيرس وجنرالات آخرين في جيش الاحتلال.

و يدعي حماد في المقابلة أنه أقام (نوعا من العلاقات) مع قادة السلطة الفلسطينية الذين نظر معظمهم إلى علاقاته مع (إسرائيل) بالإيجاب..!

و زودت (إسرائيل) حماد بكلاشينكوف ومسدسات، وعن تلك الفترة يقول حماد: (أولادي كانوا يتجولون في البيت في غزة والبنادق في أيديهم) .ومعنى ذلك أن حماد كان عميلا معروفا لـ (إسرائيل) بشكل واضح للفلسطينيين، وأن أقرباءه لا شك يعرفون حقيقته ومن ضمنهم ابن شقيقته أسامة حماد رفيق يحي عياش .

و يشعرنا كمال حماد أنه كان خائفا جدا على نفسه في تلك الفترة إلى درجة أنه بدأ يتردد على الولايات المتحدة ليلد له ولدا هناك يستطيع الحصول على الجنسية الأمريكية، ويستطيع، بذلك، الذهاب إلى هناك في حالة أي طارئ، وهو ما فعله بالفعل بعد استشهاد يحيى عياش .

و في تلك المقابلة التي تحدث فيها حماد لأول مرة بعد أن كان حديث الصحافة العربية والعالمية لدوره في اغتيال عياش، حاول أن يقدم (روايته) لما حدث، فقال كمال إنه خلال إحدى رحلاته للولايات المتحدة علم أن ابن شقيقته أسامة تم اعتقاله من قبل السلطة الفلسطينية بدعوى أنه درب استشهاديا، وفوجئ كمال بأن (إسرائيل) تطلب منه التدخل ليمارس تأثيره، كما يقول، على السلطة للإفراج عن أسامة.

و يعترف كمال أنه لم يفهم سبب طلب (إسرائيل) ذلك، وهو أمر من الصعب فهمه فعلا إذا أخذت الأمور بظواهرها، فأسامة عضو معروف في حماس و(إسرائيل) تطالب، ليلا ونهارا، السلطة باعتقال نشطاء حماس.

يكمل كمال حماد : (بناء على طلب الشاباك بدأت بتشغيل أسامة لدي، قلت لـ (الإسرائيليين) إنه لا يستطيع العمل لدي، لأن بناتي يخرجن بلباس قصير وهو رجل متدين، لكنهم قالوا إن كل شيء سيكون على ما يرام) .

ربما كان كمال حماد لا يعرف تفاصيل خطة الشاباك بالتخلص من يحيى عياش، ولكن رجال الشاباك، كانوا ينفذون الخطة بدقة شديدة، فبعد أن طلبوا من كمال حماد العمل على الإفراج عن ابن شقيقته أسامة وتشغيله معه طلبوا

منه أن يولي أسامة مهمة نقل وشحن البيض من المزرعة التي يملكها، ثم طلبوا منه أن يعطيه هاتفا نقالا لمساعدته في العمل وهذا ما تم فعلا.

يقول حماد، بعد وقت قصير تعطل الهاتف النقال وأرسل إلى التصليح، ولا يتحدث عن تفاصيل محددة عن ذلك، ويقول إنه تم إعادة الجهاز، وبعد إعادته استدعاه الشاباك إلى تل أبيب بدعوى أن خطرا حقيقيا على حياته في غزة.

كان ذلك مساء يوم الخميس، أي قبل يوم واحد من اغتيال المهندس، وفي صباح اليوم التالي، حيث كانت خطة الاغتيال تستكمل خطوطها الأخيرة، يقول كمال حماد : (جلست مع رجال الشابك لتناول الطعام ورأيت أنهم جميعا فرحون، بعد ذلك صعدت إلى غرفتي لآخذ قسطا من الراحة وفجأة اتصلوا بي وقالوا لي إنه يجب أن أسافر على عجل، الآن وفورا، مع زوجتي إلى الولايات المتحدة) .

و يشير حماد إلى أن (إسرائيل) لم تسمح له بالدخول إلى غزة، فالتقى بزوجته في أحد الكيبوتسات القريبة من غزة، وكانت زوجته في حالة ذهول.

و حسب روايته فإنه خلال كل هذا الوقت لم يكن يعرف ماذا جرى فعلا في غزة، يقول حماد: (بعد أن وصلت يافا من أجل ترك سيارتي والسفر سألني أحدهم عما إذا كنت سمعت الأخبار وقال لي إنهم اغتالوا يحيى عياش) .

و ليس مستبعدا أن يكون الشاباك أخفى عنه حقيقة خطة اغتيال يحيى عياش، وكلام حماد يذكر بما قاله عميل آخر بعد ذلك بسنوات وهو علان بني عودة الذي استخدم لقتل أحد قادة حماس العسكريين: إبراهيم بني عودة، فكلاهما لم يخف علاقته بالاحتلال، ولكنهما أنكرا بمعرفتهما بتفاصيل المهمتين اللتين استخدما لأجلهما، اغتيال يحيى عياش وإبراهيم بني عودة، من أبرز أعضاء الجناح العسكري لحماس واللذان قتلا بطريقة متشابهة في عمليتين لم تعترف (إسرائيل) بمسئوليتها عنهما حتى الآن .

يتابع حماد روايته قائلا إنه اتصل فورا مع أخيه في غزة وبعد عدة دقائق اتضح له أن الاغتيال تم في بيت أخته وأن الاغتيال (تم من وراء ظهري ودون علمي، لقد استخدموني واستغلوني وفي لحظة واحدة دمروا عالمي).

تسلم حماد نقودا من الشاباك قبل مغادرته إلى الولايات المتحدة ولكنه فوجئ هناك بأن (بطاقة الائتمان خاصتي ألغيت رغم أنه كان لي نقود في بنك في (إسرائيل)، وحين قررت العودة إلى (إسرائيل)، اقتحم رجال شرطة الـ : أف.بي.آي غرفتي في الفندق في لاس فيجاس وفتشوني تفتيشا دقيقا ثم تركوني أغادر).

و عندما وصل إلى مطار بن غوريون في اللد كان رجال من الشاباك في انتظاره، أخذوه إلى فندق وقالوا له : (لا داعي للقلق لأن كل شيء سيسير على ما يرام وأن دولة "إسرائيل" ستهتم بكل احتياجاتي، وقال لي أحد أفراد الشاباك إن القليل من "الإسرائيليين" فعلوا ما فعلته للدولة) .

و يبدو أن الشاباك لم يف بما وعد (في البداية كان كل شيء على ما يرام، اهتم الشاباك بتوفير بيت لي، وإخراج عائلتي من غزة) .وبدأت المشاكل بينه وبين الشاباك كما يقول عندما بدأ يطلب تعويضات عن خسائره، ولكن يبدو أن لا أحد استمع إليه (الآن أجد نفسي في الشارع دون نقود ودون مستقبل، لقد خوزقوني واستخدموني دون علمي، والآن خوزقوني ثانية، إن ما يفعلونه بي هو جريمة) .

في تلك المقابلة أرسل حماد عدة رسائل منها ما هو إلى مستخدميه السابقين في الخيانة ضد شعبه، للوقوف بجنبه ومساعدته، ورغم أن (إسرائيل) لم تعترف بالمسؤولية عن اغتيال عياش، حتى أنه في نفس المقابلة التي أجريت معه، تم تعريف كمال حماد (بالمقاول من غزة الذي حسب الأنباء الأجنبية ساعد (إسرائيل) في اغتيال المهندس يحيى عياش).

إلا أن مكتب رئيس حكومة (إسرائيل) إيهود باراك، وقتها، عقب، وفقا لراديو الجيش الصهيوني، بغضب على أقوال حماد لصحيفة معاريف .

و حسب الراديو فإن التعقيب كان أنه ليس صحيحا أن (إسرائيل) لم تساعد كمال حماد ولم تقدم له أموالا، ولكن (إسرائيل) قدمت أموالا بددها حماد على أمور مظهرية.

و حسب الراديو فإن (إسرائيل) قدمت لحماد (ثلاث شقق سكنية ومبلغا كبيرا من المال، كما كان حماد يتلقى مبلغا إضافيا شهريا، وأن حماد أنفق المال على مشتريات تنطوي على إسراف وبهرجة بدل استخدامه للأغراض التي خصص لها كالتعليم والسكن والرعاية الصحية له ولأسرته).

و الرسالة الثانية التي وجهها حماد، بعد أن خرج عن صمته، ادعاءه براءته من دم المهندس يحيى عياش،رغم اعترافه الواضح بعمالته لـ (إسرائيل) وسرده لتاريخ تلك العلاقة، وسواء كان صادقا في ذلك أم لا، فإن الرد على هذه الرسالة جاء متوقعا، فالدكتور محمود الزهار أحد قادة حركة حماس السياسيين، عقب على حديث كمال حماد لصحيفة معاريف، معتبرا أنه المجرم رقم واحد المسؤول عن اغتيال يحيى عياش.

و قال الزهار ليومية الحياة الجديدة الفلسطينية (١٩٩٩/١١/٧)، إن كلام حماد أنه لم يكن يعرف بأن الهاتف النقال الذي استخدم في عملية الاغتيال ملغوما، هو كذب وافتراء .وأكد الزهار أن موقف حماس من القضية واضح وهو أن العميل كمال حماد هو المتورط الرئيسي في الاغتيال وهو ما أكدته أيضا حسب أقوال الزهار النتائج التي توصلت إليها لجنة التحقيق التي تشكلت من حماس وجهاز الأمن الوقائي .

و لم يترك الزهار مناسبة حديث كمال حماد لصحيفة معاريف دون الإشارة إلى أن وضع كمال حماد أصبح مثل الكلب (الذي يحرس صاحبه ثم يتركه صاحبه دون طعام، وأن هذا هو مصير كل من يختار هذا الطريق) .ورأى آخرون في مثل العميل كمال حماد، نموذجا ودرسا لكل الذين يتعاونون مع الاحتلال ضد أبناء شعبهم .

و هي عبرة مستخلصة من تجارب كل الشعوب، ولكن لا يكفي أن يعتبر بها الأفراد، فعلى الجماعات أيضا، أن تراكم بها خبراتها، كي لا تلدغ من نفس الجحر أكثر من مرة، وهو ما كان يحصل، للأسف، دائما في الحالة الفلسطينية.

خالد مشعل

تشكل المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في العاصمة الأردنية عمان، نموذجا واضحا للتدليل على فرضية، زكتها الأحداث، بأن عمليات الاغتيال "الإسرائيلي" هي في النهاية قتل من أجل الانتقام ولا تحمل أي بعد سياسي، وهو الإرهاب بعينه .

و لكن للأجهزة الأمنية الصهيونية موقف آخر، لذلك كان يوم ١٩٩٧/٩/٢٥م، يوما غير عادي في العاصمة الأردنية عمان، من الصعب أن تنساه المدينة لسنوات تالية كثيرة.

في الساعة العاشرة والربع من صباح يوم ١٩٩٧/٩/٢٥م اليوم، كان شخصان بديا كسائحين يتحركان جيئة وذهابا أمام مكتب حركة حماس في شارع وصفي التل في عمان، في الوقت الذي وصلت فيه سيارة رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل يرافقه ثلاثة من أطفاله ومرافقه الشخصي محمد أبو سيف.

أحد الشخصين كان يحمل في يده حزمة صغيرة مغلفة بكيس نايلون، وعندما نزل مشعل من سيارته اقترب منه أحد (السائحين) وهو ذو شعر أشقر ولحية صغيرة، وبدا كأنه يريد أن يسأله عن أمر ما، في الوقت الذي اقترب منه بسرعة (السائح) الآخر وضربه بجهاز كان يحمله على رأسه.

و حسب بيان أصدرته حماس فإن محمد أبو سيف مرافق مشعل حال دون أن يلامس هذا الجهاز رأس مشعل، ولكن الجهاز أصدر صوتا مدويا قرب الأذن اليسرى لمشعل الذي شعر بصعقة قوية أصابت جسده بهزة قوية.

و هرب (السائحان) إلى سيارة كانت متوقفة في انتظارهما من نوع (هونداي) خضراء اللون، دون أن يخطر ببالهما أن حارس مشعل الشخصي محمد أبو سيف، وهو من الذين تدربوا في أفغانستان، واكتسب مهارات معينة، لحقهما، وأوقف سيارة أجرة عمومية وجرت مطاردة للسيارة الهاربة مسافة ٣ كيلومترات، من المركز التجاري المكتظ في شارع وصفي التل المشهور باسم شارع الجاردنز حيث مكتب حماس، إلى شارع مكة، حيث نزل الرجلان من سيارتهما واجتازا الشارع بسرعة نحو سيارة أخرى كانت في انتظارهما، ولكن

محمد أبو سيف الذي نزل من السيارة العمومي (التاكسي) التـي ركبهـا ولاحـق بهـا الـرجلان سجل رقم سيارة الهونداي الخضراء، التي تبين فيما بعد أنها مستأجرة، ولحق بالرجلين وجـرت مشـاجرة عنيفة تجمع على إثرها المواطنون ومن بين الذين تجمهـروا سـمير الخطيـب ابـن قائـد جـيش التحريـر الفلسطيني في الأردن وساعد أبو سيف في القبض على الرجلين، وحضرت الشرطة وتـم اعتقـال الـرجلين بينما هرب ثلاثة آخرون كانوا في السيارة الثانية وسائق السيارة الأولى إلى السفارة الصهيونية في عمان.

و ذكر بيان حماس نقلا عن رواية محمد أبو سيف أن الإرهابيين (مـدربان تـدريبا عاليـا عـلى فنون القتال، كما أنهما يتمتعان بلياقة بدنية عالية، غير أنه بتوفيق الـلـه، ثم الإمكانات البدنية والفنيـة العالية للمرافق مكنته من تعطيـل حـركتهما حتـى تجمهـر المـارة ووصـلت دوريـة للشرطة إلى موقـع الاشتباك).

و بدأت تتضح الصورة أكثر فأكثر، فبعد ساعات بدأت تتدهور صـحة خالـد مشـعل، مـن أثـر السم الذي وضعه أحد عملاء الموساد في أذنه بواسطة الجهاز الذي ضربه به عـلى رأسـه، ونقـل مشـعل إلى المستشفى في حالة سيئة جدا بسبب ما تبين أنه محاولة للموساد لاسـتهدافه، وتـدخل الملـك الأردني حسين وتم إبرام صفقة لإعطاء مشعل الترياق الشافي وإطلاق سراح الشـيخ أحمـد ياسـين زعـيم حـماس المعتقل لدى (إسرائيل) مقابل إعادة عميلي الموساد اللذين تم القبض عليهما بسبب شجاعة محمد أبـو سيف الذي نوه لدوره كثيرا فيما بعد خالد مشعل بعد نجاته من محاولة الاغتيال.

هذه هي الخطوط العامة المثيرة لمحاولة اغتيال خالد مشعل، ولكن ربما الأكثر إثـارة هـي مـا كشف عنه من تفاصيل .فتبين أن الرجلين الذي اعتقلا بعد أن لحقهما محمـد أبـو سـيف الـذي أصـيب بجرح قطعي في رأسه جراء ضربه من قبلهما بآلة حادة فتم علاجه وقطب رأسه بـ ١٨ غـرزة، دخـلا إلى الأردن بجوازي سفر كنديين يحملان الإسمين شون كندل (٢٨) سنة وباري بيداس (٣٦) سنة.

و بدأ التحقيق مع الرجلين في مركز شرطة وادي السير، بينما شريكهما الثالث الذي يحمل جواز سفر كندي باسم (جاي هيرس) ٣٠ سنة تمكن من الهروب خارج الأردن.

و رفض المقبوض عليهما مساعدة القنصلية الكندية لهما عندما تم الاتصال بها، وفيما بعد أثار انتحال رجال الموساد لجوازات سفر كندية زوبعة ولكنها سرعان ما انتهت لتكون زوبعة في فنجان، فالحكومة الكندية المجروحة بكبريائها، أو هكذا بدت، استدعت سفيرها دافيد برغر، في لحظات الغضب من تل أبيب، وسط تشجيع من العالم العربي وإشادة من منظمة التحرير الفلسطينية .

و أعلنت الحكومة الكندية التي استدعت سفيرها للتشاور بأنها تبحث اتخاذ خطوات أخرى لقيام الموساد باستخدام جوازات سفر كندية لعملائه في محاولة اغتيال مشعل.

و اتخذت المعارضة الكندية موقفا أكثر راديكالية، وطالب حزب الإصلاح المعارض من الحكومة فرض عقوبات تجارية على (إسرائيل)، واعتبر الحزب أن استدعاء السفير إجراء غير كاف لإبلاغ (إسرائيل) الرسالة بأن كندا لن تقبل بأن يقوم الموساد بما قام به بانتحال عملائه جوازات سفر كندية.

و تفاعلت قضية انتحال الجوازات عندما ظهر شارون كندال الحقيقي، وهو مواطن كندي يعمل في مؤسسة خيرية يهودية في تل أبيب وقال للتلفزيون الكندي إنه أقحم في هذا الأمر دون أن يدري.

و أعلن وزير خارجية كندا ليويد إكسويرثي أن سحب السفير خطوة جادة وأن شارون كندال الحقيقي يتعاون مع السلطات الكندية، وأن الأدلة التي توصل إليها الكنديون تشير بما يدع مجالا للشك إلى تورط (إسرائيل) بهذه القضية.

و خرج السفير الكندي السابق لدى (إسرائيل) نورمان سبيكتور للإدلاء بدلوه، وكان حينها ناشر صحيفة جيروسلم بوست الصهيونية، في الموضوع وفجرت تصريحاته الجدال المحتدم، حيث قال بدون مواربة إنه يشك إذا كانت حكومة (إسرائيل) تصرفت بمسألة جوازات السفر الكندية لعملائها بمفردها أم أن

(المخابرات الكندية تورطت في هذه العملية مع "الإسرائيليين") ؟؟ .ورد وزير الخارجية الكندية ليود إكسويرثي عليه بالقول: إنه مخطئ.. !

و فتح ذلك ملفا طويلا من استخدام الموساد لجوازات السفر الكندية ومثالها الأشهر، ما حدث في ليليهامر في النرويج، كما مر معنا في فصل سابق،عندما قتل اثنان من عملاء الموساد يحملان جوازي سفر كنديين العامل المغربي بوشكي عام ١٩٧٣ ظنا أنه علي حسن سلامة (أبو حسن) .

و اضطر وزير خارجية كندا أن يعترف أن الملفات الحكومية الكندية تشير إلى أن آخر حادث علني تضمن استخدام (إسرائيل) جوازات سفر كندية وقع في قبرص عام ١٩٨١.

و تدخل في النقاش عميل شهير للموساد هو فيكتور إستروفسكي صاحب كتاب (بطريق الخداع) وهو من مواليد كندا فقال لصحيفة (جلوب آند ميل) إن استخدام جوازات سفر كندية يعرض مواطنين كنديين للانتقام في الخارج،ومشيرا إلى أن الموساد لا يستخدم جوازات سفر أمريكية مزورة مثلا، لأن ذلك سيفقده حرية الوصول إلى معلومات المخابرات المركزية الأمريكية.

و هدأت الأمور بعد فترة وصدقت التوقعات التي شاعت لدى وقوع الحادث أن كندا لن تتخذ أي إجراء عملي ضد صديقتها العزيزة (إسرائيل)، وهو ما حدث بالفعل.

في هذه الأثناء كان مشعل الذي غادر مكان الاعتداء برفقة أطفاله يشعر بطنين متواصل في أذنه تطور لاحقا إلى إعياء شديد وألم في الرأس وحالة غثيان وصعوبة في التنفس، ويدخل المستشفى الإسلامي، وينقل إلى مدينة الحسين الطبية، بعد قدوم أفراد من الأمن الأردني طلبوا نقله، في حالة حرجة للغاية ودخل في غيبوبة جراء السم الذي قيل إنه يتحرك ببطء ويؤدي للوفاة، وحضر بأمر من الملك حسين طبيب أخصائي من عيادة مايو كلينك الأمريكية، التي كان يعالج فيها الملك الأردني دائما وعولج فيها خلال مرضه الأخير، وأخذ عينة من دم مشعل وغادر مباشرة إلى مركز عمله لتحليل الأعراض التي أصابت مشعل.

و كانت التقديرات لدى الأطباء الأردنيين في حينها أن الأشعة التي أرسلها الجهاز الذي ضرب به أصابت منطقة المخيخ مما أثر على توازن الجسم،وأصابت الأعصاب المسؤولة عن التحكم بعمل الرئتين والجهاز التنفسي مما أحدث خللا في الوظائف التنفسية ونقصا متزايدا في نسبة الأوكسجين في الدم، وبأن الجهاز الذي استخدم ضد مشعل أرسل أمواجا كهرومغناطيسية أصابت مركز التنفس في دماغه.

و اتضح أن الموساد خطط لاغتيال مشعل بشكل بطيء دون أن يحدث ربطا بين موته وبين الموساد، خصوصا وأن الهدف كان أن يموت مشعل أثناء نومه بسبب الاختناق، وبذلك يتجنب الموساد إحراجا مع الأردن، ولكن مرافق مشعل، أبو سيف أفشل ذلك.

ويقال بأن الملك حسين تدخل شخصيا في تأمين سلامة مشعل و ذكرت صحيفة ديلي تلغراف البريطانية أن الملك حسين اتصل بالرئيس الأمريكي بيل كلينتون، وطلب منه المساعدة في توفير العلاج لمشعل، فتوجه كلينتون شخصيا بالطلب من (إسرائيل) بتقديم تفاصيل دقيقة عن السم أو الغاز الذي استخدم في محاولة قتل مشعل.

و قالت القناة الأولى للتلفزيون الصهيوني، إن (إسرائيل) أرسلت طبيبة خاصة إلى الأردن معها العلاج ضد السم، مما مكن من علاج مشعل، الذي بدا يتحسن فعلا بعد إعطائه العلاج اللازم حتى تشافى تماما.

و تسرب الكثير مما جرى في كواليس دهاليز الحدث، فمثلا صحيفة صاندي تايمز قالت إن الذين شاركوا في العملية هم ثمانية أشخاص، ينتمون إلى وحدة التصفية في الموساد والمسماة (مسفروت) وكانوا وصلوا عمان جوا وأربعة منهم يحملون جوازات سفر كندية وما تبقى، يحملون جوازات سفر أوروبية مختلفة، وأن اثنين منهم نزلا في فندق إنتركونتننتال في عمان.

و ذكرت صحيفة الإندبندت البريطانية أن (الإسرائيليين) بدأوا بالتحرك بعد فشل عملية الاغتيال التي وقعت يوم الخميس، وأنه في يوم الأحد التالي وصل إلى الأردن وفد (إسرائيلي) رفيع المستوى ضم بنيامين نتنياهو رئيس

الوزراء وإسحاق موردخاي وزير الحرب وآرييل شارون وزير البنى التحتية وسكرتير الحكومة داني نفي، ودافيد عبري مدير عام وزارة الحرب السابق، وأفرايم هليفي السفير (الإسرائيلي) لدى الاتحاد الأوروبي، والذي شغل في السابق نائب رئيس الموساد وقام بدور هام في المفاوضات السلمية مع الأردن،واستدعي هليفي من قبل نتنياهو لأنه يعتبر من المقربين للملك حسين في محاولة لإيجاد مخرج لفشل الموساد باغتيال مشعل.

و بعد نحو أسبوعين من الحادث نشرت صحيفة يديعوت أحرنوت العبرية (١٩٩٧/١٠/١٠) تقريرا لمحررها شمعون شيفر كشفت فيه تفاصيل ما حدث فعلا من محاولة اغتيال مشعل والتي انتهت بإنقاذ وإطلاق سراح ياسين وفضيحة مدوية للموساد الإسرائيلي .

أشارت الصحيفة إلى أنه في الساعة الثانية عشرة ظهرا وبعد أقل من ساعتين من وقوع حادث الاغتيال الفاشل، كان رئيس الوزراء الصهيوني نتنياهو، يقوم بزيارة روتينية إلى مقر الموساد، لشرب نخب العام العبري الجديد، وليلقي خطابا قصيرا في غرفة الطعام، كما يحدث عادة في هذا النوع من الزيارات الروتينية التي يقوم بها رؤساء الوزارات الصهيونية كل عام لمقر الموساد.

و لكن عندما وصل موكب نتنياهو إلى مقر الموساد، وجد مفاجأة في انتظاره، فرئيس الموساد داني ياتوم، وهو إرهابي محترف ارتبط اسمه بقتل أسيرين فلسطينيين بعد إلقاء القبض عليهما، الذي كان يقف في انتظار نتنياهو، طلب منه بعد أن نزل من سيارته أن يتحدث معه على انفراد، وقال له إن اثنين من رجال الموساد اعتقلا في الأردن قبل نحو ساعة من الآن بعد أن نفذا ما أوكل إليهما وأصابا خالد مشعل .

و بالطبع لم تكن مفاجأة سارة لنتنياهو، الذي دخل مع ياتوم إلى مكتب الأخير، وطلب إجراء مكالمة عاجلة مع الملك الأردني، الذي كان على الطرف الآخر من الخط بعد وقت قصير.

و لم يخبر نتنياهو الملك حسين عن ما حدث أو عن مطلبه ولكنه طلب منه أن يلتقي مع داني ياتوم في عمان، ووافق الملك على الالتقاء مع ياتوم،وربما كان الملك الذي عرفت أجهزته بالحدث بعد اعتقال رجلي الموساد، خمن مهمة ياتوم المفاجأة إلى عمان.

و أثناء استعداد ياتوم للسفر بعد تلك المكالمة، لحقه العقيد شمعون شبيرا نائب السكرتير العسكري لنتنياهو، وأخبره أن نتنياهو يطلب منه أن يأخذ معه الدواء الذي ينقذ حياة مشعل الذي لم يتبق له سوى ثماني ساعات ليعيش، وبعدها سيصل إلى مرحلة لا شفاء منها أبدا.

و فيما بعد فسر نتنياهو قراره بإرسال الدواء، بأنه أخذ هذا القرار على عاتقه،كي لا يعرض العلاقة مع الأردن للخطر ولإنقاذ رجلي الموساد المحتجزين في الأردن.

و بعد أن تحدث مع الملك حسين وأمر ياتوم بالسفر إلى عمان حضر الاحتفال الروتيني، كما هو مرتب مسبقا، ولكنه، بالطبع كان تفكيره منحصرا بتلك الفضيحة المدوية التي بدأ صداها يتردد في عمان ومنها إلى العواصم المختلفة.

أما داني ياتوم، فغادر مع أحد مساعديه على متن طائرة خاصة ووصل عمان، التي كان في استقباله في مطارها المستشار العسكري للملك حسين علي شكري، والذي صحبه فورا للقاء الملك وهناك وبدون مقدمات يخبر ياتوم الملك بما حدث من محاولة اغتيال مشعل، ويقدم ياتوم للملك المصل الشافي، وفي تلك الأثناء كانت ثلة من الجيش الأردني تأخذ مشعل من المستشفى الإسلامي حيث نقل إلى مدينة الحسين الطبية، لتوفير علاج أفضل والحفاظ على حياته وأمنه كما قيل، وفي ذلك المستشفى يحقن مشعل بمصل الموساد الشافي هذه المرة.

و استمر نتنياهو في برامجه المخصصة للاحتفال برأس السنة العبرية بينما كان يتلقى التقارير أولا بأول من الأردن، وهو يتنقل من احتفال إلى آخر، ويطلع وزير حربه إسحاق موردخاي وآرئيل شارون وزير البنى التحتية

وسكرتير الحكومة داني نفيه علـى حقيقـة مـا حـدث، ويصـدر أمـرا لـرئيس بعثـة الموسـاد في العاصمة الأمريكية واشنطن بالذهاب إلى نيويورك للقاء مع وزير الخارجية دافيد ليفي الذي كان يرأس وفد بلاده إلى اجتماعات الهيئة العامة للأمم المتحدة وإطلاعه على ما حدث.

و بعد ساعات يطلب نتنياهو من العقيد شمعون شبيرا نائب سكرتيره العسكري،الاتصال مـع أفرايم هليفي سفير (إسرائيل) لدى الاتحـاد الأوروبي،والمعـروف بعلاقاتـه الحسـنة مـع الملـك حسـين ، والطلب منه العودة على وجه السرعة إلى القدس، التي يصلها في اليوم التالي، ويتباحـث مـع نتنيـاهو في كيفية إرضاء الملك وتطمينه، وفي هذا الاجتماع يطرح هليفي فكرة الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وهو ما طرحه على الملك حسين بعد ساعات عندما التقاه في القصر الملكي.

و في هذه المرة كان الملك حسين الذي حافظ على صمته في لقائه مع ياتوم، يتحدث بأريحيـة مع صديقه هليفي ويعبر له عن مخاوفه وشكه فيما إذا كان المصل المضاد سينقذ حياة مشعل .واشـترط الملك حسين، لاستمرار الحوار مع (الإسرائيليين) أن يزودوه بتركيبة المادة السامة التي حقن فيها مشـعل .

و في التاسعة من مساء من نفس اليوم (الجمعة : ٩/٢٦) كان هليفي يقدم طلب الملك حـول الحصول على التركيبة الكيماوية لقـادة (إسرائيـل) في غرفـة المجلـس الـوزاري، في جلسـة وصـفت بأنهـا إحدى الجلسات العاصفة جدا في تاريخ (إسرائيل) .

و كما هو متوقع فإن الطلب الأردني جوبه بنقاش حاد، ولكـن في نهايـة الاجـتماع اتخـذ قـرار بإرسال هليفي مرة أخرى إلى الأردن ومعه خبير مهمتـه تقـديم شرح للملـك حسـين عـن تركيبـة السـم القاتل.

و هو ما حدث ويبدو أن ذلك كان له ثمن، وجزءا من الصفقة التي أريد لها أن ترضي الجميع وتقلل صدى الفضيحة، ففي صـباح الأحـد (٩/٢٨) توجـه موكـب مـن السـيارات المحصـنة مـن عـمان واجتازت الحدود دون أن يعترضها أحد، وفي إحدى السـيارات كـان هنـاك يجلـس هليفـي ومعـه ثلاثـة رجال وامرأة، هم

عملاء الموساد الذين هربوا إلى داخل السفارة الصهيونية في عمان بعد الحادث، وها هم وبعد موافقة الملك حسين في طريقهم إلى بيوتهم، خائبين.. !

و بالطبع الأمر لم ينته عند هذا الحد، فمشعل ما زال في المستشفى رغم التحسن الذي طرأ على صحته وما زال أيضا رجلا الموساد محتجزين لدى الأردن .

و هذا الجزء من القصة لا بد له من مفاوضات من نوع خاص، لذلك في الساعة الحادية عشرة من مساء الأحد (٩/٢٨) تغادر طائرة من مهبط الكنيست بالقدس إلى عمان وتقل على متنها: نتنياهو وإسحاق موردخاي وزير الحرب،وآرييل شارون وزير البنى التحتية، والسفير أفرايم هليفي، ومستشار وزير الحرب العميد يعقوب عميدور ونائب سكرتير نتنياهو العسكري العقيد شمعون شبيرا .

خروج الشيخ

في اليوم التالي الاثنين (٩/٢٩) يبدأ الصهاينة في التسريع في الصفقة الخروج سريعا من الفضيحة التي وصفتها وسائل الإعلام بأنها (الهدية) غير المنتظرة لنتنياهو الذي كان يأمل بالحصول على هدية بمناسبة رأس السنة العبرية ولكنه حصل (على العملية الأكثر غباء ورداءة في تاريخ الموساد) .

و في يوم الثلاثاء ٩/٣٠، وأثناء إلقائه لخطاب في مدينة الزرقاء أمام وحدات من جيشه، يطلب الملك، وبصورة فاجأت الرأي العام، الذي لم يكن يدري ما يدور في الخفاء، حتى أن الرقابة الصهيونية حذفت التقارير التي تحدثت عن صفقة من نوع ما بين الملك الأردني و(إسرائيل)، وتشددت الرقابة على برقيات وكالات الأنباء وعمدت إلى حذف أجزاء منها، يطلب الملك من (إسرائيل) الإفراج عن الشيخ الجليل أحمد ياسين .. !

و يوافق نتيناهو على (طلب) الملك حسين، ويتصل مع وزير الأمن الداخلي أفيغدور كهلاني الذي لم يكن يعرف تفاصيل التحركات في الأيام السابقة ويطلب منه الإفراج عن الشيخ ياسين لنقله إلى الأردن خلال ساعات، لأنه يريد أن يؤدي ذلك إلى الإفراج عن رجلي الموساد .

و يدخل السجانون إلى غرفة الشيخ ياسين ويطلبون منه ومن مرافقه الشاب الأسير رائد البلبول، الاستعداد للإفراج، وكانت، بالطبع مفاجأة غير متوقعة، ويتم نقل الإثنين إلى عمان بمروحية أرسلها الملك حسين ويتم إدخال الشيخ ياسين المقعد والذي يعاني من جملة أمراض إلى مدينة الحسين الطبية في عمان.

و أثار الإفراج عن الشيخ ياسين التكهنات حول وجود صفقة فيما يتعلق بالإفراج عن عميلي الموساد المحتجزين لدى الأردن .وكتبت الصحف وتحدثت وسائل الإعلام عن ما وصلها من معلومات عن المفاوضات بين الملك الأردني و(إسرائيل) للخروج من هذه الفضيحة المدوية.

وصاحب الإفراج عن زعيم حماس المسن والذي يعاني من إعاقات دائمة، بعد رفض (إسرائيلي) متكرر للإفراج عنه، ردود فعل واسعة لدى أوساط عديدة .

و أول ردود الفعل هذه، إذا جازت التسمية على ما أقدم عليه الرئيس الصهيوني عيزر وايزمن، جاءت من (إسرائيل) نفسها، وترافقت مع قرار الإفراج عن الشيخ ياسين .ففي (إسرائيل) وبعد ساعات من الإفراج عن الشيخ ياسين، كان اثنان من الإرهابيين اليهود هما : زئيف ولف وغيرشون أرشكوفيتش يطلق سراحهما بقرار من الرئيس (الإسرائيلي)، وكان حكم على الإثنين في تموز ١٩٩٣ بالسجن عشر سنوات لكل منهما بعد إدانتهما بإلقاء قنابل يدوية على أحد أسواق القدس العربية مما أدى إلى قتل تاجر فلسطيني .

و لم يكتف وايزمن بذلك بل أصدر قرارا بتخفيض عقوبة أربعة إرهابيين آخرين، وهم يورام سكولنيك المدان بقتل أسير فلسطيني وخفف حكمه من المؤبد إلى ١٥ عاما، وخفف حكم الإرهابي نير عفروني المدان بقتل عامل فلسطيني من ٢٢ عاما إلى ١٥ عاما، وخفف الحكم الصادر على الإرهابي إيلي فعنونو شريك عفروني بقتل العامل الفلسطيني من ٢٢ عاما إلى ١٥ عاما، وشمل تخفيف الأحكام إرهابي آخر هو ناخشون وولف المدان بقتل فلسطينية من الخليل قرب مستوطنة كريات أربع، وذلك من ١٥ عاما إلى ١٢ عاما.

و حاولت الأوساط الحكومية الصهيونية عدم الربط بين هذه القرارات والإفـراج عـن ياسـين، وقال آريه شومر السكرتير الصحافي لوايزمن إن هذه القرارات اتخذت قبل ثلاثة أشهر من الإفراج الـذي تم بمناسبة رأس السنة العبرية الجديدة .

و بررت (إسرائيل) إطلاق سراح ياسين لأسباب صحية واسـتجابة لنـداء الملـك حسـين بـإطلاق سراحه، وتطوع الناطق بلسان جيش الاحتلال ليقدم تقريـرا عـن حالـة الشـيخ ياسـين، قـائلا إنـه يعـاني ضعفا شديدا في البصر والتهابات داخلية ومشكلات مزمنة في التنفس وتدهورا عضليا.. !

و عبرت الأوساط الفلسطينية جميعهـا عـن فرحتهـا بـإطلاق سراح ياسـين مـع تحفظهـا عـلى إبعاده إلى الأردن، ومنها رئيس السلطة ياسر عرفات الذي كان يؤكد دائما في خطاباته على أهمية إطلاق سراح الشيخ ياسين،وفي إحدى المرات وردا على سؤال وجهته له، قال إن مسألة الإفراج عن الشيخ ياسـين أمر متفق عليه مع (الإسرائيليين) وأنهم يجب أن ينفذوا ما التزموا بـه بهـذا الشـأن، وهـو لم يحـدث إلا بعد فضيحة الموساد في عمان.

قال عرفات إنه سعيد لإطلاق سراح أخيـه وزميـل دراسـته الشـيخ ياسـين، ورأى في ذلـك أمـرا يبعث على الثقة بالنفس وعبر عن أمله بأن يكون ذلك فاتحة للإفراج عن بقية الأسرى، وفيما بعـد طـار عرفات إلى عمان والتقى الشيخ ياسين .

ووجه المجلس التشريعي الفلسطيني الذي كان يعقد جلسة له في مدينة رام اللــه في ١٠/١/ التحية لزعيم حماس الذي "كانت مسألة الإفراج عنـه عـلى جـدول أولويـات الـرئيس عرفـات والسـلطة الوطنية"، معتبرا أنه كان يجب عـلى (إسرائيـل) إطـلاق سراحـه قبـل وقـت طويـل مـن ذلـك، اسـتجابة للاتفاقيات بين الجانبين الفلسطيني (الإسرائـيلي) بخصـوص إطـلاق سراح الأسرى المـرضى وكبـار السـن، وكذلك استجابة لاتفاق بين أجهزة الجانبين الأمنية تضمن الإفراج عن ياسـين مقابـل الكشـف عـن جثـة جندي (إسرائيلي) كان اختطف وقتل في غزة.

و رحبت حماس بالإفراج عن زعيمها وكذلك فعلت أسرة الشيخ ياسين، لكنهم جميعا لم يستوعبوا فرضية أن يبقى ياسين في الإبعاد خصوصا وأنه كان رفض سابقا إفراجا مشروطا عنه مقابل موافقته على إبعاده.

و أكد محمد نزال ممثل حماس في الأردن أنه تم تلقي تأكيدات شخصية من الملك حسين حول عودة الشيخ ياسين إلى غزة بعد انتهاء علاجه.

و سارع الملك حسين وأخذ المبادرة من جديد واتصل بنفسه مع زعماء حماس في غزة الذين قادوا المعارضة ضد ما وصف بأنه إبعاد لياسين إلى الأردن، وطمأنهم أنه بإمكان ياسين العودة متى يشاء إلى غزة.

و قال إن ياسين الآن في وطنه الثاني بين أهله، وأعرب عن أمله (في أن يكون هذا الإجراء "الإسرائيلي" بداية خطوة من خطوات لاحقة على كل الأصعدة على طريق السلام العادل والمشرف)...

وعاد الشيخ ياسين إلى غزة في ١٠/٦ على متن مروحية، وجرى له استقبال رسمي وشعبي وسط اهتمام إعلامي كبير .وتكرس أحمد ياسين زعيما عربيا وإسلاميا، عندما قام بعد مكوثه قليلا في الأردن في المستشفى، والاهتمام الإعلامي الكبير به، وعودته إلى غزة، بجولة شملت دولا عربية عدة استقبل فيها من كبار المسؤولين وعومل تقريبا معاملة الرؤساء، وهو ما رجح تكهنات حول زعامة ياسين ودوره المستقبلي في فلسطين، وإمكانية أن يشكل بديلا لزعامة عرفات.

و لكن ذلك لم يحدث، واحتفظ ياسين بصفته رمزا وطنيا كبيرا، وصوت المعارضة الأبرز، وضمير المقاومة المستمرة على أرض فلسطين.

لعنة مشعل

أثارت عملية فشل اغتيال مشعل وتوابعها، نقاشا حادا في (إسرائيل) حول ما وصف بأنه أكبر فشل لجهاز الموساد (الإسرائيلي) .وفي البداية حاولت الرقابة الصهيونية فرض حظر على نشر بعض فصول تلك العملية الفاشلة، وفي إجراء ليس كثير الحدوث حذفت الرقابة الصهيونية أجزاء من تقرير لوكالة رويترز

تحدث فيه محللون صهاينة معتبرين أن ما حدث في عمان في ٩/٢٥ هو (أسوأ خطأ في تاريخ عمليات الموساد) .

و اعتبر زئيف شيف أحد أبرز المعلقين الصهاينة العسكريين أن قضية محاولة اغتيال مشعل في عمان تشكل (ضررا استراتيجيا خطيرا وإحدى أهم العمليات الميدانية الفاشلة التي نفذها جهاز المخابرات "الإسرائيلي").

و لخص شيف الأضرار الناتجة عن العملية في تعليقه بجريدة هآرتس العبرية يوم ١٩٧٩/١٠/٥ بما يلي :٠ضرر في العلاقات مع الأردن والملك حسين، وهو ضرر ينطوي على مغزى استراتيجي، مشبها ما حدث في اختيار عمان بالقيام بعملية من هذا النوع، كاختيار واشنطن للقيام بهذا العمل .. !٠

و ضرر في مكافحة ما اعتبره الإرهاب، معتبرا أن هذا الفشل سيحث بالتأكيد (النشاطات "الإرهابية" ضد "إسرائيل"، وسيثقل أكثر فأكثر على السلطة الفلسطينية للتعاون مع "إسرائيل" في حربها ضد حماس، والضرر في مكافحة "الإرهاب" يعبر عن نفسه أيضا بضرورة الإفراج عن سجناء حماس من السجن، وكان رئيس الحكومة قد قال للأمريكيين حول الإفراج عن الشيخ ياسين قبل وقت، إن الإفراج عنه يتسبب في وقوع أضرار بالغة على أمن "إسرائيل") ٠المس بهيبة الموساد، معتبرا أن فشل العملية سيؤدي إلى زعزعة الموساد والمس بهيبته ومكانته، وإلى ضرر ناتج عن الكشف أمام الأردنيين وعبرهم لأوساط أخرى لم يسميها شيف، عن السم القاتل، وهو الوسيلة الفنية الذي استخدم في عملية الاغتيال.

و تساءل شيف عن المسؤول عن اتخاذ القرار بالعملية ؟ ومن من الوزراء شارك في اتخاذ القرار، معتبرا أن رئيس الحكومة هو الذي تقع عليه المسؤولية الاستراتيجية في المصادقة على مثل هذا القرار الذي لم تكن في صورته كل أذرع أجهزة الأمن مثل الشاباك أو جهاز الاستخبارات العسكرية (حيث أصيبت هذه الأجهزة بهول المفاجأة) حسب ما كتب شيف.

و وجهت المعارضة والصحافة انتقادات لاذعة لنتنياهو الذي وجد نفسه في محل دفاع طوال الوقت، وجاءت السهام من كل اتجاه، حتى أن مستشاره السابق لشؤون الإعلام إيال آراد قال إن نتنياهو (وقع في فخ قراراته) ..

و تحدث إيهود باراك زعيم حزب العمل المعارض والعسكري المحترف السابق وصاحب السجل الحافل في العمليات الخارجية قائلا إن (أيا من رؤساء الحكومات الأربع الذين عملت معهم : مناحيم بيغن، إسحاق شامير، إسحاق رابين، شمعون بيرس، لم يكن ليعطي الضوء الأخضر لعملية من هذا النوع في الأردن، البلد الذي يكافح "الإرهاب") .

و لم تكن الضجة في الصحافة الصهيونية حول مبدأ استهداف (الإرهابيين) بل للأضرار التي نتجت عن العملية .وشاركت الصحف الأجنبية في الحملة أيضا، وذكرت صحيفة الصاندي تايمز البريطانية أن أجهزة المخابرات (الإسرائيلية) حاولت ردع نتنياهو عن ارتكاب عملية اغتيال مشعل في عمان.

و سربت مصادر صهيونية معلومات للصحيفة البريطانية مفادها أن داني ياتوم رئيس الموساد كان عقد اجتماعا مع نتنياهو قبل الحادث بـ ١٢ يوما، وصف بأنه اجتماع عاصف حول الموضوع، وأن نتنياهو الذي تأثرت مكانته من العمليات الاستشهادية التي هزت (إسرائيل) إبان حكمه، طلب قتل أي مسؤول من حماس في عمان انتقاما لتلك العمليات، وأن ذلك لقي معارضة من ياتوم، لأن ذلك برأيه سيحمل مخاطر تدمير عمل عملاء الموساد في عمان الذين يجمعون معلومات (ثمينة عن سوريا والعراق و"المتطرفين" الفلسطينيين.

و شبه التلفزيون العبري فشل عملية اغتيال مشعل بما حدث عام ١٩٧٣ في ليلهامر في النرويج عندما تم قتل النادل المغربي بوشيكي ظنا من عملاء الموساد بأنه أبو حسن سلامة.

و انضم مسؤولون حكوميون صهاينة للمعارضة في التساؤل عن نتائج العملية، وأمام هذا الجو العدائي لنتنياهو، تحدثت مصادر صحافية عالمية أنه طلب مساعدة الأخصائي الأمريكي في شؤون الإعلام ووسائل الاتصال آرثر

فينكلشاين الذي كان نظم حملته الانتخابية لرئاسة الوزراء في (إسرائيل) في عام ١٩٩٦. ودعا نتنياهو زعيم المعارضة اليساري إيهود باراك (للتشاور).

و بدأ نتنياهو حملة لتبرير العملية، وقال مستشاره دافيد بار إيلان إن ("الإسرائيليين" سيواصلون محاربة "الإرهاب" أينما كان، ويمكن لـ "إسرائيل" أن تصل لـ "الإرهابيين" أينما وجدوا)، معتبرا أن مشعل ليس زعيما سياسيا لحماس فقط لكنه (محرك جناحها العسكري)، وأن المعركة مع ("الإرهاب" هي عملية مستمرة، أحيانا ننجح وأحيانا نفشل، ولكن ذلك لن يؤدي بنا لإعادة النظر في سياستنا).

و أصدرت الحكومة الصهيونية بيانا قالت فيه إنها لا ترغب في التعليق على الاعتداء على حياة خالد مشعل، الذي تعتبره مسؤولا عن مقتل مدنيين "إسرائيليين"، ولكنها تعتبر نفسها مسؤولة عن (حماية حياة مواطنيها ومكافحة "الإرهاب" بلا هوادة) .

و تحدث داني نفي سكرتير الحكومة في ختام اجتماع للمجلس الوزاري المصغر (١٠/٥) معتبرا أن الانتقادات الموجهة لنتنياهو وحكومته، ناجمة (عن دوافع سياسية وحزبية وهي تهم باطلة) .ورفض نفي أو تأكيد اشتراك (إسرائيل) في عملية اغتيال مشعل الفاشلة، محاولا إبعاد الكرة عن ملعب حكومته بالقول إن (القرارات في "إسرائيل" تتخذ بالتشاور بين أجهزة الاستخبارات والأجهزة الأمنية المعنية، ولا تعطي الحكومة موافقتها إلا بعد المشاورات).

و ربما كان (داني نفي) بقوله هذا يستشعر اتجاه النقاشات الذي ستأخذها القضية، أو الذي بدأ فعلا بعد تفجرها، والحديث عن إمكانية أن يكون داني ياتوم (كبش محرقة) للعملية الفاشلة، ولذا طالبت أوساط بالاطلاع على محضر الاجتماع الذي قيل إنه جمع بين نتنياهو وياتوم قبل ١٢ يوما من الحادث، وهنا يمكن الإشارة إلى ما قالته الإذاعة الصهيونية، إن المحادثات بين رئيس الوزراء (الإسرائيلي) وأجهزة المخابرات تسجل بانتظام منذ عام ١٩٦٦، وتم إرساء ذلك كقاعدة بعد قضية خطف وقتل المعارض المغربي المهدي بن بركة، الذي شارك الموساد بقتله مع الأجهزة المغربية والفرنسية.

و كان اشتراك الموساد في عملية الخطف والقتل تسبب في أزمة بـين رئـيس الـوزراء الصـهيوني ليفي أشكول، الضعيف كما نظرت له المؤسسة الأمنية على الدوام، والتي فرضت عليه شروطها في حـرب حزيران ١٩٦٧، وبين رئيس الموساد مائيرياميت، وأعلن أشـكول حينهـا أنـه لم يعـط موافقتـه أبـدا عـلى اشتراك الموساد في عملية بن بركة.

المهم أن تسجيل المحادثات أصبح قاعدة لتحديد مسؤولية كـل طـرف، وعقـدت لجنـة رقابـة برلمانية على الأجهزة الأمنية اجتماعا لها لبحث المسألة، وكان آخر اجتماع لها عام ١٩٨٥ بعد الإعلان عن القبض على الجاسوس الصهيوني جونثان بولارد في البحرية الأمريكية.

و في النهاية قدم ياتوم استقالته، بعد عملية فاشلة أخرى للموساد في سويسرا، والتـي أعقبتهـا سلسلة عمليات فاشلة أيضا، حتى اصطلح على أن (لعنة مشعل) تلاحق الموساد.

و لم ينته النقاش، عـلى الأقـل في (إسرائيـل)، حـول فشـل عمليـة مشـعل والعمليـات الأخـرى اللاحقة، حتى الآن.. ! وبعد نحو ثلاثة أعوام خرج أحد منفذي العمليـة عـن صـمته ليتحـدث لصـحيفة معاريف العبرية (٢٠٠٠/٥/١٨)، وعزا موشيه بن دافيد أحد كبـار المسـؤولين في قسـم العمليـات التـابع للموساد حتى قبل إدلائه بالحديث بعـدة أشـهر، فشـل العمليـة لعـدة أسـباب: منهـا حسـب قولـه إن العملية نفذت في ساحة ليس للموساد عهد بها، لأنه كما قال إن إسحاق رابـين رئـيس الـوزراء السـابق، حظر على الموساد العمل في الأردن بعد عملية توقيع اتفاقية السلام، وهذا كلام غير مقنع تنفيه تجـارب الموساد السابقة في دول أكثر من صديقة كأمريكا مثلا وفضيحة الجاسوس بولارد وزوجته، إضـافة إلى أن الدول تمارس الأعمال الاستخبارية سواء كانت في حالة السلم أو حالة الحرب، وأن نتنياهو أجـبرهم عـلى إتباع أسلوب أيضا غير معهود، لأنه لم يرغب بحدوث انفجار أو إطلاق نار في الشارع وإجمالا كـان يريـد عملية هادئة، وأيضا بسبب ما وصفه بالسرعة.

و قال بن دافيد للصحيفة العبرية: (بعد العملية الأولى في القدس، في سوق محنية يهودا في آب ١٩٩٧، طالب رئيس الحكومة بضرب هدف لحركة حماس، وأعلنت المخابرات العامة – الشاباك – والاستخبارات العسكرية عن عدم وجود أهداف لديهما، ولهذا استدعونا، واقترحنا عدة أهداف، ولم يكن خالد مشعل هدفنا الأول أو الثاني ولا حتى الثالث، ومجمل هذه العوامل إضافة للضغط الزمني الذي كان كبيرا جدا، إلى درجة عدم تمكننا حتى من إعداد طريق هروب، هو الذي أدى إلى النتيجة السيئة).

و بدا كأن بن دفيد يصفي الحسابات مع المؤسسة السياسة التي تخلت، بتصرفاتها عن الأمنيين، ويشير بخيبة أمل إلى تصرفات إسحاق موردخاي وزير الحرب وقتها، الذي ادعى أنه لم يسمع عن القضية إلا في وقت لاحق، مع أنه كان يعرف.

و وجه بن دافيد الحاصل على شهادة دكتوراة في الآداب، انتقاداته إلى نتنياهو الذي (مارس ضغوطا مكثفة علينا للقيام بالعملية بسرعة، ولم أستوعب ولا أستوعب حتى الآن ما الذي كان يستهدف تحقيقه من هذه العملية لا سيما وأنه طالب بعملية اغتيال هادئة).

و الغريب أن هذا الكلام أتى من بن ديفيد الذي اهتمت به الصحف العبرية، بعد أن أصدر عن منشورات معاريف كتابه (الإمكانيات المحدودة) عن فترة عمله بالموساد، ووجه الغرابة، أن بن ديفيد هو من عرض على المستوى السياسي خطة اغتيال مشعل.

و حيى بن دافيد الذي خدم في منصب رفيع في وحدة قيسارية، وهي وحدة الاغتيالات في الموساد، قبل استقالته وعودته للعمل الأكاديمي، داني ياتوم، ومعلنا أسفه لاستقالته من رئاسة الموساد، مشيرا إلى عدم تدخله النهائي في العملية الفاشلة في سويسرا ولكنه قرر تحمل المسؤولية عنها .وحاول تبرير الفشل كما ذكرنا ما قاله لصحيفة معاريف وما كرره أيضا في حديثه لصحيفة هآرتس (٢٠٠٠/٥/١٩) .

و قدمت هآرتس تعريفا لافتا بابن ديفيد، اليهودي من أصل روسي الذي ولد في بداية الخمسينات من القرن العشرين، في مستوطنة (غبعات شموئيل) لأب عسكري، ولأم تعمل في الترجمة والتحليل اللغوي، والتي حرصت على التحدث معه بالروسية، لذلك كانت اللغة الروسية، لغته الأولى قبل العبرية، وخلال خدمته في الجيش شارك في تأسيس شعبة للناطقين بالروسية في الوحدة (٨٢٠٠) وهي وحدة التنصت التابعة لقسم الاستخبارات العسكرية في الجيش (الإسرائيلي)، وكان الوقت الذي أنشئت فيه تلك الشعبة متزامنا مع ما عرف بجرب الاستنزاف، حيث وجدت على الجبهتين المصرية والسورية أعداد من الخبراء السوفييت .

و بعد خدمته في الجيش في المجال الاستخباري، وهي خدمة متنوعة أضافت له تجارب غنية، عمل في وحدة التصفية في الموساد التي تطلق عليها وسائل الإعلام اسم قيسارية، والتي كتب عنها عميل الموساد السابق فيكتور أستروفسكي، صاحب كتاب (بطريق الخداع) وهي وحدة محاطة بالغموض الشديد، وبن ديفيد هو الأول من هذه الوحدة التي يتحدث علنا عن نشاطاته، ومن مهام هذه الوحدة التعقب والتخطيط واقتحام المنازل والسفارات وزرع أجهزة التنصت والتصفية، ومهمة الاغتيال والتصفية تتولاها وحدة أصغر في قيسارية، يقوم أفرادها الذين لا يعرفون بعضهم البعض إلا بالأسماء المستعارة، ولم يشأ بن ديفيد الحديث عن هذه الوحدة .

و ردا على سؤال لصحيفة هآرتس العبرية، عن اختيار نتنياهو لمشعل، رغم أن أجهزة المخابرات لم تتمكن من إثبات الصلة بينه وبين (الإرهاب)، قال بن ديفيد، ربما دون أن يرمش له جفن (من حق رئيس الوزراء أن يقرر بأن رئيس المكتب السياسي لحماس، الذي ربما لا يكون على علم من وجهة نظري عن الهجمات المحددة لكنه نقل بالتأكيد الرسائل والتوجيهات لكتائب عز الدين القسام حيث يجب وحيث لا يجب العمل).

و جاءت العملية الاستشهادية بالقدس الغربية لتعجل بطلب نتنياهو الذي أراد اغتيال مشعل دون أن يكون هناك إشارة إلى وقوف (إسرائيل) وراء ذلك، وهو أمر غريب حقا، علق بن ديفيد عليه بأنه في هذه الحالة فإن عامل الردع لا يكون له أي دور، وفي حالة كانت (إسرائيل)، من جهة أخرى تريد أن تتبنى عملية التصفية لمشعل، لو نجحت، فإنه أمر غريب أيضا نظرا للحساسيات التي سيثيرها التبني العلني للعملية في الأردن.

و في حديثه لهآرتس العبرية، كرر غضبه على السياسيين، ومن بينهم نتنياهو وموردخاي وتساءل كيف يمكن لإسحق موردخاي الادعاء بأنه سمع عن الموضوع فيما بعد ؟

و روى بن ديفيد : (لقد تم الحديث بحضور موردخاي، فقط عن تصفية فورية لخالد مشعل في الأردن، لقد فهم بالضبط ما تحدثنا عنه، وعند خروجنا من مكتب رئيس الوزراء، التقينا بالجنرال موشية يعلون، رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية في حينه، حيث قام رئيس الموساد داني ياتوم بإطلاعه ووضعه في صورة الموضوع بأكمله، وبعد ذلك تنصلوا جميعا من معرفتهم بالأمر) .

و تطرق بن دافيد إلى وجود أشخاص (غير مخلصين) في الموساد ومن بينهم يهودا غيل الذي أدين باختلاس أموال من الموساد وتضليل (إسرائيل) بشأن سوريا بعد تقديمه لتقارير كاذبة صاغها بنفسه مدعيا أنها من مصادر عليا في سوريا .

و قال بن ديفيد عن يهودا غيل وهو (الموجه الرئيسي في الفصل التدريبي الأول لي بالموساد، وكان بإمكان الجميع أن يدرك على الفور أن هناك شيء غير صحيح لديه، ويوجد شخص مثله في كل جهاز استخباري، وأشعر بالسرور لوجود أشخاص في الموساد يؤمنون اليوم بضرورة تجنيد أشخاص عقائديين ومستقيمين ومن ثم تعليمهم الكذب والخداع وليس تجنيد عناصر ذوي نفسية إجرامية وللأسف ما زالت هذه التوجهات غير سائدة في الموساد) .

و سجل بن ديفيد ملاحظة هامة (عندما نقلت بعد الفصل الدراسي لمجال العمليات وبعد الاطلاع على ثلاث عمليات كان يجري الإعداد لتنفيذها خلال الأشهر المقبلة، شعرت بأسف كبير إلى درجة البكاء، ولم تكن لهذه العمليات علاقة بالأمور التي درسناها بالفصل وتجاوز هذا لدي كافة ما يمكن تخيله) .

و لم يكشف بن دافيد عن تلك العمليات التي يقصدها، ولكن حدثت عمليات مشابهة لها، من حيث فشلها المحقق، عملية مشعل في عمان وعمليتي الموساد في قبرص وسويسرا وفضيحة يهودا غيل بشأن التقارير الكاذبة حول سوريا، وفي الفضائح الثلاث الأولى تم اعتقال بعض عملاء الموساد في الدول الثلاثة تلك، أما جيل فأودع السجن الصهيوني، وكانت فضائح مدوية، فقد كانت لعنة مشعل تلاحق (إسرائيل) وجهاز الموساد.. !

وسقط المستر موساد.. !

بعد الفشل المدوي لعملية اغتيال مشعل في عمان، يبدو أن داني ياتوم رئيس الموساد الذي عينه إسحاق رابين، رئيسا للموساد من خارج صفوفه حيث جاء به من الشاباك، أراد أن يمحو ذلك الفشل المزري، أو يخفف من وقعه بعمليات أخرى للموساد في الخارج ولكن وجد نفسه يتورط في فضيحة أخرى في سويسرا اضطر بعدها للاستقالة، رغم أن أصدقاءه مثل بن دافيد قال بعد خروجه من الموساد إن ياتوم لم يكن له علاقة بعملية سويسرا وهو أمر غريب، ففي النهاية يتحمل رئيس الموساد مسؤولية الأعمال التي يقوم بها جهازه.

بعد نحو خمسة أشهر من فشل عملية اغتيال مشعل، وفي شباط عام ١٩٩٨م، دخلت مجموعة من عملاء الموساد إلى المبنى رقم ٢٧ من شارع فابر ساكر في بلدة ليبيفيلد بالقرب من مدينة كونيتس في مقاطعة بيرن، الذي يقطن فيه مواطن سويسري من أصل لبناني يدعى عبد اللـه الزين، والنزول إلى أسفل المبنى لفحص إمكانية زرع أجهزة تنصت على هاتفه، باعتباره أحد مناصري حزب اللـه في لبنان.

و كان عميل للموساد في لبنان أخبر رؤساءه أن المواطن اللبناني المغترب عبد الله الزين، الذي عاد في زيارة إلى بلاده التقى بمسؤولين في حزب الله واجتمع معهم في بيروت، قبل أن يتوجه إلى قريته الجنوبية ليلتقي بعائلته .ورصد عميل الموساد، الزين وهو عائد إلى سويسرا حيث يقيم، عناصر من حزب الله رافقته حتى مطار بيروت .

و تستنتج عدة مصادر مهتمة بأن الموساد كان يبحث عن عملية تعيد صورته الأولى أمام الرأي العام وتنقذ مديره داني ياتوم من الإقالة بعد فشل محاولة اغتيال مشعل .وحسب ما سربه جهاز الموساد نفسه فإن الزين كان يجمع التبرعات لحزب الله من أغنياء الشيعة في أوروبا .

و طارد رجال الموساد، بناء على أوامر ومتابعة ياتوم، الزين في عدة مدن أوروبية، حتى عثروا عليه في بلدة ليبلفيد، وتم استئجار بيت سري يقيم فيه رجال الموساد على مقربة من بيت الزين، لتبدأ فصول عملية فشل جديدة للموساد .

كثف رجال الموساد من مراقبة الزين بينما تابع ياتوم التخطيط لعمليته، وحسب الصحافي غوردون طوماس فإن ياتوم "أرسل خبيرا بالاتصالات إلى ليبليفد لفحص صندوق الوصل الهاتفي، فالتقط مجموعة من الصور للقسم الداخلي وعاد بها إلى تل أبيب حيث تولى درسها قسم الأبحاث والتطوير، وتبعا لذلك أدخلت تعديلات على الأدوات قيد التحضير، كان بين هذه الأدوات جهاز صغير متطور يمكن من مراقبة جميع المكالمات في شقة الزين، وقد ربط هذا الجهاز بآلة تسجيل ضئيلة الحجم تختزن ساعات من المكالمات الهاتفية، وكان لآلة التسجيل قدرة ذاتية على التفريغ الإلكتروني بإشارة معدة مسبقا تأتيها من البيت السري، وهناك في هذا البيت يجري نقل فحوى المكالمات خطيا وترسل إلى تل أبيب عبر جهاز فاكسميلي سري".

و في ليلة ١٩٩٨/٢/١٩، تحرك خمسة من عملاء الموساد لتنفيذ المهمة، نزل إلى أسفل المبنى ثلاثة من العملاء: رجلان وامرأة، وبقي اثنان يقومان

بمهمة الحراسة في الخارج، وبدأ الثلاثة ينفذون مهمتهم وهي وضع جهاز تنصت على هـاتف عبد اللـه الزين، وفي أثناء ذلك وصلت السرداب تحت المبنى سيارة شرطة استدعتها إحدى النساء التي استرعى انتباهها حركة غير عادية أسفل المنـزل، وضبط الشرط عمـلاء الموسـاد الثلاثـة، وزعـم العمـلاء الثلاثة: الرجلان والمرأة، أنهم ليسوا إلا سياحا قدموا من (إسرائيل) واختاروا هذا المكان لممارسـة الجـنس بشكل جماعي بعيدا عن الأعين، ولكن رجال الشرطة لاحظوا سلكا مشبوكا في الحقيبة الدبلوماسـية مـع العملاء، فتم إلقاء القبض على العملاء الخمسة، الذين نجح أربعة منهم بـالهروب بطريقـة غريبـة، عـن طريق الادعاء بالمرض والهروب من المستشـفى، ولا يسـتبعد أن يكـون تـم ذلـك بتعـاون بـين الموسـاد والمخـابرات السويسريـة أو مـن تـدبير الموسـاد لوحـده، ولم يقـم المـدعي العـام الاتحـادي في سويسرـا بالتحقيق في هروب العملاء الأربعة، بينما بقـي في حـوزة الأمـن السويسريـ عميـل واحـد، كـان يحمـل جوازي سفر (إسرائيليين) غير مزيفين اسمه في الجواز الأول : إسحاق بنتال، وفي الثاني يعقوب تراك، وتـم إطلاق سراحه بكفالة في أواخر نيسان ١٩٩٨، قيمتها ثلاثة ملايين فرانك دفعتها الحكومـة (الإسرائيليـة)، مـع تعهـد (إسرائـيلي) بعودتـه لمحاكمتـه، قدمـه المستشـار القـانوني للحكومـة (الإسرائيليـة) إليكـيم روبنشتاين، وفعـلا عـاد في بدايـة شـهر تمـوز ٢٠٠٠، ليحضرـ جلسـات المحكمـة في محكمـة العقوبـات الاتحادية في لوزان .

و بالطبع كان أول إجراء اتخذه القاضي هو التأكد إذا ما كان (السـيد موسـاد) غـير المعـروف اسمه الحقيقي الماثل أمام المحكمة هو نفسه المتهم الذي أفـرج عنـه بالكفالـة، وتـم التأكـد مـن ذلـك بشهادة اثنين من رجال الشرطة كانا مكلفين بمراقبة العميل مجهول الهوية.

و نقلت وكالة "قدس برس" وقائع المحكمة بقلم مراسلها حسام شاكر، والتـي ابتـدأت بتقـدم أحد محامي المتهم طالبا بعدم الإفصاح عن الاسم الحقيقي لموكلـه خوفـا مـن تعرضـه أو أحـد أقربائـه لاعتداء، حسب زعمه، وزاد على ذلك بالقول إنه شخصيا لا يعرف الهوية الحقيقيـة لموكلـه، وكـان ذلـك بالطبع مدهشا، ولكن من أجل عيون الموساد، يمكن أن لا يصبح كذلك.

و بعد هذه المفاجأة، أبرز محامي الدفاع وثيقة غريبة، وهي عبارة عن تعهد صادر عن الادعاء العام (الإسرائيلي) يتضمن تعهدا بعدم تكليف هذا العميل الذي يقف في قفص الاتهام في لوزان، بأية عملية للموساد في سويسرا مستقبلا.. !، وبصريح العبارة هي رسالة للقضاة بأنه (عفا الله عما سلف، ونفتح صفحة جديدة).

و دافع المتهم عن نفسه، بدون أن ينكر علاقته بالموساد، الذي لم يمارس عليه أية ضغوط أثناء خدمته وأنه قام بالمهمة الموكلة له لأسباب أيديولوجية، وقام بالمهمة دون يشارك في التخطيط لها، وقال إن اللبناني عبد الله الزين المستهدف بالتنصت على هواتفه يدير مركزا تابعا لمنظمة (إرهابية)، ويقصد بذلك بالطبع حزب الله اللبناني الذي كان يخوض حرب استنزاف في جنوب لبنان، أجبرت جيش الاحتلال في النهاية على انسحاب مذل منه.

و في اليوم الثاني من المحكمة (٢٠٠٠/٧/٤) استمعت المحكمة إلى أربعة شهود، وتأكدوا من أقوالهم ومن الإثباتات التي بحوزة المحكمة عن فريق عمل الموساد، ولم يحاول المتهم نفسه نفي شيء مما وجه إليه .

و من بين الذين استمعت المحكمة إليهم في هذا اليوم هو عبد الله الزين نفسه، الذي قال إنه يدير مؤسسة آل البيت الإسلامية الشيعية في مدينة برن، والتي تنشط في المجال الديني والرياضي والاجتماعي، وليست لها أية نشاطات سياسية.

و من المدهش، في هذا اليوم هو ما قاله خبير "الإرهاب" المنتدب من الشرطة الاتحادية السويسرية، الذي أكد عدم وجود أدلة على أن المركز الذي يديره عبد الله الزين، قام بنشاطات غير مشروعة، ولكنه من جانب آخر، وهنا مثار الدهشة، أبدى تفهمه لما قام به عملاء الموساد، رغم استيائه أن الموساد قرر القيام بتلك العملية دون مساعدة الأجهزة السويسرية، ومرة أخرى هذا لا يحدث إلا من أجل عيون الموساد.. !

و قدم خبير آخر لدى الشرطة الاتحادية، مواد الإدانة، وهي الشريحة الخشبية التي كان يحاول فريق الموساد وصلها بخط هاتف عبد الله الزين، وتبين

أن هذه الشريحة فيها علبة إلكترونية لم تفتح حتى تبقى تعمل لموعد المحكمة،وكذلك هناك مصدر للتزويد بالطاقة الكهربائية يكفي لعدة أشهر، وأيضا هناك هاتف نقال يعمل بنظام الكرت المدفوع مسبقا، ولو تمكن عملاء الموساد من تثبيت تلك الشريحة الخشبية مع خط الهاتف الخاص بعبد اللـه الزين، لاستطاعوا الاستماع إلى المكالمات الواردة أو الصادرة عن جهاز هاتفه بحرية تامة، وتسجيل المكالمات بعد تحويلها إلى أي مكان يريدونه.و للتحكم بالطاقة الموجودة في جهاز الهاتف النقال، وضعت ساعة تستطيع تشغيل الهاتف النقال في ساعات محددة، أو إيقافه عن العمل في ساعات أخرى، وتحويل التنصت من الهاتف النقال إلى هواتف أخرى .

و في يوم المحكمة الثالث (٧/٥) طالب فيليكس بينتسيغر، نائب رئيس الادعاء الاتحادي السويسري، بإصدار حكم على المتهم لمدة ١٥ شهرا ومنعه من دخول سويسرا لمدة ١٠ سنوات وفرض غرامة عليه بنحو ثلاثة آلاف دولار، ذلك لاتهامه بالقيام بمهمة تجسسية لصالح (إسرائيل)، ومحاولة التنصت على هاتف سويسري، وتزوير أوراق ثبوتية، وهي هنا حمل جوازات سفر أصلية ولكن بأسماء مستعارة.

و اعتبر نائب رئيس الادعاء العام،عملية الموساد تعديا على سيادة سويسرا، وأشار إلى أن حكومة (إسرائيل) لم تكن مضطرة لتنفيذ العملية، وسخر، كما يجب أن يفعل أي حقوقي يتمتع بقدر من الاستقلالية، من التعهد الذي قدمه محامي الدفاع والمتعلق، كما أشرنا بعدم قيام المتهم مستقبلا بأي عمل استخباري في سويسرا.

و لا بد هنا من الإشارة إلى أن ممثل الادعاء السويسري طالب أن تكون العقوبة التي طالب بإنزالها بحق المتهم وهي ١٥ شهرا مع النفاذ، رغم أن القانون السويسري يسمح للأحكام التي تقل عن ١٨ شهرا أن تكون مع وقف التنفيذ، وعلل ذلك بأنه لا توجد لدى المتهم نية للتوقف عن عمله الاستخباري الذي يمارسه بقناعة فكرية وأيديولوجية.

و يبدو أن الادعاء شعر أنه، زادها قليلا على دولـة صـديقة مثـل (إسرائيـل)، فوجـه عتابـا إلى هذه الدولة الصديقة، حسب تعبيره لأنها لم تقم بإخبار السلطات السويسرية بشكوكها حـول المشـتبه به، وهو هنا عبد اللـه الزين، السويسري الجنسية والمـواطن كامـل الحقـوق، ولـو فعلـت ذلـك لجـرى ترتيبات للمراقبة ضمن القانون .ومرة أخرى، كل هذا من أجل (إسرائيل) والموساد ...!

و لنكف عن الدهشة .. !

و إذا كان هذا هو حال الادعـاء، فـماذا نتوقـع مـن المحـامي رالـف تسـلوكوفر ؟ أشـار هـذا المحامي إلى أهمية النشاط التجسسي بالنسبة لـ (إسرائيـل) لـيس فقـط عـلى الأرض السويسرية بـل في العالم كله، وأن ما حاول أن يقوم به الموساد من تنصت على عبد اللـه الزين، هو لمعرفة حقيقـة علاقـة عبد اللـه بحزب اللـه، ومعرفة ذلك ستوفر معلومات لمكافحة (الإرهاب) ..!

و قال إن تلك العملية كانـت ضرورة حياتيـة للموسـاد،من أجـل تجنيـب (إسرائيـل) أخطـارا محتملة، ولذلك فإنه طالب بالبراءة الكاملة لموكله .هذا ما قاله المحـامي الأول، وهـو مـع زميلـه الآخـر شتيفان تريخسل من أبرز المحامين في سويسرا، وكلفهـما الموسـاد للـدفاع عـن المـتهم في المحكمـة التـي يترأسها واحد من أبرز القضاة هو: هانز فيبريختيغر .

و أما المحامي الثاني: شتيفان تريخسل، فإنه حاول أن يثير عدة شـكوك حـول لائحـة الاتهـام، بدءا من القول إن لائحة الاتهام هذه وضعت في عهـد الرئيسـة السـابقة للادعـاء الاتحـادي كـارلا ديـل بونت،وأنه كان على المدعي الحالي تصحيح الأخطاء فيها .

و أكثر من ذلك اعتبر أن زراعة أجهزة تنصت لصالح الموساد،هو ليس عملا استخباريا لصـالح دولة أجنبية، وأن هذا الاتهام يمكن أن يكون صحيحا إذا تجسس شخص في سويسرا على الدولـة لصـالح دولة أجنبية أما تركيب جهاز تنصت على مواطن عادي فهو ليس كذلك.. !

و دافع عن ما قام به عملاء الموساد،ولم يعتـبره نشـاطا اسـتخباريا سياسـيا، لأن الأمـر يتعلـق بمكافحة (الإرهاب)، وتوفير معلومات حول عمليـات (إرهابيـة) .وفنـد التهمـة المتعلقـة بـالتزوير، عـلى اعتبار أن قانون العقوبات السويسري، لا يشـير إلى أشـخاص يحملـون جـوازات سـفر حقيقيـة أصـدرتها دولهم لا تتضمن أسماءهم الحقيقيـة .ولم يـتم أي ذكـر لرفـاق المـتهم الـذين هربـوا مـن قبضـة الأمـن السويسري بتلك البساطة العجيبة.. !

و في يوم الجمعة (٢٠٠٠/٧/٧) التأمت المحكمة للنطق بالحكم، ولم يكـن متوقعـا مـن خـلال سير المحكمة وشهادات الشهود ومرافعة الدفاع والادعاء، أن يكون بغير ما أتى عليه، رغم أن المـتهم كـان قلقا في قفصه يقف بجانبه مترجمته عن اللغة العبرية وممثلو السفارة (الإسرائيلية).

و جرمت هيئـة المحكمـة المـتهم بالتعامـل المحظـور لصـالح دولـة أجنبيـة، والقيـام بنشـاط استخباري سياسي، وتزوير وثائق ثبوتية، وحكمت على المتهم الذي لا يعرف له اسم، بـالحكم عامـا مـع وقف التنفيذ ومنعه من دخول سويسرا لمدة خمس سـنوات، ودفـع نفقـات المحكمـة البالغـة ٦٥ ألـف دولار تخصم من الكفالة التي دفعتها حكومة (إسرائيل) على أن يعاد الباقي لـ (إسرائيل).

و بالطبع فإن قرار الحكم كان، وفقا لاعتبارات عدة غير عادل، ويمس بهيبة القضـاء والسـيادة السويسرية، التي سمحت لنفسها أن تحاكم شخصا مجهول الهوية وتتفهم نشاطه الاستخباري على أرض سويسرا.

و حاول القاضي التخفيف من الانتقادات التي رافقت هذا الحكم على المتهم المجهول الهويـة فقال إن ما قام به (يشكل انتهاكا عظيما لسيادة سويسرا ولكن المتهم كان مجرد شخص مأمور في دائـرة رفيعة المستوى)، وهو كلام يمكن أن يثير السخرية من قاضي بارز في سويسرا كهانز فيبريختيغر .

و بالطبع رحبت (إسرائيل) بالحكم وبعودة عميلها إلى قواعده سـالما، وعـبر عـن ذلـك رئـيس الوزراء (الإسرائيلي) إيهود باراك. ونعود لنذكر أنه بعد عملية الموساد الفاشـلة في سويسرا اسـتقال داني ياتوم،الذي جاء إلى الموساد وسط

جو عدائي، من كبار ضباط الموساد الذين لم يختر إسحاق رابين أيا منهم لرئاسة الموساد، وفرض واحدا آخر عليهم من الخارج، ثم جاءت العمليات الفاشلة لتزيد الفرقة والخلافات داخل جهاز الموساد ولتخرج إلى العلن .

و أوكل رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو، في نيسان ١٩٩٨، رئاسة الموساد لجنرال آخر هو أفراهيم ليفي، الذي ارتبط اسمه بفضيحة الاغتيال في عمان، عندما فاوض على إبرام الصفقة مع الملك حسين مستغلا العلاقة القوية التي تربطه به، وكان هو على الأغلب وفقا لمصادر متعددة صاحب فكرة الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، مقابل الإفراج عن عميلي الموساد في الأردن .

و لقي ترحيبا لأنه من رجال الموساد السابقين أي من داخل المؤسسة، ويتمتع بشخصية متزنة بالإضافة إلى كونه شديد الحذر ومن المستبعد أن يتورط بعملية فاشلة أخرى، كما كانت التقديرات بشأنه، وبدأ بمحاولة إصلاح الأخطاء التي تسبب بها سلفه أو حدثت في عهد سلفه وإعادة الروح المعنوية لأفراد الموساد الذين تلاحقهم الفضائح من عمان إلى سويسرا.

و بدا هليفي محاولا الإفراج عن رجل الموساد (مجهول الهوية) الذي بقي من مجموعة العملاء الذين حاولوا زرع جهاز التنصت في هاتف عبد الله الزين في بيرن، بعد أن ساهم الجهاز، على الأغلب، بالإفراج عن زملائه بطريقة التمارض والذهاب إلى المستشفى والهروب، دون أن يقوم جهاز الادعاء العام السويسري بالتحقيق بملابسات عمليات الهروب تلك.

و لكن (لعنة مشعل) كانت تلاحقه، فتفاجأ بإلقاء القبض في قبرص على عملاء للموساد، اتهمتهم الحكومة القبرصية بجمع معلومات لصالح الحكومة التركية، ووجدها القبارصة فرصة لتلقين عملاء الموساد الذين يسرحون ويمرحون في جزيرتهم درسا، كي لا يعودوا لممارستهم تلك أو يخففوا منها،لذلك لم تستجب الأجهزة القبرصية لجهود هليفي بإطلاق هؤلاء العملاء المقبوض عليهم، ولكن جهودا سياسية مكثفة وتدخلات أطراف أخرى أدت إلى الإفراج عن العملاء من قبرص وإعادتهم إلى (إسرائيل) .

و تفجرت بعد وقت قصير فضيحة رجل الموساد إيهـود جيـل،وهي فضـيحة غريبـة عجيبـة، فجيل هذا قدم تقارير مفبركة لجهازه وحكومته عن استعدادات سورية لشن حـرب ومعلومـات أخـرى غير صحيحة ادعى أنه استقاها من عميل رفيع المستوى للموساد في سوريا، ولم تعرف ملابسـات القصـة أو الأسباب التي أدت برجل الموساد لفعل ذلك، وانتهى ليكون أحد نزلاء السجون (الإسرائيلية) .

و لم تمض ستة أشهر على تعيين هليفي، حتى عين شخص آخـر قـوي هـو عمـيرام ليفـين نائبـا لرئيس الموساد، ليساهم في ترميم الجهاز من الداخل بعد الهزات التي لحقت به، وجعلته أضحوكة عـلى صفحات الصحف العالمية.

و جاءت النتيجة عكسية ومدمرة حسب تعبيرات الصحافة (الإسرائيلية)، فالجهاز أصبح يديره رأسان وبدا لكل منهما له فريق في الموساد، لا يعملان دائما في وفاق .ووصل التدهور إلى درجة أن مقدم برنامج إخباري في الإذاعة العبرية كان يستضيف نائب وزير الدفاع في حكومة إيهود باراك، أفرام سـنيه وأبلغه بالمعلومات التي تحدثت عن امتناع عمـلاء الموسـاد الميـدانيين في الخـارج عـن العمـل ورفضـهم تنفيذ أي عمل في الخارج احتجاجا على ما وصل إليه الوضع في جهازهم، وقابل سنيه ذلك بدهشة كبيرة .

و وضعت خطط منها تحويل شعبة البحث في الموساد إلى شعبة اسـتخبارية وتكليفهـا بجمـع المعلومات إلى جانب وظيفتها الأصلية والتي كانت تنحصر بتحليل المعلومات واستخلاص النتائج، وتعيين هيئة ناطقة باسم الجهاز ترتبط بعلاقات دائمة مع وسائل الإعلام، والقيام بتجنيـد عمـلاء بشـكل علنـي كما تفعل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وذلك لسد الـنقص الشـديد في القـوى البشريـة المدربـة، والتي تبين أن الموساد يحتاج إليها بعدما لاحقته ولاحقت رجاله (لعنة مشعل) من العاصـمة عـمان إلى بيرن في سويسرا... إلى قبرص.. !

و لم تمض إلا أشهر حتى اندلعت انتفاضة الأقصى في أيلول ٢٠٠٠، ونسي الناس الموساد لفـترة، وركزوا كل نظرهم لما تقوم به أجهزة الأمن الداخلي

كالشاباك والشين بيت، ووحدات الجيش المختلفة، التي أخذت تمارس عمليات الاغتيال بشكل جنوني مستهدفة عشرات الكوادر الفلسطينية.

و لكن الموساد لم ينس مشعل .. !

مشعل: ليس آخرا .. !

قبل محاولة اغتياله الفاشلة بنحو عامين،برز خالد مشعل كصاحب المنصب الأول في حركة حماس، أثناء وجود رئيس مكتبها السياسي موسى أبو مرزوق في السجون الأمريكية في ظروف معقدة، وبعد أن تم الإفراج عن أبي مرزوق بقي مشعل، الذي ينحدر من بلدة سلواد قرب مدينة رام اللـه في منصب رئيس المكتب السياسي .

و كان تعيينه في هذا المنصب لافتا للانتباه في تلك الحركة ذات الصلة بحركة الإخوان المسلمين، والتي كانت الصورة عن الحركة الأم، أن قادتها من كبار السن، أو من (الحرس القديم) وهي صورة ليست دقيقة، وجاء تعيين مشعل على رأس المكتب السياسي استجابة لظروف ليست فقط ذاتية في حركة حماس، ولكن أيضا موضوعية، بعد أن أضحت الحركة لاعبا وطنيا وإقليميا، تحتاج إلى قيادة ديناميكية شابة تتعاطى السياسة من أوسع أبوابها والنضال اليومي الوطني في فلسطين والذي عادة ما يكون وقوده الشباب.

و حتى عام ١٩٩٠ كان مشعل يقيم في الكويت، التي نشأ فيها، وقاد خلال وجوده في جامعة الكويت التيار الإسلامي فيها، وبعد قدومه إلى الأردن بفعل حرب الخليج الثانية ذات النتائج المعروفة، تفرغ للعمل في حركة حماس في العاصمة الأردنية عمان، والتي امتاز عمل الإخوان المسلمين فيها طول عقود بتعايش علني مع النظام الهاشمي الحاكم، ولكنه تعايش لم يخل من شد وجذب وصدام.

و لكن عمل حماس العلني في الأردن شابه سحابات غير ممطرة كثيرة، لكون حماس حركة مقاومة وتكاد تكون رأس الحربة في مقاومة الاحتلال، بينما النظام الهاشمي في الأردن فتوجهاته معروفة تجاه (إسرائيل) والتي ليس بينها على الإطلاق، أي مفهوم للمقاومة حتى لو بشكلها السلمي.

و حسب نبذة رسمية عن حياة مشعل، فإنه من مواليد سلواد قضاء رام اللـه (فلسطين) عام ١٩٥٦م، هـاجر في عـام ١٩٦٧ إلى الكويـت، وبقـي هنـاك حتـى انـدلاع أزمـة الخلـيج عـام ١٩٩٠ .درس الابتدائية في سلواد، وأكمـل الإعداديـة والثانويـة والمرحلـة الجامعيـة في الكويـت .قـاد التيـار الإسـلامي الفلسطيني في جامعة الكويت، وشارك في تأسيس كتلة الحق والتـي نافسـت قـوائم حركـة (فـتح) عـلى قيادة الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين في الكويـت. حاصـل عـلى البكـالوريوس في الفيزيـاء مـن جامعـة الكويت، تزوج في عام ١٩٨١م، ولديه سبعة أبناء، ثلاث إناث وأربعة ذكور،عمـل مدرسـا للفيزيـاء طيلـة وجوده في الكويت بالإضافة إلى اشتغاله بالعمل في خدمة القضية الفلسـطينية .تفـرغ للعمـل السـياسي بعد قدومه إلى الأردن .يعـد مـن مؤسسيـ حركـة المقاومـة الإسـلامية (حـماس).كـان عضـوا في المكتـب السياسي لحماس منذ تأسيسه، وانتخب رئيسا له في عام ١٩٩٦ .

و يمكن ملاحظة أن عمله السياسي العلني، والذي تفرغ له تماما، في قيادة حـماس ترافـق مـع صـعود أسـهم الحركـة خصوصـا بعـد النـوع الجديـد مـن العمليـات الفدائيـة التـي شـهدتها السـاحة الفلسطينية،نفذها مجاهدون من حماس وحركة الجهاد الإسلامي، وعرفت باسم العمليات الاستشهادية، والتي كان منها عمليات هزت (إسرائيل) بالفعل وشدت انتباه العالم، ومنها ما كان سببا مبـاشرا في قـرار بنيامين نتنياهو التخلص منه، ومنها:

١٩٩٤/٤/٦:عملية بسيارة ملغومة في مدينة العفولة، أسفرت عن مقتل ثمانية صـهاينة وجـرح ٤٤ آخرين .

بعد نحو أسبوع وفي ١٩٩٤/٤/١٣، تضرب حماس من جديد وهـذه المـرة في الخضـيرة، وأسـفر عن العملية مقتل ١٢ وإصابة ٤٧ آخرين، حسب المصادر العبرية .

١١/نوفمبر/١٩٩٤ : عملية للجهاد الإسـلامي قـرب موقـع عسـكري في مسـتوطنة نتسـاريم في قطاع غزة، أسفرت عن مقتل ثلاثة جنود صهاينة .

٢٢/يناير/١٩٩٥ : عملية للجهاد الإسلامي فجر خلالها استشهاديان نفسيهما في موقف باص في مدنية اللد، وأدت إلى سقوط ٢٢ قتيلا وإصابة ٤٦ آخرين .

١٩٩٥/٤/٩ :.مقتل سبعة جنود وشخص أمريكي قرب مستوطنة كفار داروم بقطاع غزة في عملية للجهاد الإسلامي .

١٩٩٥/٧/١٤: :مقتل ستة في عملية لاستشهادي من حماس بتفجير قنبلة في باص في رمات غان قرب تل أبيب .

١٩٩٥/٨/٢١: مقتل خمسة صهاينة وإصابة ٨٩ آخرين، بتفجير قنبلة لاستشهادي من حماس في باص بالقدس .

٢٥/فبراير/١٩٩٦ : عمليتان استشهاديتان لحماس في القدس وع سقلان أسفرتا عن مقتل ٢٦ وإصابة ٢٢ صهيونيا وأمريكي واحد .

١٩٩٦/٣/٤ : مقتل ١٩ صهيونيا في عملية تفجير لحماس في باص بالقدس، وفي نفس اليوم عملية أخرى للجهاد الإسلامي أسفرت عن مقتل ٣١ شخصا في تل أبيب .

١٩٩٧/٣/٢١: مقتل ثلاثة صهاينة واستشهادي من حماس في عملية في تل أبيب .

١٩٩٧/٧/٣٠:عملية مزدوجة لاستشهاديين من حماس في القدس أسفرت عن مقتل ١٨ صهيونيا .

١٩٩٧/٩/٤: ثلاث عمليات استشهادية في القدس الغربية نفذها مجاهدو حماس أدت إلى قتل خمسة صهاينة وإصابة ١٧٠، حسب الإحصاءات الصهيونية .

و من الصعب تحديد مدى دوره المباشر في هذا الصعود الكبير لحركة حماس، لكنه أصبح بالفعل وبعد ترؤسه للمكتب السياسي للحركة المسؤول الأول أمام الرأي العام عن ما تقوم به الحركة، ولهذا فكر نتنياهو بالتخلص منه ولو بعملية لا تعلن (إسرائيل) مسئوليتها عنها أو لا تسرب للصحافة معلومات عنها،

وبمعنى آخر فإن الهدف من التخلص منه كـان لهـدف ذاتي المقصـود بـه ربمـا تجفيـف أحـد ينابيع نهر المقاومين التابعين لحماس في فلسطين المحتلة .

و هكذا جاءت محاولة اغتياله الفاشلة، والتي أدت على الأقل على صعيد مشعل الشخصي إلى نجاح كبير له، وبرز كأحد نجوم السياسة العربية، حيث تسابقت وسائل الإعلام على إفراد مساحات لـه وإجراء مقابلات معه، حتى أصبح معروفا في كل بيت عربي .

و لم تؤثر فيه العملية الفاشلة شيئا، وبعد أن غادر المستشفى وتعـافى، عقـد مـؤتمرا صـحافيا، أكد فيه أن حركته لم تكن يوما حركة إرهابية ولكنها تقوم بما يجب أن تقوم به أي حركـة تحـرر وطنـي من مقاومة مشروعة ضد الإرهاب الذي (تمارسه الدولة الصهيونية التي تمتلك تكنولوجيا الدمار).

و أعطى مثلا ملموسا على ذلك الإرهاب الصهيوني وهو محاولة اغتياله التي جرت قبل تسعة أيام من مؤتمره الصحافي .وبشعور المنتصر قال مشعل لصحافي سأله عن محاولة الاغتيـال إذا كانـت مـن تدبير نتنياهو بسبب تورط مشعل في التفجيرين الأخيرين بالقدس (ليذهب نتنياهو إلى الجحيم).

و أكد أن مهمته في الحركة تنحصر في رئاسته للمكتب السياسي ولا علاقة له بعمليات حـماس في الداخل التي يفتخـر بهـا .وأمـام صـعود حـماس ومشـعل، لم يكـن مـن المتوقـع مـن أكـثر مـن جهـة (إسرائيلية) وعربية وغربية السكوت عن ذلك، وسرعان ما انفض (الحفل) وغادر المـدعوون وأصـبح مـن المطلوب طرد المحتفى بهم .

و بدأت ملاحقة قادة حـماس في الأردن، وأعلـن عـن مداهمـة مكـاتبهم وزعـم الأمـن الأردني العثور على ديسكات حاسوب فيها خطط ضد النظام، وأغلقت المكاتب ولوحقـت قيـادة الحركـة وعـلى رأسها مشعل وموسى أبو مرزوق والناطق بلسانها إبراهيم غوشة.

و أثناء وجود الثلاثة في طهـران، في زيـارة عمـل، تحركـت أجهـزة المخـابرات الأردنيـة وألقـت القبض على اثنين من قادة الحركة وأصبح محمد نزال

ممثل الحركة في الأردن والذي رافق الشيخ أحمد ياسين أثناء وجوده في الأردن، مختفيا عن الأنظار مطلوبا القبض عليه.

و قرر القادة الثلاثة العودة إلى الأردن وكما هو متوقع ألقي القبض عليهم، وتم إبعادهم إلى قطر، وفي هذه القصة هناك الكثير مما يقال، خصوصا وأن فصولها تتالت بعد أشهر لاحقة، ولكننا نأخذ هنا جزأها في السياق المتعلق بمحاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها مشعل.

و أعلن أن قادة حماس الخمسة المبعدين إلى قطر سوف يكونون في ضيافة الحكومة القطرية، بينما أحدث الإبعاد ردود فعل كبيرة منها ما هو متعلق بالساحة الأردنية، وتم رفع قضية على الحكومة الأردنية باعتبار ما حدث مخالفا للدستور .

و عندما وصل مشعل ورفاقه قطر، كان كرسي رئاسة الوزراء في (إسرائيل) قد أخلي لزعيم المعارضة اليسارية إيهود باراك، وجهاز الموساد تعاقب عليه أكثر من رئيس والملك الأردني حسين كان غادر إلى العالم الآخر، ولكن كانت حماس تدخل مع غيرها من القوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية معركة جديدة وشرسة.


الفصل الخامس
حتى العلماء

في شهر أيار عام ٢٠٠٣م، عمم نشطاء الإنترنت العرب، خبرا مفاده أن الموساد الإسرائيلي قتل عالمة اكتشفت علاجا لوباء الالتهاب الرئوي اللانمطي "سارس"، والذي أثار الرعب وقتها في كافة أنحاء العالم.

ونشرت جريدة البيان الإماراتية تقريرا عن الموضوع قالت فيه، بأن مصادر وصفتها بالمطلعة في بيروت، وجهت أصابع الاتهام للموساد الإسرائيلي وأجهزة استخبارات غربية باغتيال العاملة اللبنانية عبير أحمد عياش (٣٠ عاما) في باريس بعد نجاحها في تطوير العلاج الذي ذكرناه.

وبحسب نفس الصحيفة فإن أهل العالمة اللبنانية عبير أحمد عياش التي كانت تعمل في مستشفى روتيل ديو وجورج بومبيدو في باريس أبغلوا من وزارة الخارجية اللبنانية تم العثور على جثتها في شقتها"أثر تعرضها لحادث مرور".

وكما هو متوقع، شككت عائلتها في ذلك مرجحين أنها اغتيلت من قبل الموساد الإسرائيلي أو أجهزة استخبارية غربية.

وقال شقيقها المحامي نزيه عياش لمراسل الصحيفة في بيروت:"أخبرتنا في آخر اتصال لها معنا أنها تسعى إلى اكتشاف علاج جديد (للأمراض المستعصية)، وإنها قريبة منه، وستوضح تفاصيله في حينه، وأضافت أنها ستتابع أبحاثها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تزور أهلها في لبنان لفترة خلال الصيف المقبل".

وكانت مجلات علمية فرنسية نشرت العديد من الأبحاث للدكتورة عبير عياش في مجال علاجات الأمراض الصدرية الخبيثة.

وأكدت "البيان" أن مصادرها المطلعة وهي على علاقة بمتابعة جلاء أسباب الجريمة وظروفها و"أبطالها" أن الطبيبة اللبنانية أبلغت بعض زملائها وزميلاتها في باريس قبل العثور على جثتها أنها توصلت إلى تركيب دواء يسهم بفعالية وإلى حد كبير في معالجة داء الالتهاب الرئوي الحاد "سارس" الذي يزداد عدد ضحاياه وتستمر الأسباب المجهولة لانتشاره في العديد من الدول والمناطق الآسيوية. وبغض النظر عن صحة التقرير، فإن اغتيال العلماء هو أحد أهم

الملفات المفتوحة في قيادة الموساد، مارسه الموساد في ظروف الحرب و "السلام" ويشهد على ذلك اغتيال العملاء حتى بعد اتفاقات السلام بين إسرائيل ومصر.

وربما أشهر عمليات الاغتيال التي نفذها الموساد هي اغتيال العالم المصري يحيي المشد في باريس لعمله في المفاعل الذري العراقي، الذي قصفته الطائرات الإسرائيلية بعد اغتيال المشد بفترة.

وكتب الكثير عن المشد وخصصت قناة الجزيرة حلقات من برنامجها الشهير (سري للغاية) عنه، ووضع الكاتب الصحفي المصري عادل حمودة كتابا عنه بعنوان "الموساد واغتيال المشد".

وعرف اسم المشد على نطاق واسع بعد يوم ١٩٨٠/٦/١٣م، عندما وجدت جثته في غرفة أحد فنادق باريس، وقصة تتحدث عن قضاء إحدى المومسات الليل في غرفته، ثم قتله، وفيما بعد لم يتوصل تحقيق الشرطة الفرنسية لشيء لأن تلك المومس نفسها وجدت مقتولة بحادث سيارة.

وللتدليل على أن سياسة الاغتيالات لدى الموساد، هي سياسة ثابتة لا تتأثر بأية اوضاع مستجدة، فلا بد من الإشارة إلى أن يد الموساد استطاعت أن تطال أكثر من عالم عربي، حتى بعد عمليات السلام، منهم عالم الإلكترونيات المصري (سعيد بدير) الذي وجد مقتولا في شقته بالاسكندرية عام ١٩٨٩م، أي بعد أكثر من عشر سنوات على السلام بين مصر وإسرائيل.

عبقري الإلكترونيات:

في أحد أيام نيسان من العام ١٩٨٩م وجدت جثة العالم المصري بدير بجانب شقة العائلة في الاسكندرية، وللوهلة الأولى يظن أي شخص يرى الجثة أنه قام بإلقاء نفسه من شرفة الشقة..، أي أنه انتحر....!

ولكن المسألة، ليست كذلك لعائلته ومعارفه والرأي العام ولأي مدقق، فبدير وجد بجانب الشقة وهو يرتدي جلبابه وبداخله نقوده وأوراقه الخاصة وبطاقاته العملية وجواز سفره ومفاتيح الشقة والسيارة، ووجدت أنبوبة غاز مفتوحة في غرفة نومه، وشرايينه مقطعة..!.

أي أنها عملية انتحار مركبة: اختناق بالغاز، قطع الشرايين وإلقاء نفسه من الشرفة، وهي في نفس الوقت عملية "انتحار" مستحيلة، فكيف لشخص مختنق بالغاز أن يقطع شرايينه ثم يلقي نفسه من الشرفة؟!

وفور اكتشاف حادث وفاة (سعيد بدير) اتهمت زوجته الموساد الإسرائيلي ووكالة المخابرات الأمريكية المركزية باغتياله، وروت للصحف بعضا من حكايته.لقد عمل الدكتور سعيد بدير، الذي أطلقت عليه الصحف "عبقري الإلكترونيات" في القوات المسلحة المصرية كمستشار علمي عسكري، وترأس قسم بحوث الموجات والهوائيات، وبعد تركه للقوات المسلحة المصرية، سافر للعمل في جامعات أوروبا، حتى استقر بالعمل مع جامعة (ديوزبورج) بألمانيا الاتحادية (قبل وحدة الألمانيتين) وكان عقده في الجامعة ينتهي في أيلول ١٩٨٩م، لكن "ظروفا" طرأت على وضعه جعلته يطلب من الجامعة إنهاء العقد والعودة إلى مصر قبل ذلك بثلاثة شهور.

وأرسل الدكتور بدير زوجته وولديه إلى مصر وعاد بعد شهرين، بصورة سرية إلى مصر!.

وقالت زوجته لصحيفة الأهالي المصرية، أنه في الأشهر الأخيرة لوجودهم في ألمانيا، تعرضوا لبعض الأمور "الغريبة" مثل محاولة اغتيال زوجها، وقيام مجهولين بإحراق أواني الزهور البلاستيك في شرفة الشقة وإشعال النيران في الشقة لولا تدخل الجيران وإطفاء الحريق.

وفور عودته أرسل الدكتور بدير رسالة إلى الأجهزة الأمنية المصرية والرئيس المصري حسني مبارك، أخبرهم فيها بنية أجهزة الاستخبارات اغتياله..!

وكشفت زوجة بدير بعض الأسباب التي تقف وراء اغتيال زوجها، وتعيدها إلى تفوقه العلمي وابتكاراته خصوصا في المشروع البحثي رقم (٢٥٤) بجامعة (ديوربيرج) الألمانية والمدعوم من هيئة البحوث الألمانية.

ولكن بدير اكتشف أن الممول الفعلي للمشروع جهات أخرى من بينها أمريكا، وعندما عرف الحقيقة وعرف أهمية المشروع الذي كان يعمل فيه والذي

يستهلك يوميا مواد كيماوية لا يقل ثمنها عن عشرة آلاف دولار، أدرك أن أهداف المشروع "غير بريئة" وأن ممولي المشروع لن يتركوه يعود إلى بلده، فافصح عن رغبته بالعودة إلى مصر.. وعندها بدأ يتعرض للمضايقات.!

وطلبت منه الجامعة عدم تسريب معلومات للقوات المسلحة المصرية، التي كان بدير متفقا معها على تزويدها بنتائج أبحاثه، وخصوصا أبحاثه التي كان يعمل بها في الجامعة عن تصميم النظم الإلكترونية، باستخدام الدوائر الرقمية وأبحاثه عن سفن الفضاء وأسرار التجسس والتصنت عليها، وعندما عاد إلى مصر، عرض إمكانياته على المسؤولين، ولكن أحدا لم يول الأمر أهمية، فأسس شركة خاصة، وانهالت عليه عروض عالمية، ويبدو أن ذلك أجج غضب "البعض عليه خوفا من تسرب أبحاثه" كما قالت زوجته، خصوصا في مجال الأقمار الصناعية والتجسس.

وقبل اغتياله بيومين، ذهب لشقة العائلة في الاسكندرية للراحة لبضعة أيام، وإعداد ملف بأبحاثه لجامعة في سنغافورة، ولكن أصابع الاستخبارات التي كانت تطارده وصلت إليه هذه المرة.

"مدام كوري" ورفاقها:

وكما قلت فإن حكاية سعيد بدير ليست الوحيدة في الملف، بل أن هناك أوراقا أخرى تعود لفترة زمنية تسبق كثيرا التاريخ الذي اغتيل فيه بدير.

في عام ١٩٥٢م قدم اللبناني كامل علي الصباحي العالم المعروف وقتها في أمريكا، طلبا للسلطات الأمريكية بالعودة إلى بلاده بعد سنوات الهجرة الطويلة، ولكنه يبدو أنه تعرض لضغوط معينة فكتب لأحد أصدقائه يقول "إنني اجتاز مرحلة صعبة وخطيرة أسأل اللـه أن ينجيني منها" ولكنه بعد أسابيع معدودة من تقديمه طلبه، قتل في حادث سيارة مدبر، نفذه إرهابي أمريكي اسمه "جدعون يوجل"، وكشف لاحقا عن شخصيته متفاخرا وعلنا صهيونيته وتأييده لإسرائيل..!

وكان الصباحي ابتدأ حياته في أمريكا بالعمل بشركة "جنرال إيلكتريك" عام ١٩٢٣م، واخترع عدة سوائل سجلت باسمه، منها ٧٠ اختراعا عالميا، وكان مرشحا للحصول على جائزة نوبل في العلوم.

وعندما قرر العودة، كان يفكر في توليد الطاقة الكهربائية من حرارة الشمس في الصحاري العربية الممتدة.

وبنفس الأسلوب، حوادث السيارات، قتل العالم المصري (عبد اللـه القاضي) والعالمة المعروفة سميرة موسى.

سافر القاضي إلى أمريكا ليكمل دراسته في جامعة (بمدينة) إيمز وأثناء دراسته التي استمرت خمس سنوات نبغ القاضي، وظهر تفوقه العلمي الواضح فقدمت له الإغراءات ليبقى في أمريكا ويتجنس، ولكنه أصر على العودة بعد حصوله على الدكتوراة في موضوع (استخدام الذرة في الزراعة).

وحسب الكاتب الصحفي وجيه الشربتلي في تقرير له بجريدة الأهالي المصرية (١٩٨٩/٥/٢٤م) فإن "مجهولا" عبث بفرامل سيارته و"خلخل" مسامير الإطار الأمامي للسيارة فقضى عبد اللـه القاضي نحبه يوم ١٩٥٨/٣/٥م وكان برفقته في السيارة صديق له اسمه (محمود مروان) سنتوقف عنده لاحقا.

وقبل وفاته بفترة قصيرة، أرسل القاضي رسالة لأحد أصدقائه في القاهرة، التي كانت تعيش آنذاك حلمها القومي يقول فيها "أريدك أن تطمئني سريعا، إلى أنك تسلمت هذا الخطاب وحفظته سرا حتى عن أقرب الناس إليك، وإنك لن تعلنه، إلا إذا حدث شيء غير محمود حتى يعلم الجميع أنهم لا يحاربوننا بالمدافع والقنابل فقط، بل يحاربون أفكارنا وعقائدنا".

أما سميرة موسى التي أطلق عليها العلماء في بريطانيا (التي حصلت من جامعاتها على الدكتوراة بتفوق) لقب "مدام كوري المصرية" والتي تعتبر مفخرة لدى الأوساط النسائية العربية، وتذكرها هذه الأوساط، بين الحين والحين في أدبياتها، فقد قضت هي الأخرى في أمريكا بحادث سيارة مدبر...!

سافرت سميرة موسى إلى أمريكا، ضمن برنامج للتبادل الثقافي بين مصر وأمريكا، وتفوقها في مجال الذرة، سمحوا لها في أمريكا بزيارة المعامل الذرية هناك.

وعندما عرضوا عليها في أمريكا، الجنسية والبقاء في المعامل الذرية، رفضت، وبعد شهر من الرفض، قتلت سميرة موسى بحادث سيارة مدبر.

وكان ذلك في عام ١٩٥٢م، ولم تستجب الحكومة الأمريكية لطلب أسرة (مدام كوري المصرية) بإعادة كتبها وأبحاثها.

نزيف وجنون وسيارات:

تفوق عبد الرحمن صفوت البنا، الذي كان يعمل معيدا بكلية الزراعة في القاهرة، وسافر إلى أمريكا لإكمال دراسته وتميز بشكل ملفت في دراسته وأبحاثه.

وكما هي العادة عرضت عليه أمريكا الجنسية وراتبا شهريا قدره ستة آلاف دولار ولكنه رفض.

ولم يعط البنا فرصة، للأجهزة هناك، التفكير بتدبر حادث سيارة له، وحسب الاستاذ وجيه الشربتلي، فقد دخل إلى مستشفى أمريكي تابع لجامعة إيلينوي ليعالج من آلام في معدته، فاستأصل "الجراحون" ٦٠% من معدته فنزف الدم منه حتى المساء.. !

وكانت برفقة البنا، زوجته تحية صبري التي أسرعت لاستدعاء (الجراحين)، لكن الجراحين والأطباء اختفوا فجأة من المستشفى ولم يظهروا إلا بعد وفاة البنا.

وكما أشرت كان الطالب محمود مروان زميل عبد اللـه القاضي الذي كان معه عندما وقع حادث السيارة، وأودى بحياة القاضي، ولكن مروان الذي قرر مع القاضي العودة إلى مصر، نجا بأعجوبة رغم إصابته بجروح، وأصيب بانهيار عصبي، أقرب إلى الجنون، وأسرعت أسرته بإعادته للقاهرة خوفا على حياته.

وما استعرضته سابقا هو سطور في كتاب مفتوح، للإشارة فقط إلى أن الموساد لم يستهدف فقط السياسيين والثائرين ولكن أيضا العلماء.

ولا بد، مستقبلا من وقفة طويلة، ومن جديد مع ملفات الموساد المفتوحة.

كلمة أخيرة في ملف مفتوح

فيما يخص الرأي العام في (إسرائيل)، وبعيدا عن المؤسسة الأمنية القيادة السياسية في (إسرائيل) منذ نشوء الدولة العبرية حتى الآن، فإن نقاشا حول جدوى (سياسة الاغتيالات) يثار بين الوقت والآخر، وهناك أصوات قليلة ونادرة في المجتمع الصهيوني تخرج عن مألوف السياسة الرسمية، وتقوم بتحليل تلك السياسة، ونموذجا على ذلك ما كتبه مثلا (المستشرق) غي باخور في يديعوت أحرنوت، الصحيفة الكبرى في (إسرائيل) بتاريخ ٢٠٠٠/١١/٢٧ بعد أن أعادت للأذهان عمليات التصفية ضد نشطاء في انتفاضة الأقصى سياسة (إسرائيل) في الاغتيالات .

يعتقد باخور أن (سياسة الاغتيالات) هي سلاح ذو حدين، مذكرا بأنه بعد اغتيال الشيخ عباس موسوي زعيم حزب اللـه الأسبق الذي صفته (إسرائيل) بقصفه من الجو، وقعت حوادث انفجارات في السفارة (الإسرائيلية) ومبنى الجالية اليهودية في الأرجنتين في شباط ١٩٩٢، وكذلك وقوع عمليات استشهادية بعد تصفية يحيى عياش .

يقول باخور (إن مثل هذه التصفيات تخلق فراغا قياديا سيشغل بالطبع بإنسان جديد يدخل إلى المنصب الذي حدده سلفا، ويلزمه بأن يكون أكثر "عدائية" لـ (إسرائيل)، وتصبح الحسابات الوطنية "شخصية" ويتحول إلى أمر ملزم، هكذا مثلا استبدل عباس موسوي بأمين عام معاد أكثر منه : حسن نصر اللـه) .

و يقول باخور إن نظر (إسرائيل) للشخص المستهدف بسبب قيامه (بأعمال إرهابية)، هو نظر من زاوية الأمن (الإسرائيلية) والتي تشكل في كثير من الأحيان، كما يرى، تعريفا واسعا جدا .

و يعطي مثلا على وجهة نظره (السياسية) مستنتجا (أن تحويل الشيخ موسوي لحزب اللـه من منظمة "إرهابية" إلى حركة اجتماعية لبنانية ظاهرة توقفت عند نقطة معينة وغيرت الاتجاه بعد تصفيته، وبهذه التصفية تم الحيلولة

دون التطور الطبيعي للزعيم، والذي كان يعتبر كـ "إرهابي" في نقطـة زمنيـة معينـة، سـيعتبر غير ذلك من نقطة زمنية أخرى) .

و بالطبع هناك قصور لدى باخور في فهم ظاهرة حزب اللـه، ولكن ما يعنينا هنـا أن القـادة الصهاينة عندما ينفذون (سياسية الاغتيالات) فهم في الواقع لا يمارسـون (عمـلا سياسـيا) يخـدم أهـدافا معينة، ولكنه إرهاب منظم تقوم به دولة هدفه القتل من أجل القتل، في أحيان كثيرة.

و يعطي بـاخور مـثلا آخـر عـلى وجهـة نظـره قـائلا إن (اغتيـال خليـل الـوزير عـلى خلفيـة الانتفاضة الأولى كان خطأ فاحشا، لأنه كان من المؤيدين البارزين لعملية المصـالحة مـع "إسرائيـل" ولـو كان حيا اليوم، لكان من الممكن للوضع الأمني أن يكون مختلفا تماما).

و يشير باخور أيضا إلى أن (المحاولة الصبيانية لتسـميم زعـيم حـماس خالـد مشـعل أدت إلى الإفراج عن الشيخ ياسين) .ويعتقد باخور أن (سياسة الاغتيالات تنبع مـن المفهـوم السـطحي الـدارج في المؤسسة الأمنية "الإسرائيلية" والتي بموجبها أن الرأس هو المقرر الوحيـد وإذا تـم قطعـه فـإن المشـكلة ستنتهي معه، كما لو أن اغتيال خالد مشعل سينهي حماس) .

و يختتم باخور مقالـه بالتأكيـد، محقـا، أن اغتيـال زعـيم الطـرف الآخـر لـيس فقـط لا يحـل المشاكل، بل يفاقمها، ويقول : (لم تقدم سياسة الاغتيالات أية فائـدة لأمـن (إسرائيـل) بـل أسـفرت عـن أضرار بالغة، و(إسرائيل)، كدولة قانون تفعل خيرا إذا قضت على سياسة الاغتيالات) .

و بغض النظر إذا كانت (إسرائيل) دولة قانون، حتى لو كان قانون الغاب أم لا، وبغض النظر عن مفهوم الأمن "الإسرائيلي"، والتباين بين (الإسرائيليين) في كيفية حمايته، فإن (سياسة الاغتيالات) التي تمارسها (إسرائيل) كإعدام، خارج نطاق، أي قانون، حتى لـو كـان قـانون الغـاب، هـي عمليـة (إرهـاب) منظم، لعل الصفحات السابقة في هذا الكتاب، والتي اعتمدت فيه على مصادر (إسرائيلية) كثيرة وكنـت حريصا على تثبيت الروايات (الإسرائيلية) الرسمية، ترجح ما ذهبت إليه .وإذا كانت (إسرائيـل) انتظـرت (٣٨) عاما لتعلن مسئوليتها

عن اغتيال مصطفى حافظ و(٢١) عاما لتفخر بـانطلاق حملـة اغتيـال القـادة الفلسـطينيين، و(٩) سنوات للاعتراف الضمني بالمسؤولية عن اغتيـال أبـو جهـاد وذلـك بتسريـب التفاصـيل للصحافة (الإسرائيلية)، فإنها لم تعترف بفشل سياسة الاغتيال في إجهاض حركة الشعب الفلسـطيني مـن اسـتمرار النضال لتحقيق حقوقه .

و أيضا لم تعترف باغتيال عدد من القادة والكوادر الفلسطينيين أمثال :

- علي ياسين : مدير مكتب منظمة التحرير في الكويت (الكويت ١٩٧٨).
- سعيد حمامي : مدير مكتب منظمة التحرير في لندن (١٩٨٠) .

عبد الوهاب الكيالي : من قادة جبهة التحرير العربية : (بيروت ١٩٨١).

- ماجد أبو شرار : عضو اللجنة المركزية لحركة فتح : (روما :١٩٨١).
- سعد صايل : القائد العسكري للمنظمة : بيروت (١٩٨٢/٩/٢٨) .
- عصام السرطاوي : الذي فتح خطوط اتصال مع صهاينة (١٩٨٣) .
- حنا مقبل : وهو صحافي بارز (١٩٨٣) ..
- فهد القواسمة : عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير : (عمان ١٩٨٤).
- أسعد الصفطاوي : من قادة فتح : (غزة ١٩٩٣) .
- محمد أبو شعبان : من قادة فتح : (غزة ١٩٩٣) .

و هذا كان سببا بالإضافة لأسباب أخرى للظن بأن اغتيـال بعـض هـؤلاء وغـيرهم كـان ضـمن تعقيدات العلاقات بين الفصـائل الفلسـطينية وبعـض أجهـزة المخـابرات العربيـة، خصوصـا وأن جهـات فلسطينية تبنت قتل بعض هؤلاء مثل عصام السرطاوي وسعيد حمامي بينما تم اتهام جهات فلسطينية وعربية بالتخلص من آخرين مثل (سعد صايل، فهد القواسمي، أسعد الصفطاوي ومحمد أبـو شـعبان)، والملاحظ أنه في مثل هذا النوع من الاغتيال لم يطالب الرأي العام الفلسـطيني والعـربي بحقـه بـالاطلاع على التفاصيل ومعرفة ما جاء في التحقيقات إذا أجريت، ولم يتم محاسبة حتـى الـذين تفـاخروا بتنفيـذ تلك العمليات من زعماء لفصائل فلسطينية .

و لم تقم الجهات الفلسطينية الرسمية حتى عندما أتيح لها ذلك بالتحقيق والإعلان عن نتائج ذلك، مثل ما يتعلق بمقتل أسعد الصفطاوي ومحمد أبو شعبان، وهما من قادة فتح، قبيل دخول السلطة الفلسطينية لقطاع غزة، واعتبر اغتيالهما كنوع من تصفيات حسابات داخلية في الحركة، وعندما استلمت السلطة الفلسطينية مقاليد الأمور في غزة لم تف بوعدها بالتحقيق بمقتل اثنين من أبرز قادتها في غزة في ذلك الحين .وبدون البحث والكشف عن طبيعة هذه الاغتيالات في مسيرة العمل الفلسطيني والعربي سيبقى موضوع الاغتيالات ناقصا وأسراره ودوافعه مخبأة، ولكن تلك قصة أخرى ... طويلة .. ومريرة .. وتحمل مفاجآت كثيرة .. ! .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: الأصل والصورة	٥
الرجل الظل..	٦
جذور إرهابية	٩
الفصل الثاني: حروب غولدا مئير المستمرة...................	٢٣
من يقتل إسرائيليا	٢٤
ميونخ أولا...	٣١
ميونخ أخيرا	٤١
عقدة لليلهامر..	٦٦
الفصل الثالث: الكف والمخرز	١٠٣
الأول	١٠٤
محمود الخواجا	١٠٩
الفصل الرابع: نجاح وفشل	١٢٧
المهندس	١٢٨
محكمة	١٣٣
خالد مشعل..	١٤٨
خروج الشيخ...	١٥٦
الفصل الخامس: حتى العلماء	١٨١
عبقري الإلكترونيات..	١٨٣
مدام كوري ورفاقها	١٨٥
نزيف وجنون وسيارات	١٨٧
كلمة أخيرة في ملف مفتوح....................................	١٨٨